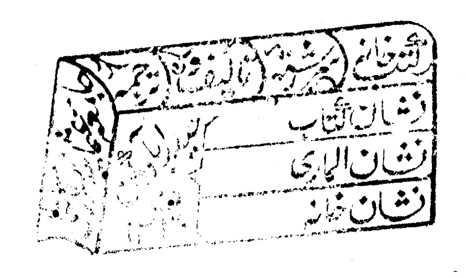
فهرس

الجزء الثاني والعشرين

من تفسير الامام ابن جرير الطبري

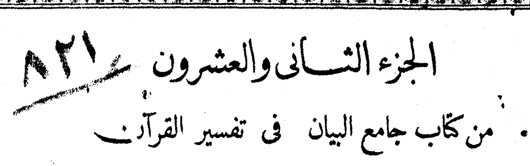


(فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

﴿ تم فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

﴿تم فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى﴾



الجزء الثانى والعشرون

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

«فى كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر وعلى النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٩ هجريه

الجزء الثانى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله منكنّ وتعمل بما أمر الله به نؤتها أجرها مرتين يقول يعطها الله ثواب عملها مثلى ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس وأعتدنا لها رزقا كريما يقول وأعتدنا لها فى الآخرة عيشا هنيأ فى الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يقنت منكنّ لله ورسوله الآية يعنى ٣ آخر الآية حدثنى سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ابن عون قال سألت عامرا عن القنوت قال وما هو قال قلت وقوموا لله قانتين قال مطيعين قال قلت ومن يقنت منكنّ لله ورسوله قال يطعن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقنت منكنّ لله ورسوله أى من يطع منكنّ الله ورسوله وأعتدنا لها رزقا كريما وهى الجنة واختلفت القراء فى قراءة قوله وتعمل صالحا فقرأ عامة قراء الحجاز والبصرة وتعمل بالتاء ردّا على تأويل من اذ جاء بعد قوله منكنّ وحكى بعضهم عن العرب انها تقول كم بيع لك جارية وأنهم ان قدموا الجارية قالوا كم جارية بيعت لك فأنثوا الفعل بعد الجارية والفعل فى الوجهين لكم لا للجارية وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

أيا أم عمرو من يكن عقر داره * جواء عدى يأكل الحشرات
ويسودّ من لفح السموم جبينه * ويعروان كانوا ذوى بكرات

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعدّ للمحسنات منكنّ اجرا عظيما يانساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكنّ من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان فقال المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات

والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون (٣) لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما

فقال وان كانوا ولم يقل وان كان وهو لمن فرده على المعنى وأما أهل الكوفة فقرأت ذلك عامة قرائها ويعمل بالياء عطفا على يقنت اذ كان الجميع على قراءة الياء * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان فى كلام العرب فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب ترد خبر من أحيانا على لفظها فتوحد وتذكر وأحيانا على معناها كما قال جل ثناؤه ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك فجمع مرة للمعنى ووحد أخرى للفظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء النبى لستن كأحد من النساء من نساء هذه الامة ان اتقيتن الله فأطعتنه فيما أمركن ونهاكن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا نساء النبى لستن كأحد من النساء يعنى من نساء هذه الامة وقوله فلا تخضعن بالقول يقول فلا ترخصن بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تخضعن بالقول قال خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل فى قلوب الرجال وقوله فيطمع الذى فى قلبه مرض يقول فيطمع الذى فى قلبه ضعف فهو لضعف ايمانه فى قلبه اما شاك فى الاسلام منافق فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله واما متهاون باتيان الفواحش وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم انما وصفه بأن فى قلبه مرضا لأنه منافق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال نفاق * وقال آخرون بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون اتيان الفواحش ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال قال عكرمة شهوة الزنا وقوله وقلن قولا معروفا يقول وقلن قولا قد أذن الله لكم به وأباحه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقلن قولا معروفا قال قولا جميلا حسنا معروفا فى الخير * واختلفت القراء فى قراءة قوله وقرن فى بيوتكن فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقرن بفتح القاف بمعنى واقررن فى بيوتكن وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الاولى من اقررن وهى مفتوحة ثم نقلها الى القاف كما قيل فظلتم تفكهون وهو يريد فظللتم فأسقطت اللام الاولى وهى مكسورة ثم نقلت كسرتها الى الظاء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وقرن بكسر القاف بمعنى كن أهل وقار وسكينة فى بيوتكن وهذه القراءة وهى الكسر فى القاف أولى عندنا بالصواب لأن ذلك ان كان من الوقار على ما اخترنا فلا شك أن القراءة بكسر القاف لانه يقال وقر فلان فى منزله فهو يقر وقورا فتكسر القاف فى تفعل فاذا أمر منه قيل قر كما يقال من وزن يزن زن ومن وعد يعد عد وان

۞ القراآت أسوة بضم الهمزة حيث كان عاصم وعباس الآخرون بكسرها نضعف بالنون وكسر العين العذاب بالنصب ابن كثير وابن عامر وقرأ أبو عمرو ويزيد ويعقوب بالياء المضمومة والعين مفتوح وبرفع العذاب الآخرون مثله ولكن بالالف من المضاعفة ويعمل صالحا يؤتها على التذكير والغيبة حمزة وعلى وخلف وافق المفضل فى ويعمل الباقون بتأنيث الاول وبالنون فى الثانى وقرن بفتح القاف أبو جعفر ونافع وعاصم غير هبيرة الباقون بكسرها ولا تبرجن أن تبدل بتشديد التاءين البزى وابن فليح أن يكون على التذكير عاصم وحمزة وعلى وخلف وهشام وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع عاصم الباقون بكسرها ۞ الوقوف كثيرا ه لابتداء القصة الاحزاب لا لأن قالوا جواب لما رسوله الثانى ز لاحتمال الاستئناف والحال أوجه وتسليما ط عليه ج لابتداء التفصيل مع الفاء ينتظر لا لاحتمال الحال وجانب الابتداء بالنفى أرجح تبديلا ه لا الا عند أبى حاتم عليهم ط رحيما ه لا للآية

ولاحتمال الحال أي وقدره خيرا ط القتال ط عزيزا ه ج للاية والعطف فريقا ه ج لاحتمال أن يكون ما بعده استئنافا أو حالا تطؤها ط
قديرا ه جميلا ه عظيما ه ضعفين ط (٤) يسيرا ه مرتين لا لان التقدير وقد أعتدنا كريما ه معروفا ج للعطف ورسوله ط

كان من القرار فان الوجه أن يقال اقررن لان من قال من العرب ظلت أفعل كذا وأحست بكذا فأسقط عين الفعل وحول حركتها الى فائه في فعل وفعلنا وفعلتم لم يفعل ذلك في الامر والنهي فلا يقول ظل قائما ولا لا تظل قائما فليس الذي اعتل به من اعتل لصحة القراءة بفتح القاف في ذلك بقول العرب في ظللت وأحسست ظلت وأحست بعلة توجب صحته لما وصفت من العلة وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب سماعا منه ينحطن من الجبل وهو يريد ينحططن فان يكن ذلك صحيحا فهو أقرب الى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى وقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قيل ان التبرج في هذا الموضع التبختر والتكسر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى أي اذا خرجتن من بيوتكن قال كانت لهن مشية وتكسر وتغنج يعني بذلك الجاهلية الاولى فنهاهن الله عن ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال التبختر وقيل ان التبرج هو اظهار الزينة وابراز المرأة محاسنها للرجال وأما قوله تبرج الجاهلية الاولى فان أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى فقال بعضهم ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن زكريا عن عامر ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال الجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام * وقال آخرون ذلك ما بين آدم ونوح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبيه عن الحكم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال وكان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه فأنزلت هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وقال آخرون بل ذلك بين نوح وادريس ذكر من قال ذلك حدثني ابن زهير قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا داود يعني ابن أبي الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال كانت فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل ذلك الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج الرجال للنساء قال ويتزين النساء للرجال وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك فرأى النساء فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن فظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى فيكون معنى ذلك ولا تبرجن تبرج الجاهلية التي قبل الاسلام فان قال قائل أوفي الاسلام جاهلية حتى يقال عني بقوله الجاهلية الأولى التي قبل الاسلام قيل فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

تطهيرا ه لوقوع العوارض بين المعطوفين والحكمة ط خبيرا ه عظيما ه من أمرهم ط مبينا ه الناس ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال تخشاه ط منهن وطرا ط مفعولا ه له ط من قبل لا مقدورا ه لابناء على أن الذين وصف أو بدل الا الله ط حسيبا ه النبيين ط عليما ه ﴿التفسير﴾ لما فرغ من توبيخ المنافقين حث جمع المكلفين على مواساة الرسول وموازرته كما واساهم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مداحض الاقدام والاسوة القدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به فالمراد أنه في نفسه قدوة كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والمراد أن فيه خصلة هي المواساة بنفسه فمن حقها أن يؤتسى بها وتتبع قال في الكشاف قوله لمن كان بدل من قوله لكم وضعف بأن بدل الكل لا يقع من ضمير المخاطب فالأظهر انه صفة الاسوة والرجاء بمعنى الامل أو الخوف وقوله (يرجو الله واليوم الآخر) كقولك رجوت زيدا وفضله اى رجوت فضل زيد أو أريد يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقوله (وذكر) معطوف على كان وفيه أن المقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي واظب على ذكر الله وعمل ما يصلح لزاد المعاد ثم حكى أن ما ظهر من المؤمنين وقت لقاء الأحزاب خلاف حال المنافقين وقوله (هذا) اشارة الى الخطب أو البلاء

عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد وقع (وصدق الله ورسوله) في كل ما وعد (وما زادهم الا ايمانا) بمواعيده قال

(وتسليما) لقضائه وقيل هذا اشارة الى ما ايقنوا من أن عند الفزع الشديد يكون النصر والجنة كما قال ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا الى آخره كان رجال من الصحابة نذروا أنهم اذا لقوا حربا ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستشهدوا

قال يقول التي كانت قبل الاسلام قال وفي الاسلام جاهلية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لأبي الدرداء وقال لرجل وهو ينازعه يا ابن فلانة لأم كان يعيره بها في الجاهلية فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء ان فيك جاهلية قال أجاهلية كفر أو اسلام قال بل جاهلية كفر
قال فتمنيت أن لو كنت ابتدأت اسلامي يومئذ قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من
عمل أهل الجاهلية لا يدعهن الناس الطعن بالأنساب والاستمطار بالكواكب والنياحة حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرني سليمن بن بلال عن ثور عن عبد الله بن
عباس أن عمر بن الخطاب قال له أرأيت قول الله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى هل كانت الا واحدة فقال ابن عباس وهل كانت من أولى الا ولها آخرة فقال
عمر لله درك يا ابن عباس كيف قلت فقال يا أمير المؤمنين وهل كانت من أولى الا ولها آخرة قال
فأت بتصديق ما تقول من كتاب الله قال نعم وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة
قال عمر فمن أمر بالجهاد قال قبيلتان من قريش مخزوم وبنو عبد شمس فقال عمر صدقت وجائز أن
يكون ذلك ما بين آدم ونوح وجائز أن يكون ما بين ادريس ونوح فتكون الجاهلية الآخرة ما بين
عيسى ومحمد واذا كان كل ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله
انه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى وقوله وأقمن الصلاة وآتين الزكاة يقول وأقمن الصلاة المفروضة
وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن وأطعن الله ورسوله فيما أمراكن ونهياكن انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت يقول انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت
محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فهم أهل بيت طهرهم الله من
السوء وخصهم برحمة منه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال الرجس ههنا الشيطان وسوى
ذلك من الرجس الشرك واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله أهل البيت فقال بعضهم عنى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم ذكر من
قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي قال ثنا مندل عن
الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية
في خمسة فيّ وفي علي رضي الله عنه وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه وفاطمة رضي الله
عنها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا
محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة خرج
النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه
ثم جاء علي فأدخله معه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول الصلاة أهل

فمدحهم الله تعالى بأنهم صدقوا
ما عاهدوا أي صدقوا الله فيما عاهدوه
عليه ويجوز أن يجعل المعاهد عليه
مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا
للمعاهد عليه سنفي بك فاذا وفوا به
صدقوه (فمنهم من قضى نحبه) أي
نذره فقاتل حتى قتل كحمزة
ومصعب وقد يقع قضاء النحب
عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له
من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته
(ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان
وطلحة (وما بدلوا تبديلا) ما غير كل
من الفريقين عهده وفيه تعريض
بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض
القلب فكأنه قال صدق المؤمنون
ونكث المنافقون فكان عاقبة
الصادقين الجزاء بالخير بواسطة
صدقهم وعاقبة أصحاب النفاق
التعذيب ان شاء الله إلا أن يتوبوا
وانما استثنى لأنه آمن منهم بعد ذلك
ناس والى هذا أشار بقوله (ان الله
كان غفورا رحيما) حيث رحمهم
ورزقهم الايمان ويجوز أن يراد
يعذب المنافقين مع أنه كان غفورا
رحيما لكثرة ذنبهم وقوة جرمهم ولو
كان دون ذلك لغفر لهم (ورد الله الذين
كفروا) وهم الأحزاب ملتبسين
(بغيظهم لم ينالوا خيرا) أي غير
ظافرين بشئ من مطالبهم التي هي
عندهم خير من كسر أو أسر أو غنيمة
(وكفى الله المؤمنين القتال) بواسطة
ريح الصبا وبارسال الملائكة كما
قصصنا (وأنزل الذين) ظاهروا
الاحزاب (من أهل الكتاب من
صياصيهم) والصيصية ما تحصن به
ومنه يقال لقرن الثور والظبي ولشوكة الديك التي في ساقه صيصية لأن كلا منها سبب التحصن به روى أن جبرائيل عليه السلام أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا يا جبرائيل

البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا يحيى بن ابراهيم بن سويد النخعي عن هلال يعني ابن مقلاص عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم قال ثنا يونس بن أبي اسحق قال أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا يونس بن أبي اسحق باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الأسقع اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساء له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأنا قال وأنت قال فوالله انها لأوثق عملي عندي حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثني شداد أبو عمار قال سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال سألت عن علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعليا عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه فلفع عليهم بثوبه وقال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا اللهم هؤلاء أهلي اللهم أهلي أحق قال واثلة فقلت من ناحية البيت وأنا يا رسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة انها لمن أرجى ما أرتجي حدثني أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجلل عليهم كساء خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة ألست منهم قال أنت الى خير حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعته بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعيهم فجاءت الى علي فقالت اجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة فلما رآهم مقبلين مد يده الى كساء كان على

فقال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة (٦) وأنا عائد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا هناك بعد العشاء الآخرة فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد ابن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم نزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا فقدمهم وضرب أعناقهم وهم ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وانما قدم مفعول تقتلون لان القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أشد ولم يكن في المأسورين هذا الاعتناء بل بقاؤهم هناك بالأسر أشد لانه لو قال وفريقا تأسرون فاذا سمع السامع قوله وفريقا ربما ظن أنه يقال بعده يطلقون او لا يقدرون على أسرهم ولمثل هذا قدم قوله وأنزل على قوله وقذف وان كان قذف الرعب قبل الانزال وذلك ان مزيد الاهتمام والفرح بذكر الانزال أكثر (وأورثكم أرضهم) التي استوليتم عليها ونزلتم فيها أولا (وديارهم) التي كانت في القلاع فسلموها اليكم (وأموالهم) التي كانت في تلك الديار (وأرضا لم تطؤها) قيل هي القلاع أنفسها وعن مقاتل هي خيبر وعن قتادة كنا نحدث أنها مكة وعن الحسن فارس والروم وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة وعن بعضهم أراد نساءهم وهو غريب ثم أكد الوعد بفتح المنامة

البلاد بقوله (وكان الله على كل شيء قديرا) قال أهل النظم ان مكارم الاخلاق ترجع أصولها الى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله

واليها الاشارة بقوله عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم ولما ارشد نبيه الى القسم الاول بقوله اتق الله أرشده الى القسم الآخر وبدأ بالزوجات لأنهنّ أولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهنّ فى النفقة ولنبن تفسير الآية على مسائل (٧) منها أن التخيير هل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم أم لا فنقول التخيير قولا كان واجبا بالاتفاق لانه ابلاغ الرسالة وأما التخيير معنى فمبنى على أن الامر للوجوب أم لا ومنها أن واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يعتبر اختيارها فراقا والظاهر أنه لا يعتبر فراقا وانما تبين المختارة نفسها بابانة من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله (فتعالين) وعلى هذا التقرير فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق أم لا الظاهر الوجوب لأن خلف الوعد منه غير جائز بخلاف الحال فينا فانه لا يلزمنا الوفاء بالوعد شرعا ومنها أن المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره الظاهر نعم (١) ليكون التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها أن المختارة لله ورسوله هل يحرم طلاقها الظاهر نعم بمعنى أنه لو أتى بالطلاق لعوتب وفى تقديم اختيار الدنيا اشارة الى أنه كان لا يلتفت اليهن كما ينبغى اشتغالا بعبادة ربه وكيفية المتعة وكميتها ذكرناهما فى سورة البقرة والسراح الجميل كقوله أو تسريح باحسان وفى ذكر الله والدار الآخرة مع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى قوله للمحسنات اشارات الى أن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مرضاة الله وواسطة حيازة سعادات الآخرة وأنه يوجب وصفهن بالاحسان والمراد بالاجر العظيم كبره بالذات وحسنه بالصفات ودوامه بحسب الاوقات فان العظيم لا يطلق الا على الجسم الطويل العريض العميق الذاهب فى الجهات فى الامتدادات الثلاثة وأجر الدنيا فى ذاته قليل وفى صفاته غير خال عن جهات القبح

المنامة فمدّه و بسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى الى ربه فقال هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت فى بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت قال انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا موسى بن يعقوب قال ثنى هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتنى أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحسنين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر الى الله ثم قال هؤلاء أهل بيتى فقالت أم سلمة يا رسول الله أدخلنى معهم قال انك من أهلى حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنا محمد بن سليمن الأصبهانى عن يحيى بن عبيد المكى عن عطاء عن عمر بن أبى سلمة قال نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا فدعا حسنا وحسينا وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا عليا فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (١) قال أم سلمة أنا معهم مكانك وأنت على خير حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المرى عن السدى عن أبى الديلم قال قال على بن الحسين لرجل من أهل الشأم أما قرأت فى الأحزاب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا قال ولأنتم هم قال نعم حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد قال قال سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحى فأخذ عليا وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلى وأهل بيتى حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا على بن أبى طالب رضى الله عنه عند أم سلمة قالت فيه نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا قالت أم سلمة جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى بيتى فقال لا تأذنى لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط فجللهم نبى الله بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا قالت فوالله ما أنعم وقال انك الى خير وقال آخرون بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الأصبغ عن علقمة قال كان عكرمة ينادى فى السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا قال نزلت فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أى قالت أم سلمة انا معهم قال مكانك وأنت الخ وحرر كتبه مصححه

(١) الذى فى الفخر الظاهر لا تحرم ليكون الخ فتنبه كتبه مصححه

كما في مأكوله من الضرر والثقل وكذلك في مشروبه وغيرهما من اللذات ومع ذلك فهو منغص بالانقطاع والزوال ويروى أنه حين نزلت الآية
بدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن
اختيارها فشكر ذلك لهن الله فأنزل
لا تحل لك النساء من بعد. وروى أنه
قال لعائشة اني ذاكر لك أمرا ولا
عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمري
أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت
أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله
ورسوله والدار الآخرة ثم قالت لا تخبر
أزواجك أني اخترتك فقال انما بعثني
الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا. أما حكم
التخيير في الطلاق فاذا قال لها
اختاري فقالت اخترت نفسي أو
قال اختاري نفسك فقالت اخترت
لابد من ذكر النفس في أحد الجانبين
وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة
وأصحابه اذا كان في المجلس أو لم
يشتغل بما يدل على الاعراض
واعتبر الشافعي اختيارها على الفور
وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب
عمر وابن مسعود وعن الحسن
وقتادة والزهري أمرها بيدها
في ذلك المجلس وفي غيره واذا
اختارت زوجها لم يقع شيء بالاتفاق
لأن عائشة اختارت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يعد ذلك طلاقا
وعن علي رضي الله عنه مثله في رواية
وفي أخرى أنه عد ذلك واحدة
رجعية اذا اختارته واذا اختارت
نفسها فواحدة بائنة وحين خيرهن
النبي صلى الله عليه وسلم واخترن الله
ورسوله أدبهن الله وهددهن على
الفاحشة التي هي أصعب على الزوج
من كل ما تأتي به زوجته وأوعدهن
بتضعيف العذاب لأن الزنا في نفسه
قبيح ومن زوجة النبي أقبح ازدراء
بمنصبه ولانها تكون قد اختارت حينئذ غير النبي فلا يكون النبي عندها أولى من الغير ولا من نفسها وفيه اشارة الى شرفهن
فان الحرة لشرفها كان عذابها ضعف عذاب الأمة وأيضا نسبة النبي الى غيره من الرجال نسبة السادة الى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم

خاصة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله على ذلك واحمدنه عليه وعنى بقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة ويعني بالحكمة ما أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله ولم ينزل به قرآن وذلك السنة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة أي السنة قال يمتن عليهم بذلك وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا يقول تعالى ذكره ان الله كان ذا لطف بكن اذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة خبيرا بكن اذ اختاركن لرسوله أزواجا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ يقول تعالى ذكره ان المتذللين لله بالطاعة والمتذللات والمصدقين والمصدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله والقانتين والقانتات لله والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه والصابرين لله في البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والحافظات ذلك الا على أزواجهن ان كن حرائر أو من ملكهن ان كن اماء والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما يعني ثوابا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما وذلك الجنة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكركن الله في القرآن ولم نذكر بشيء أما فينا ما يذكر فأنزل الله تبارك وتعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات أي المطيعين والمطيعات والخاشعين والخاشعات أي الخائفين والخائفات أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما في الجنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأجرا عظيما قال الجنة وفي قوله والقانتين والقانتات قال المطيعين والمطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر قال القانتات المطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فنزلت ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أيذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا سيار بن مظاهر العنزي قال ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلب عن قابوس
ابن

ابن أبي لبيان عن أبيه عن ابن عباس قال قال نساء النبي صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان المسلمين والمسلمات قال قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ماللنساء لا يذكرن مع الرجال في الصلاح فأنزل الله هذه الآية **حدثني** محمد بن المعمر قال ثنا أبو هشام قال ثنا عبد الواحد قال ثنا عثمان بن حكيم قال ثنا عبد الرحمن ابن شيبة قال سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني ذات يوم ظهرا الا نداؤه على المنبر وأنا أسرح رأسي فلففت شعري ثم خرجت الى حجرة من حجرهن فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر يا أيها الناس ان الله يقول في كتابه ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى قوله أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ يقول تعالى ذكره لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أونهيا فقد ضل ضلالا مبينا يقول فقد جار عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدى والرشاد وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة فامتنعت من انكاحه نفسها ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحيه فقالت يارسول الله أؤامر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله ضلالا مبينا قالت قد رضيته لي يارسول الله منكحا قال نعم قالت اذا لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تكون لهم الخيرة من أمرهم قال زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال فتابعته بعد ذلك ورضيت **حدثني** أبو عبيد الوصافي قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة

فكذلك زوجاته اللواتي هن أمهات المؤمنين وليس في قوله (من يأت) دلالة على ان الاتيان بالفاحشة منهن ممكن الوقوع فان الله تعالى صان أزواج الانبياء من الفاحشة ولكنه في قوة قوله لئن أشركت ليحبطن عملك (٩) ولئن اتبعت أهواءهم وقوله (منكن) للبيان لا للتبعيض لدخول الكل تحت الارادة وقيل الفاحشة أريد بها كل الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه مايشق عليه وفي قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) اشارة الى أن كونهن نساء النبي لا يغني عنهن شيأ كيف وانه سبب مضاعفة العذاب وحين بين مضاعفة عقابهن ذكر زيادة ثوابهن في مقابلة ذلك والقنوت الطاعة ووصف الرزق بالكرم لأن رزق الدنيا لا يأتي بنفسه في العادة وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الأغيار ورزق الآخرة بخلاف ذلك ثم صرح بفضيلة نساء النبي بأنهن لسن كأحد من النساء كقولك ليس فلان كآحاد الناس أي ليس فيه مجرد كونه انسانا بل فيه وصف أخص يوجد فيه ولا يوجد في أكثرهم كالعلم أو العقل أو النسب أو الحسب قال جار الله أحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى اذا استقريت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وقوله (ان اتقيتن) احتمل أن يتعلق بما قبله وهو ظاهر واحتمل أن يتعلق بما بعده أي ان كنتن متقيات فلا تجبن بقولكن خاضعا الينا مثل كلام المريبات (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي ريبة وفجور وحين منعهن من الفاحشة ومن مقدماتها ومما يجر اليها أشار الى أن ذلك ليس أمرا بالايذاء والتكبر على الناس بل القول المعروف عند الحاجة هو المأمور به لا غير ثم أمرهن بلزوم بيوتهن بقوله (وقرن) بفتح القاف أمر من القرار باسقاط أحد حرفي التضعيف كقوله فظلتم تفكهون

عن عكرمة عن ابن عباس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الآية كلها * وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية قال نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من أول من هاجر من النساء فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذاك خاص وهذا اجماع ❁ القول في تأويل قوله تعالى (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له واذكر يا محمد اذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية وأنعمت عليه بالعتق يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته وهي في حبال مولاه فألقي في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها واتق الله وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك وتخفي في نفسك ما الله مبديه يقول وتخفي في نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه يقول تعالى ذكره وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه من الناس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تقول للذي أنعم الله عليه وهو زيد أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه قال وكان يخفي في نفسه ود أنه طلقها قال الحسن ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ولو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيأ من الوحي لكتمها وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قال خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة فوقع اعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر فجاء فقال يا رسول الله اني

وأصله اقررن من قرا بكسرها فهو امر من قر يقر قرارا اومن قر يقر بكسر القاف وقيل المفتوح من قولك قار يقار اذا اجتمع والتبرج اظهار الزينة كما مر في قوله غير متبرجات (١٠) بزينة وذلك في سورة النور والجاهلية الاولى هي القديمة التي كانت في أول زمن ابراهيم عليه السلام أو ما بين آدم ونوح أو بين ادريس ونوح أو في زمن داود وسليمن والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الأولى جاهلية الكفر والاخرى الفسق والابتداع في الاسلام وقيل ان هذه أولى ليست لها أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة وكانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال ثم أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم عاما في جميع الطاعات ثم علل جميع ذلك بقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) فاستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما أكد ازالة الرجس بالتطهير لان الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وقد مر في آية المباهلة أنهم أهل العباء النبي صلى الله عليه وسلم لانه أصل وفاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين رضي الله عنهما بالاتفاق والصحيح أن عليا رضي الله عنه منهم لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته اياه وورود الآية في شأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهن والتذكير للتغليب فان الرجال وهم النبي وعلي وأبناؤهم غلبوا على فاطمة وحدها أو مع أمهات المؤمنين ثم أكد التكاليف المذكورة بأن بيوتهن مهابط الوحي ومنازل الحكم والشرائع الصادرة من مشرع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم الآية بقوله (ان الله كان لطيفا خبيرا) ايذانا بأن تلك الأوامر والنواهي لطف منه في شأنهن وهو أعلم أريد بالمصطفين من عبيده المخصوصين بتأييده يروى أن أم سلمة أو كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن

أريد أن أفارق صاحبتي قال مالك أرابك منها شيء قال لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله ولا رأيت الا خيرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فذلك قول الله تعالى واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه تخفي في نفسك ان فارقها تزوجتها حدثني محمد بن موسى الحرشي قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبي حمزة قال نزلت هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه في زينب بنت جحش حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن علي بن حسين قال كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد يشكوها قال اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا داود عن عامر عن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي اليه من كتاب الله لكتم وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها يقول تعالى ذكره فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته وهي الوطر ومنه قول الشاعر

ودعني قبل أن أودعه * لما قضى من شبابنا وطرا

زوجناكها يقول زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم يعني في نكاح نساء من تبنوا وليسوا ببنيهم لا أولادهم على صحة اذا هم طلقوهن وبن منهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم وفارقوهن وحللن لغيرهم ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن وكان أمر الله مفعولا يقول وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أي كان كائنا لا محالة وانما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ماضيا مفعولا كائنا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا طلقوهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلما قضى زيد منها وطرا الى قوله وكان أمر الله مفعولا اذا كان ذلك منه غير نازل لك فذلك قول الله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم حدثني محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا الذي نزل تزويجي حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال كانت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدي وجدك واحد واني أنكحنيك الله من السماء وان السفير لجبرائيل عليه السلام ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا) يقول تعالى ذكره ما كان على النبي من حرج من اثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه اياها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي أحل الله وقوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

ولم يذكر النساء فنحن نخاف أن لا يقبل منا طاعة فنزلت ان المسلمين والمسلمات وذكر لهن عشر مراتب الاولى التسليم والانقياد لامر الله والثانية الايمان بكل ما يجب أن يصدق به فان المكلف يقول أولا كل ما يقول الشارع فأنا اقبله فهذا اسلام فاذا قال له شيئا وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده ثم ان اعتقاده يدعوه الى الفعل الحسن العمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة ثم اذا آمن وعمل صالحا كمل غيره ويأمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله (والصادقين والصادقات) ثم ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال في قصة لقمان واصبر على ما أصابك أي بسببه ثم انه اذا كمل في نفسه وكمل غيره قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله (والخاشعين والخاشعات) وفيه اشارة الى الصلاة لان الخشوع من لوازمها قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فلذلك اردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن فضم الى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التي هي ممنوع منها في الصوم مطلقا وفي غير الصوم مما وراء الازواج والسراري ثم ختم الأوصاف بقوله (والذاكرين الله كثيرا) يعني أنهم في جميع الاحوال يذكرون الله يكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم فروجهم لله وانما وصف الذكر بالكثرة في أكثر المواضع فقال في أوائل السورة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وقال في الآية والذاكرين الله كثيرا ويجيء بعد ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لان الاكثار من الافعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف على أن جميع الاعمال صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى وهي النية قال علماء العربية

فى الاية عطفان احدهما عطف الاناث على الذكور والاخر عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع ماقبله والاول يدل على اشتراك الصنفين فى الوصف المذكور وهو الاسلام فى الاول والايمان فى الثانى الى آخر الاوصاف والثانى من باب عطف الصفة

يقول لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله فى أنه لم يؤثمهم بما أحل لهم لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له ونصب قوله سنة الله على معنى حقا من الله كأنه قال فعلنا ذلك سنة منا وقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا يقول وكان أمر الله قضاء مقضيا * وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ان الله كان علمه معه قبل أن يخلق الاشياء كلها فأتمم فى علمه أن يخلق خلقا ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثوابا لأهل طاعته وعقابا لأهل معصيته فلما أتمم ذلك الأمر قدره فلما قدره كتب وغاب عليه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذى كتبه أنه يصيبهم وقرأ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا نفذ ذلك جاءتهم رسلنا يتوفونهم وأمر الله الذى أتمم قدره حين قدره مقدرا فلا يكون الا ما فى ذلك وما فى ذلك الكتاب وفى ذلك التقدير أتمم أمرا ثم قدره ثم خلق عليه فقال كان أمر الله الذى مضى وفرغ منه وخلق عليه الخلق قدرا مقدورا شاء أمرا ليمضى به أمره وقدره وشاء أمرا يرضاه من عباده فى طاعته فلما أن كان الذى شاء من طاعته لعباده رضيه لهم ولما أن كان الذى شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره وقرأ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار فقال وكذلك زينا لكل أمة عملهم وقال وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم هذه أعمال أهل النار ولو شاء الله ما فعلوه قال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الى قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وقرأ وأقسموا بالله جهد أيمانهم الى كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله أن يؤمنوا بذلك قال فأخرجوه من اسمه الذى تسمى به قال هو الفعال لما يريد فزعموا أنه ما أراد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله فى الذين خلوا من قبل محمد من الرسل الذين يبلغون رسالات الله الى من أرسلوا اليه ويخافون الله فى تركهم تبليغ ذلك اياهم ولا يخافون أحدا الا الله فانهم اياه يرهبون ان هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله الى من أرسلوا اليه يقول لنبيه محمد فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن ولا تخش أحدا الا الله فان الله يمنعك من جميع خلقه ولا يمنعك أحد من خلقه منه ان أراد بك سوأ والذين من قوله الذين يبلغون رسالات الله خفض ردا على الذين التى فى قوله سنة الله فى الذين خلوا وقوله وكفى بالله حسيبا يقول تعالى ذكره وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه ومحاسبا لهم عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما ﴾ يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم (١) الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذى ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة وكان الله بكل شئ من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شئ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم

على الصفة فيؤل معناه الى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم وحين انجر الكلام من قصة زيد الى ههنا عاد الى حديثه قال الراوى خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها اياه وساق عنه المهر ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط وهى أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده وقال أهل النظم انه تعالى لما أمر نبيه أن يقول لزوجاته انهن مخيرات فهم منه أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فعليه أن يترك حق نفسه لحظ غيره فذكر فى هذه الآية أنه لا ينبغى أن يظن ظان أن هوى نفسه متبع وأن زمام الاختيار بيد الانسان كما فى حق زوجات النبى بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فأمر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا لأن المقصد هو الله والهادى هو النبى فمن ترك المقصد وخالف الدليل ضل ضلالا لا يرعوى بعده ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر زينب ذات يوم بعد ما أنكحها زيدا فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يردها أولا

(١) لعله أى لم يلده الخ تأمل

رجالكم قال نزلت فى زيد انه لم يكن بابنه ولعمرى ولقد ولد له ذكور انه لأبو القاسم وابراهيم والطيب والمطهر ولكن رسول الله وخاتم النبيين أى آخرهم وكان الله بكل شئ عليما حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا على بن قادم قال ثنا سفيان عن نسير بن ذعلوق عن على بن الحسين فى قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم قال نزلت فى زيد بن حارثة والنصب فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والرفع بمعنى الاستئناف ولكن هو رسول الله والقراءة النصب عندنا واختلفت القراء فى قراءة قوله وخاتم النبيين فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين بمعنى أنه ختم النبيين ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ولكن نبيا ختم النبيين فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء بمعنى أنه الذى ختم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم خاتم النبيين بفتح التاء بمعنى أنه آخر النبيين كما قرأ مختوم ختامه مسك بمعنى آخره مسك من قرأ ذلك كذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا فلا تخلوا أبدانكم من ذكره فى حال من أحوال طاقتكم ذلك وسبحوه بكرة وأصيلا يقول صلوا له غدوة صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وقوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته يقول تعالى ذكره ربكم الذى تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا اذا أنتم فعلتم ذلك الذى يرحمكم ويثنى عليكم هو ويدعو لكم ملائكته وقيل ان معنى قوله يصلى عليكم وملائكته يشيع عنكم الذكر الجميل فى عباد الله وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور يقول تدعو ملائكة الله لكم فيخرجكم الله من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الاسلام * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا يقول لا يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال عذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله قال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وقال سبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبحوه بكرة وأصيلا صلاة الغداة وصلاة العصر وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور أى من الضلالات الى الهدى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور قال من الضلالة الى الهدى قال والضلالة الظلمات والنور الهدى وقوله وكان بالمؤمنين رحيما يقول تعالى ذكره وكان بالمؤمنين به وبرسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون ولأمره متبعون تحيتهم يوم يلقونه سلام يقول جل ثناؤه تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة فى الجنة سلام يقول بعضهم لبعض أمنة لنا ولكم

ولو أرادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك شئ منها قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتكبر على لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ولنرجع الى ما يتعلق بتفسير الالفاظ قوله (للذى) يعنى زيدا (أنعم الله عليه) بالايمان الذى هو أجل النعم وبتوفيق الاسباب حتى تبناه رسوله (وأنعمت عليه) أى بالاعتاق وبأنواع التربية والاختصاص وقوله (واتق الله) أى فى تطليقها فلا تفارقها نهى تنزيه لا تحريم أو أراد اتق فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وايذاء الزوج والذى أخفى النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه هو تعلق قلبه بها أو مودة مفارقة زيد اياها أو علمه بأن زيدا سيطلقها وعن عائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية وذلك أن فيه نوع تخالف الظاهر والباطن فى الظاهر وليس كذلك فى الحقيقة لان ميل النفس ليس يتعلق باختيار الآدمى فلا يلام عليه ولا هو مأمور بابدائه والذى أبداه كان مقتضى النصح والاشفاق والخشية والحياء من قالة الناس ان قلب النبى مال الى زوجة دعيه فبهذا القدر عوتب بقوله (والله أحق أن تخشاه) لان حسنات

الابرار سيئات المقربين فلعل الاولى بالنبي ان يسكت عن امسا كه حذرا من عقاب الله على ترك الاولى كما سكت عن تطليقه حياء من الناس قال جار الله الواوات فى قوله وتخفى وتخشى والله للحال ويجوز أن تكون للعطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك

(١٤)

واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك قوله (فلما قضى زيد منها) حاجته ولم يبق له فيها رغبة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) نفيا للحرج عن المؤمنين فى مثل هذه القضية فان الشرع كما يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم يستفاد من فعله أيضا بل الثانى يؤكد الاول ألا ترى أنه لما ذكر لم يفهم منه حل الضب ثم لم يأكل بقى فى النفوس شئ وحيث أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه لا يؤكل فى بعض الملل وكذلك الأرنب وقوله (اذا قضوا منهن وطرا) يفهم منه نفى الحرج عند قضاء الوطر بالطريق الاولى عن الخليل قضاء الوطر بلوغ كل حاجة يكون فيها همة وأراد بها فى الآية الشهوة وقيل التطليق فلا اضمار على هذا (وكان أمر الله مفعولا) مكونا لا محالة ومن جملة أوامره ما جرى من قصة زينب ثم نزه جانب النبي صلى الله عليه وسلم عن قالة الناس بقوله (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) اى قسم وأوجب (له) و (سنة الله) مصدر مؤكد لما قبله أى سن الله نفى الحرج سنة فى الانبياء الذين خلوا فكان منهم من تحته أزواج كثيرة كداود وسليمن وسيجىء قصتهما فى سورة ص ومعنى قدرا مقدورا قضاء مقضيا هكذا قاله المفسرون ولعل قوله وكان أمر الله مفعولا اشارة الى القضاء وهذا الاخير اشارة الى القدر وقد عرفت الفرق بينهما مرارا وفى قوله ولا يخشون أحدا الا الله تعريض بما صرح به فى قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وا الحسيب الكافى للمخاوف أو المحاسب على الصغائر والكبائر فيجب أن لا يخشى الا هو ثم أكد مضمون الآى المتقدمة الجميل

بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام قال تحية أهل الجنة السلام وقوله وأعد لهم أجرا كريما يقول وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم اياه فى الدنيا كريما وذلك هو الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأعد لهم أجرا كريما أى الجنة

* القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد انا أرسلناك شاهدا على أمتك بابلاغك اياهم ما أرسلناك به من الرسالة ومبشرهم بالجنة ان صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ونذيرا من النار أن يدخلوها فيعذبوا بها ان هم كذبوك وخالفوا ما جئتهم به من عند الله وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا على أمتك بالبلاغ ومبشرا بالجنة ونذيرا بالنار وقوله وداعيا الى الله يقول وداعيا الى توحيد الله وافراد الالوهة له واخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وداعيا الى الله الى شهادة أن لا اله الا الله وقوله باذنه يقول بأمره اياك بذلك وسراجا منيرا يقول وضياء لخلقه يستضىء بالنور الذى أتيتهم به من عند الله عباده منيرا يقول ضياء ينير لمن استضاء بضوئه وعمل بما أمره وانما يعنى بذلك أنه يهدى به من اتبعه من أمته وقوله وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا يقول تعالى ذكره وبشر أهل الايمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلا كبيرا يقول بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم اياه تضعيفا كثيرا وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين يقول ولا تطع لقول كافر ولا منافق فتسمع منه دعاءه اياك الى التقصير فى تبليغ رسالات الله الى من أرسلك بها اليه من خلقه ودع أذاهم يقول وأعرض عن أذاهم لك واصبر عليه ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله فى عباده والنفوذ لما كلفك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ودع أذاهم قال أعرض عنهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ودع أذاهم أى اصبر على أذاهم وقوله وتوكل على الله يقول وفوض الى الله أمورك وثق به فانه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمره وقضاؤه وكفى بالله وكيلا يقول وحسبك بالله قيما بأمورك وحافظا لك وكالئا * القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن يعنى من قبل أن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها يعنى من احصاء أقراء ولا أشهر تحصونها عليهن فمتعوهن يقول أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال وقوله وسرحوهن سراحا جميلا يقول وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف وهو التسريح

وهو أن زيدا لم يكن ابناله فقال (ما كان محمد أبا أحد) فكان لقائل أن يقول أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم فلذلك قيل من رجالكم نخرجوا بهذا القدر من جهتين احدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وبهذا الوجه يخرج الحسن والحسين أيضا من النفي لانهما لم يكونا بالغين حينئذ والأخرى أنه أضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين أو أراد الأب الأقرب وبعني الاستدراك في قوله (ولكن رسول الله) صلى الله عليه وسلم هو اثبات الابوة من هذه الجهة لان النبي كالأب لأمته من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه وأكد هذا المعنى بقوله (وخاتم النبيين) لأن النبي اذا علم أن بعده نبيا آخر فقد يترك بعض البيان والارشاد اليه بخلاف ما لو علم أن ختم النبوة عليه (وكان الله بكل شئ عليما) ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ومجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي ذلك لأنه ممن نبي قبله وهو يجيء على شريعة نبينا مصليا الى قبلته وكأنه بعض أمته ۞ التأويل لقد كان لكم في رسول الله أسوة أي كان في الاول مقدرا لكم متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلقت قدرتنا باخراج أرواحكم من العدم الى الوجود عقيب اخراج روح الرسول من العدم الى الوجود أول ما خلق الله نوري أو روحي وبحسب القرب الى روح الرسول والبعد عنه يكون حال الاسوة وكل ما يجري على الانسان من بداية عمره الى نهاية عمره من الافعال والاقوال والاخلاق والاحوال فمن كان يرجو الله كان عمله خالصا لوجه الله تعالى ومن كان يرجو اليوم الآخر يكون عمله للفوز بنعيم الجنان وكل هذه المقامات مشروط بالذكر وهو كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله نفيا واثباتا وهما قدمان للسائرين الى الله وجناحان للطائرين بالله ولما رأى المؤمنون الاحزاب المجتمعين على اضلالهم واهلاكهم من النفس وصفاتها والدنيا وزينتها

الجميل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من قبل أن يمسها فاذا طلقها واحدة بانت منه ولا عدة عليها تتزوج من شاءت ثم قرأ فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يقول ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف فان لم يكن سمى لها صداقا متعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل * وقال بعضهم المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات الى قوله سراحا جميلا قال قال سعيد بن المسيب ثم نسخ هذا الحرف المتعة وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال نسخت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن قال نسخت هذه الآية التي في البقرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن يعني اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال صدقاتهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيرا أو قليلا وقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك يقول وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن فملكتهن بالسباء وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فأحل الله له صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت له بعذري ثم أنزل الله عليه انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله اللاتي هاجرن معك قالت فلم أحل له لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود وبنات خالاتك

والـلاتى هاجرن معك بواو وذلك وان كان كذلك فى قراءته محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير الواو وذلك أن العرب تدخل الواو فى نعت من قد تقدم ذكره أحيانا كما قال الشاعر

فأن رشيدا وابن مروان لم يكن * ليفعل حتى يصدر الامر مصدرا

ورشيد هو ابن مروان وكان الضحاك بن مزاحم يتأول قراءة عبد الله هذه انهن نوع غير بنات خالاته وأنهن كل مهاجرة هاجرت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر عنه بذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى حرف ابن مسعود واللاتى هاجرن معك يعنى بذلك كل شئ هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى يقول وأحللنا له امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق فلم يكن يفعل ذلك وأحل له خاصة من دون المؤمنين وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبى بغير إن ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا وفيها ان واحد وذلك كقول القائل فى الكلام لا بأس أن يطأ جارية مملوكة ان ملكها وجارية مملوكة ملكها وقوله ان أراد النبى أن يستنكحها يقول ان أراد أن ينكحها فحلال له أن ينكحها اذا وهبت نفسها له بغير مهر خالصة لك يقول لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له وانما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولى ولا مهر إلا للنبى كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت فى ميمونة بنت الحرث انها التى وهبت نفسها للنبى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له الى أن وهب هؤلاء أنفسهن له فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين الا امرأة لها زوج حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن صالح بن مسلم قال سألت الشعبى عن امرأة وهبت نفسها لرجل قال لا يكون لا تحل له انما كانت للنبى صلى الله عليه وسلم واختلفت القراء فى قراءة قوله ان وهبت نفسها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ان وهبت بكسر الألف على وجه الجزاء بمعنى ان تهب وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ أن وهبت بفتح الألف بمعنى وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها لهبتها له نفسها والقراءة التى لا أستجيز خلافها بكسر الألف لاجماع الحجة من القراء عليه وأما قوله خالصة لك من دون المؤمنين ليس ذلك للمؤمنين وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أى النساء شاء فقصره الله على هؤلاء فلم يعدهن وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى عن زياد رجل من الانصار عن أبى بن كعب أن التى أحل الله للنبى من النساء هؤلاء اللاتى ذكر الله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن الى قوله فى أزواجهم

والشيطان واتباعه قالوا متوكلين على الله هذا ما وعدنا الله ورسوله ان البلاء موكل بالانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل من المؤمنين رجال يتصرفون فى الموجودات تصرف الذكور فى الاناث صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن لا يعبدوا غيره فى الدنيا والعقبى فمنهم من قضى نحبه فوصل الى مقصده ومنهم من ينتظر الوصول وهو فى السير وهذا حال المتوسطين وكفى الله المؤمنين القتال بريح القهر اذهبت على النفوس فأبطلت شهواتها وعلى الشيطان فردت كيده وعلى الدنيا فأزالت زينتها وأنزل الذين ظاهروهم أى أعانوا النفس والشيطان والهوى على القلوب من أهل الكتاب طالبى الرخص لا رباب الطلب المنكرين أحوال اهل القلوب من صياصيهم هى حصون تكبرهم وتجبرهم وأنزل وقعهم من حصون اعتقاد أرباب الطلب كيلا يقتدوا بهم ولا يغتروا بأقوالهم وقذف بنور قلوبهم فى قلوب النفوس والشياطين الرعب فريقا تقتلون وهم النفس وصفاتها والشيطان وأتباعه وتأسرون فريقا وهم الدنيا وجاهها وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم لتنفقوا فى سبيل الله وتجعلوها بذر مزرعة الآخرة وأرضا لم تطؤها يشير الى مقامات وكمالات لم يبلغوها فيبلغوها باستعمال الدنيا فان ذلك بعد الوصول لا يضر لانه يتصرف بالحق للحق قل لازواجك فيه اشارة الى أن حب الدنيا يمنعهن من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم مع أنهن محال النطفة الانسانية فى عالم الصورة فكيف لا يضر حب الدنيا لاهل القلوب الذين قلوبهم أرحام النطفة الروحانية الربانية والأجر العظيم هو لقاء الله العظيم فمن أحب غير الله وان كان الجنة نقص من الاجر بقدر ذلك الا محبة النبى صلى الله عليه وسلم لان محبة الجنة بالحظ دون الحق فيها ما تشتهى الانفس ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم بالحق لا الحظ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وانما ومضاعفة العذاب سقوطهن عن قرب الله وعن الجنة

كما أن ايتاء الاجر مرتين عبارة عن هذين وكان من دعاء السرى السقطى اللهم ان كنت تعذبنى بشئ فلا تعذبنى بذل الحجاب والرزق الكريم زرق المشاهدات الربانية يا نساء النبى هم الذين أسلموا أرحامهم قلوبهم لتصرفات (١٧) ولاية الشيخ ليست احوالهم كأحوال غيرهم

وإنما أحل الله للمؤمنين مثنى وثلاث ورباع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى آخر الآية قال حرم الله عليه ما سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح فى أى النساء شاء لم يحرم ذلك عليه فكان نساؤه يجدن من ذلك وجدا شديدا أن ينكح فى أى الناس أحب فلما أنزل الله انى قد حرمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك أعجب ذلك نساءه واختلف أهل العلم فى التى وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك فقال بعضهم لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى قال ان تهب وأما الذين قالوا قد كان عنده منهن فان بعضهم قال كانت ميمونة بنت الحرث وقال بعضهم هى أم شريك وقال بعضهم زينب بنت خزيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس قال وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى قال هى ميمونة بنت الحرث * وقال بعضهم زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثنى الحكم قال كتب عبد الملك الى أهل المدينة يسألهم قال فكتب اليه على قال شعبة وهو ظنى على بن حسين قال وقد أخبرنى به أبان بن تغلب عن الحكم أنه على بن الحسين الذى كتب اليه قال هى امرأة من الأسد يقال لها أم شريك وهبت نفسها للنبى * قال ثنا شعبة قال ثنى عبد الله بن أبى السفر عن الشعبى أنها امرأة من الانصار وهبت نفسها للنبى وهى ممن أرجأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بنى سليم كانت من اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثنى سعيد بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال كنا نتحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم اذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك وما خصصناهم به من الحكم فى ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة الا بولى عصبة وشهود عدول ولا تحل لهم منهن أكثر من اربع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا مطهر قال ثنا على بن الحسين قال ثنى أبى عن مطر عن قتادة فى قول الله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال ان مما فرض الله عليهم أن لا نكاح إلا بولى وشاهدين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال فى الاربع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن

من الخلق ان اتقيتن بالله من غيره فلا تخضعن بالقول لشئ من الدارين فان كثيرا من الصادقين خضعوا بالقول لأرباب الدنيا الذين فى قلوبهم مرض حب المال والجاه فاستجروهم ووقعوا فى ورطة الهلاك والحجاب فالقول المعروف وهو المتوسط الذى لا يكون فيه الميل الكلى الى أهل الدنيا أصوب والى الحق أقرب وقرن فى بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن فى عالم الحواس راغبين فى زينة الدنيا كعادة الجهلة وأقمن الصلاة التى هى معراج المؤمن يرفع يده من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالاعراض عما سواه ويرجع من مقام تكبر الانسان الى خضوع ركوع الحيوان ومنه الى خشوع سجود النبات ثم الى قعود الجماد فانه بهذا الطريق أهبط الى أسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق الى أن يصل الى مقام الشهود الذى كان فيه فى البداية الروحانية ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ثم يسلم عن يمينه على الآخرة وما فيها وعن شماله على الدنيا وما فيها وايتاء الزكاة بذل الوجود المجازى لنيل الوجود الحقيقى الرجس لوث الحدوث والبيت لأهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه آيات الواردات والكشوف ان الذين استسلموا للاحكام الأزلية وآمنوا بوجود المعارف الحقيقية وقنتوا أى أغرقوا الوجود فى الطاعة والعبودية وصدقوا فى عهدهم وصبروا على الخصال الحميدة وعن الأوصاف الذميمة وخشعوا أى أطرقت سريرتهم عند بوادة الحقيقة وتصدقوا بأموالهم وأعراضهم حتى لم يبق لهم مع أحد خصومة وصاموا بالامساك عن الشهوات

قتادة قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة الا بولى وصداق عند شاهدى عدل ولا يحل لهم من النساء الا أربع وما ملكت أيمانهم وقوله وما ملكت أيمانهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع وما ملكت أيمانهم فان جميعهن اذا كن مؤمنات أو كتابيات لهم حلال بالسباء والتسرى وغير ذلك من أسباب الملك وقوله لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما يقول تعالى ذكره انا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتى ذكرنا فى هذه الآية وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها لكيلا يكون عليك إثم وضيق فى نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التى أبحت لك نكاحهن من المسميات فى هذه الآية وكان الله غفورا لك ولأهل الايمان بك رحيما بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فقال بعضهم عنى بقوله ترجى تؤخر وبقوله تؤوى تضم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن يقول تؤخر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ترجى من تشاء منهن قال تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء وتؤوى اليك من تشاء قال تردها اليك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال فجعله الله فى حل من ذلك أن يدع من يشاء منهن ويأتى من يشاء منهن بغير قسم وكان نبى الله يقسم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن أبى رزين ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال لما أشفقن أن يطلقهن قلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت فكان ممن أرجى منهن سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة وكان ممن آوى اليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فما شاء صنع فى القسمة بين النساء أحل الله له ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وكان ممن آوى عليه السلام عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان قسمه من نفسه لهن سوى قسمه وكان ممن أرجى سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة فكان يقسم لهن ما شاء وكان أراد أن يفارقهن فقلن اقسم لنا من نفسك ما شئت ودعنا نكون على حالنا * وقال آخرون معنى ذلك تطلق وتخلى سبيل من شئت من نسائك وتمسك من شئت منهن فلا تطلق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن أمهات المؤمنين وتؤوى اليك من تشاء يعنى نساء النبى صلى الله عليه وسلم

ويعنى

وعن رؤية الدرجات وحفظوا فروجهم فى الظاهر عن الحرام وفى الباطن عن زوائد الحلال وذكروا الله بجميع أجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا صدر أمر عن المكلف أو عليه فان كان مخالفا للشرع وجب عليه الانابة والاستغفار وان كان موافقا للشرع فان كان موافقا لطبعه وجب عليه الشكر وان كان مخالفا لطبعه وجب أن يستقبله بالصبر والرضا وفى قوله والله أحق أن تخشاه دلالة على أن المخلصين على خطر عظيم حتى انهم يؤاخذون بميل القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم فاللطيف أسرع تغيرا فلما قضى زيد منها وطرا قضاء شهوته بين الخلق الى قيام الساعة ما كان على النبى من حرج فيما فيه أمان هو نقصان فى نظر الخلق فانه كمال عند الحق الا اذا كان النظر للحق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن نسبة المتابعين الى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كنسبة الابن الى الأب الشفيق ولهذا قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى

أن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج
وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى

أن تقر أعينهن ولا يحزنّ و يرضين بما آتيتهنّ كلهنّ والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبيّ فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهنّ واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك

ويعني بالارجاء يقول من شئت خليت سبيله منهنّ ويعني بالايواء يقول من أحببت أمسكت منهنّ * وقال آخرون بل معنى ذلك تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن في قوله ترجي من تشاء منهنّ وتؤوي اليك من تشاء قال كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها وقيل ان ذلك انما جعل الله لنبيه حين غار بعضهنّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذي كان يعطيهنّ فأمره الله أن يخيرهنّ بين الدار الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها ويمسك من اختار الله ورسوله فلما اخترن الله ورسوله قيل لهنّ اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله قسم لكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يقسم أو قسم لبعضكنّ ولم يقسم لبعضكنّ وفضل بعضكنّ على بعض في النفقة أو لم يفضل سوّى بينكنّ أو لم يسوّ قال الأمر في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم من ذلك شئ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر مع ما جعل الله له من ذلك يسوّي بينهنّ في القسم الا امرأة منهنّ أراد طلاقها فرضيت بترك القسم لها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين قال لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه قلن له افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت فأمره الله فآوى أربعا وأرجى خمسا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبيدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها للرجل حتى أنزل الله ترجي من تشاء منهنّ وتؤوي اليك من تشاء فقلت ان ربك ليسارع في هواك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر يعني العبدي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهنّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فنزلت أو فأنزل الله ترجي من تشاء منهنّ وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فقلت اني لأرى ربك يسارع لك في هواك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ترجي من تشاء منهنّ وتؤوي اليك من تشاء الآية قال كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم فهجرهنّ شهرا ثم نزل التخيير من الله فيهنّ فقرأ حتى بلغ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فخيرهنّ بين أن يخترن أن يخلي سبيلهنّ ويسرحهنّ وبين أن يقمن ان أردن الله ورسوله على أنهنّ أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهنّ ممن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهنّ ولا يحزنّ ويرضين اذا علمن أنه من قضائي عليهنّ ايثار بعضهنّ على بعض ذلك أدنى أن يرضين قال ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه فخيرهنّ بين أن يرضين بهذا أو يفارقهنّ فاخترن الله ورسوله الا امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك صلوات الله عليه وقد شرط الله له هذا الشرط ما زال يعدل بينهنّ حتى لقي الله * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره جعل لنبيه

لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين واعدلهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار
يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٣٠) وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما)

القرا آت ترجى بغير همز أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وحفص وخلف والأعشى والمفضل وعباس لا تحل بتاء التأنيث أبو عمرو ويعقوب اناه بالامالة وغيرها مثل الحوايا فى الانعام وافقهما الخزاز عن هبيرة ههنا بالامالة ساداتنا بالألف وبكسر التاء ابن عامر وسهل ويعقوب وجبلة الباقون على التوحيد كبيرا بالباء الموحدة عاصم وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالثاء المثلثة

الوقوف كثيرا لا وأصيلا ه النور ط رحيما ه سلام ج لاحتمال الجملة حالا واستئنافا كريما ه ونذيرا لا منيرا ه كبيرا ه على الله ط وكيلا ه تعتدونها ج لانقطاع النظم مع الفاء جميلا ه معك ج لاحتمال ما بعده العطف والنصب على المدح مع أن طول الكلام يرجح جانب الوقف يستنكحها ق للعدول على تقدير جعلناها خالصة المؤمنين ه حرج ط رحيما ه اليك من تشاء ط آتيتهن لان ما بعده واستئناف دخل على الشرط عليك ط كلهن ط قلوبكم ط حليما ه يمينك ط رقيبا ه اناه لا للعطف

أن يرجى من النساء اللواتى أحلهن له من يشاء ويؤوى اليه منهن من يشاء وذلك أنه لم يحصر معنى الارجاء والايواء على المنكوحات اللواتى كن فى حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث ايواؤها أو ارجاؤها منهن واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها أو ممن هن فى حبالك فلا تقربها وتضم اليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء التى أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها وممن هى فى حبالك فتجامعها اذا شئت وتتركها اذا شئت بغير قسم وقوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح فعزلته عن الجماع فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قال جميعا هذه فى نسائه ان شاء أتى من شاء منهن ولا جناح عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن ابتغيت ممن عزلت قال ومن ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه * وقال آخرون معنى ذلك ومن استبدلت ممن أرجيت فخليت سبيله من نسائك أو ممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن يعنى بذلك النساء اللاتى أحل الله له من بنات العم والعمة والخال والخالة واللاتى هاجرن معك يقول ان مات من نسائك اللاتى عندك أحد أو خليت سبيله فقد أحللت لك أن تستبدل من اللاتى أحللت لك مكان من مات من نسائك اللاتى هن عندك أو خليت سبيله منهن ولا يصلح لك أن تزداد على عدة نسائك اللاتى عندك شيأ * وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من قال معنى ذلك ومن ابتغيت إصابته من نسائك ممن عزلت عن ذلك منهن فلا جناح عليك لدلالة قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن على صحة ذلك لأنه لا معنى لان تقر أعينهن اذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة منهن الا أن يعنى بذلك ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد وقوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن يقول هذا الذى جعلت لك يا محمد من اذنى لك أن ترجى من تشاء من النساء اللواتى جعلت لك ارجاءهن وتؤوى من تشاء منهن ووضعى عنك الحرج فى ابتغائك اصابة من ابتغيت اصابته من نسائك وعزلك عن ذلك من عزلت منهن أقرب لنسائك أن تقر أعينهن به ولا يحزن ويرضين كلهن بما آتيتهن كلهن من تفضيل من فضلت من قسم أو نفقة وايثار من آثرت منهن بذلك على غيره من نسائك اذا هن علمن أنه من رضاى منك بذلك واذنى لك به واطلاق منى لا من قبلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذلك نحوه * والصواب من القراءة فى قوله بما آتيتهن كلهن الرفع غير جائز غيره عندنا وذلك أن كلهن ليس بنعت للهاء فى قوله

مع الاستدراك الحديث ط منكم ط فصلا بين وصف الخلق وحال الحق مع اتفاق الجملتين من الحق ط لابتداء حكم آخر حجاب ط
وقلوبهن ط أبدا ط عظيما ه عليما ه أيمانهن لا والوقف أجوز لتكون الواو للاستئناف واتقين الله ط شهيدا ه
النبي ط تسليما ه مهينا ه
مبينا ه جلابيبهن ط يؤذين ط
رحيما ه قليلا ه ج لأن قوله
ملعونين يحتمل أن يكون حالا
أومنه و باعلى الشتم ملعونين ه ج
لان الجملة الشرطية تصلح وصفا
واستئنافا تقتيلا ه قبل ط
تبديلا ه الساعة ط عند الله
ط قريبا ه سعيرا لا أبدا ج
لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف
نصيرا ه ج لاحتمال تعلق
الظرف بلا يجدون أو بيقولون
أو باذكر الرسولا ه السبيلا ه
كبيرا ه قالوا ط وجيها ه سديدا
ه لا ذنوبكم ه عظيما ه
الانسان ط جهولا ه لا
والمؤمنات ط رحيما ه ۞ التفسير
اعلم أن مبنى هذه السورة على
تأديب النبي صلى الله عليه وسلم
وقد مر أنه سبحانه بدأ بذكر ما ينبغي
أن يكون عليه النبي مع الله وهو
التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون
عليه مع أهله فأمر بعد ذلك عامة
المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين
وبدأ بما يتعلق بجانب التعظيم لله
وهو الذكر الكثير وفيه لطيفة وهي
أن النبي لكونه من المقربين لم يكن
ناسيا فلم يؤمر بالذكر بل أمر
بالتقوى والمحافظة عليها فانها تكاد
لا تتناهى والتسبيح بكرة وأصيلا
عبارة عن الدوام لأن مريد العموم
قد يذكر الطرفين و يفهم منهما
الوسط كقوله صلى الله عليه وسلم
ولو أن أولكم وآخركم قال جار الله
خص التسبيح بالذكر من جملة
الذكر لفضله على سائر الأذكار ففيه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه ولقائل أن يقول هذا لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله
الا الله وجوز أن يراد بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها و يراد بالتسبيح الصلاة و بالوقتين العموم كما مر أو صلاة الفجر والعشاءين

آتيتهن وانما معنى الكلام ويرضين كلهن فانما هو توكيد لما في يرضين من ذكر النساء واذا جعل
توكيدا للهاء التي في آتيتهن لم يكن له معنى والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك ولاجماع الحجة من القراء
على تخطئة قارئه كذلك وقوله والله يعلم ما في قلوبكم يقول والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها
الى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة يقول فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما
وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة وكان الله عليما
يقول وكان الله ذا علم بأعمال عباده وغير ذلك من الأشياء كلها حليما يقول ذا حلم عن عباده أن
يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم وينيب من
ذنوبه من أناب منهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن
من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا) اختلف أهل
التأويل في تأويل قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال بعضهم معنى ذلك لا يحل لك النساء
من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد
ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحل لك
النساء من بعد الآية الى رقيبا قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئا
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يحل لك النساء من بعد الى قوله
الا ما ملكت يمينك قال لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن فقال لا يحل
لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وهن التسع التي اخترن الله ورسوله * وقال آخرون
انما معنى ذلك لا يحل لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله
اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي وكأن قائلي هذه المقالة وجهوا الكلام
الى أن معناه لا يحل لك من النساء الا اللاتي أحللناها لك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى
قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد قال لأبي بن كعب هل
كان للنبي صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوج قال ما كان يحرم عليه ذلك فقرأت عليه
هذه الآية يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك قال فقال أحل له ضربا من النساء وحرم عليه ما سواهن
أحل له كل امرأة آتى أجرها وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات
خاله وبنات خالاته وكل امرأة وهبت نفسها ان أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين
حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد
الانصاري قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن
يتزوج قال وما يحرم ذلك عليه قال قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له
ضربا من النساء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود بن أبي هند قال ثني محمد
ابن أبي موسى عن زياد رجل من الانصار قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج فقال وما يمنعه من ذلك وربما قال داود وما يحرم
عليه ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد فقال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال يا أيها
النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله ان وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد

حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح لايحل لك النساء من بعد قال أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساء تهامة ومن شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلثمائة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة لايحل لك النساء من بعد هؤلاء التي سمى الله إلا بنات عمك الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لايحل لك النساء من بعد يعني من بعد التسمية يقول لايحل لك امرأة الا ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال أو ابنة خالة أو امرأة وهبت نفسها لك من كان منهن هاجر مع نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي حرف ابن مسعود واللاتي هاجرن معك يعني بذلك كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة * وقال آخرون بل معنى ذلك لايحل لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لايحل لك النساء من بعد لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة * وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال معنى ذلك لايحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي انا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وانما قلت ذلك أولى بتأويل الآية لأن قوله لايحل لك النساء عقيب قوله انا أحللنا لك أزواجك وغير جائز أن يقول قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك الا بنسخ أحدهما صاحبه وعلى أن يكون وقت فرض احدى الآيتين فعل الأخرى منهما فاذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم احدى الآيتين حكم الأخرى ولا تقدم تنزيل احداهما قبل صاحبتها وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة لم يجز أن يقال احداهما ناسخة الاخرى واذا كان ذلك كذلك ولم يكن لقول من قال معنى ذلك لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة معنى مفهوم اذ كان قوله من بعد انما معناه من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر إباحة المسلمات كلهن بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم صح ما قلنا في ذلك دون قول من خالف قولنا فيه واختلفت القراء في قراءة قوله لايحل لك النساء فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة يحل بالياء بمعنى لايحل لك شيء من النساء بعد وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة لاتحل لك النساء بالتاء توجيها منه الى أنه فعل للنساء والنساء جمع للكثير منهن * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم ولاجماع الحجة من القراء على القراءة بها وشذوذ من خالفهم في ذلك وقوله ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لايحل لك النساء من بعد المسلمات لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من الكوافر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال

ثنا

لان أداءها أشق ومراعاتها أشد ثم حرض المؤمنين على ذكره بأنه أيضا يذكرهم والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فلعله أراد باللفظ المشترك كلا مفهوميه كما ذهب اليه الشافعي أو في الكلام حذف أي وملائكته تصلي أو المراد بصلاة الملائكة هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لاستجابة دعوتهم كأنهم فعلوا الرحمة أو المراد القدر المشترك وهو العناية بحال المرحوم والمستغفر له وأصل الصلاة التعطف وذلك أن المصلي يتعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن يتعطف على غيره حنوا وترؤفا ثم بين غاية الصلاة وهي اخراج المكلف من ظلمات الضلال الى نور الهدى وفي قوله (وكان بالمؤمنين رحيما) بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى أن تلك الرحمة لاتخص السامعين وقت الوحي ومعنى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) مذكور في أول يونس وفي ابراهيم وأراد بيوم اللقاء يوم القيامة لان الخلق مقبلون على الله بكليتهم بخلاف الدنيا والأجر الكريم هو ما يأتيه عفوا صفوا من غير شوب نغص ثم أشار الى ما ينبغي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عليه مع عامة الخلق فقال (انا أرسلناك شاهدا) وهي حال مقدرة أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل وفيه أن الله تعالى جعل النبي شاهدا على وجوده بل على وحدانيته لان المدعى هو الذي يذكر شيئا بخلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس فلا ينبغي أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم مدع لها بل يقال انه شاهد عليها كما قال على مثل الشمس فاشهد ولانه قد جازاه بشهادته لله شهادته على نبوته كما قال والله يشهد انك لرسوله والحاصل أنه شاهد في الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد وانما قال (وداعيا الى الله باذنه) لان الشهادة للمرء لاتفتقر الى اذنه وكذلك الانذار والتبشير اذا قال من يطع الملك أفلح

ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من النصارى واليهود والمشركين ولو أعجبك حسنهنّ إلا ماملكت يمينك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين فى قوله لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ماملكت يمينك قال لا يحل لك أن تتزوّج من المشركات الا من سبيت فملكته يمينك منهن * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا أن تبدّل بأزواجك اللواتى هنّ فى حبالك أزواجا غيرهنّ بأن تطلقهنّ وتنكح غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ يقول لا يصلح لك أن تطلق شيأ من أزواجك ليس يعجبك فلم يكن يصلح ذلك له * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا أن تبادل من أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ قال كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطى هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ماملكت يمينك لا بأس أن تبادل بجاريتك ماشئت أن تبادل فأما الحرائر فلا قال وكان ذلك من أعمالهم فى الجاهلية * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهنّ غيرهن أزواجا وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لما قد بينا قبل من أن قول الذى قال معنى قوله لا يحل لك النساء من بعد لا يحل لك اليهودية والنصرانية والكافرة قول لا وجه له فاذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله ولا أن تبدّل بهنّ كافرة لا معنى له اذ كان من المسلمات من قد حرم عليه بقوله لا يحل لك النساء من بعد بالذى دللنا عليه قبل وأما الذى قاله ابن زيد فى ذلك أيضا فقول لا معنى له لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل ولا أن تبادل بهن من أزواج أو ولا أن تبدّل بهنّ بضم التاء ولكن القراءة المجمع عليها ولا أن تبدّل بهنّ بفتح التاء بمعنى ولا أن تستبدل بهن مع أن الذى ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف فى أمة نعلمه من الأمم أن يبادل الرجل آخر بامرأته الحرة فيقال كان ذلك من فعلهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله فان قال قائل أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج امرأة على نسائه اللواتى كنّ عنده فيكون موجها تأويل قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج الى ما تأولت أو قال وأين ذكر أزواجه اللواتى كنّ عنده فى هذا الموضع فتكون الهاء من قوله ولا أن تبدّل بهنّ من ذكرهنّ وتوهم أن الهاء فى ذلك عائدة على النساء فى قوله لا يحل لك النساء من بعد قيل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من شاء من النساء اللواتى كان الله أحلهنّ له على نسائه اللاتى كنّ عنده يوم نزلت هذه الآية وانما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها لاعجاب حسن المستبدلة له بها اياه اذ كان الله قد جعلهنّ أمهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة والرضا بالله ورسوله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فحرم على غيره بذلك ومنع من فراقهنّ بطلاق فأما نكاح غيرهنّ فلم يمنع

وقد أمدّ الله بنور نبوّته نور البصائر كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار وانما لم يشبه بالشمس لان الشمس لا يؤخذ منه شئ ويؤخذ من السراج سرج كثيرة وهم الصحابة والتابعون فى المثال ولهذا قال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ووصفهم بالنجم لان النجم لا يؤخذ منه شئ والتابعى لا يأخذ من الصحابى فى الحقيقة وانما يأخذ من النبيّ ووصف السراج بالانارة لان السراج قد يكون فاترا ومنه قولهم ثلاثة تضنى رسول بطئ وسراج لا يضئ ومائدة ينتظر لها من يجئ ويجوز أن يكون سراجا معطوفا على الكاف ويراد به القرآن ويجوز أن يكون المعنى وذا سراج أو تاليا سراجا قوله (ودع أذاهم) أى خذ بظاهرهم وادفع عنهم الاسر والقتل وحسابهم على الله واضافة أذاهم يحتمل أن يكون الى الفاعل والى المفعول ثم أمر المؤمنين بما يتعلق بجانب الشفقة على الخلق واكتفى بذكر الزوجات المطلقات قبل المسيس لانه اذا لزم الاحسان اليهنّ بمجرد العقد وهو المراد بالنكاح ههنا فبالوطء يكون أولى وقدم حكمهنّ فى سورة البقرة وقوله وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذلك لأجل تشطير الصداق وانما أعاد ذكرهن ههنا لبيان عدم وجوب العدة عليهن وتخصيص المؤمنات بالذكر دون الكتابيات ايذان بأنهن أولى بتخيرهن للنطفة وفى قوله (ثم طلقتموهن) تنبيه على أنه لا تفاوت فى هذا الحكم بين قريبة العهد من النكاح وبين بعيدة العهد منه فاذا لم تجب العدة على البعيدة العهد فلأن لا تجب على القريبة العهد أولى وقد يستدل بكلمة ثم على أن تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان المعية تنافى التراخى وفى قوله (فما لكم عليهن) دليل على أن العدة

منه بل أحل الله ذلك له على ما بين فى كتابه وقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحل الله له نساء أهل الارض **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعنى أهل الأرض **حدثني** عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء **حدثني** العباس بن أبى طالب قال ثنا معلى قال ثنا وهيب عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثى عن عائشة قالت ما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء **حدثني** أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء قال أحسب عبيد بن عمير حدثني قال أبو زيد وقال أبو عاصم مرة عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء قال وقال أبو الزبير شهدت رجلا يحدثه عطاء **حدثنا** أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا همام عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حل له النساء فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن الله حرم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتى خيرهن فاخترنه فما وجه الخبر الذى روى عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه اياها ووهبت يومها لعائشة قيل كان ذلك قبل نزول هذه الآية والدليل على صحة ما قلنا من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاقبها حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه كان من قيله لها قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فكلمته فراجعك فوالله لئن طلقك أولو كان طلقك لا كلمته فيك وذلك لا شك قبل نزول آية التخيير لأن آية التخيير انما نزلت حين انقضى وتت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية ان الله انما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن وأنه يرجى من يشاء منهن ويؤوى منهن من يشاء ويؤثر من شاء منهن على من شاء ولذلك قال له تعالى ذكره ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقرّ أعينهن ولا يحزنّ ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة فى حال لا يوم لها منه وغير جائز أن يكون كان ذلك منها الا فى حال كان لها منه يوم هو لها حق كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه اليها ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا فتأويل الكلام لا يحلّ لك يا محمد النساء من بعد اللواتى أحللتهنّ لك فى الآية قبل ولا أن تطلق نساءك اللواتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فتبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدّل به منهنّ إلا ما ملكت يمينك وأن فى قوله أن تبدّل بهن رفع لأن معناها لا يحل لك النساء من بعد ولا الاستبدال بأزواجك والا فى قوله الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء ومعنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتى أحللتهن لك الا ما ملكت يمينك من الاماء فان لك أن تملك من أىّ أجناس الناس شئت من الاماء وقوله وكان الله على كل شئ رقيبا يقول وكان الله على كل شئ

حق واجب للرجال على النساء وان كان لا يسقط باسقاطه لما فيها من حق الله تعالى أيضا ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تقول عددت الدراهم فاعتدها نحو كلته فاكتاله ثم عاد الى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وفائدة قوله اللاتى آتيت أجورهن وقوله مما أفاء الله عليك وقوله اللاتى هاجرن معك هى أن الله تعالى اختار لرسوله الافضل الاولى وذلك أن سوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن تسميه وتؤجله وكان التعجيل ديدن السلف ومن الناس من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطاء المهر لان المراة لها الامتناع الى أن تأخذ مهرها والنبي عليه السلام لم يكن يستوفى ما لا يجب له كيف وأنه اذا طلب شيأ حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر أن طالب الوطء ولا سيما فى المرة الاولى يكون هو الرجل لحياء المرأة ولو طلب النبىّ صلى الله عليه وسلم من المرأة التمكين قبل المهر لزم أن يجب وأن لا يجب ولا كذلك أحدنا ومما يؤكد هذا قوله (وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبىّ) صلى الله عليه وسلم يعنى حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها والجارية اذا كانت سبية مالكها ومخطوبة سيفه ورمحه فانها أحل وأطيب من المشتراة لكونها غير معلومة الحال قال جار الله السبي على ضربين سبي طيبة وهى ما سبي من أهل الحرب وسبي خبثة وهى ما سبي ممن له عهد فلا جرم قال سبحانه مما أفاء الله عليك لان فىء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث وكذلك اللاتى هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاربه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وانما لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهما مع أن لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع أختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاقتصار فى العمة والخالة لامكان سبق الوهم الى أن التاء فيهما للوحدة وشرط فى استحلال الواهبة نفسها ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها وفيه أنه لابد من قبول الهبة حتى يتم النكاح و به استدل أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة وحملها الشافعي على خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي الحسن الكرخي أن عقد النكاح

ما أحل لك وحرم عليك وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك ولا يؤده حفظ ذلك كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الله على كل شيء رقيبا أي حفيظا في قول الحسن وقتادة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله الا أن تدعوا الى طعام تطعمونه غير ناظرين إناه يعني غير منتظرين ادراكه وبلوغه وهو مصدر من قولهم قد أنى هذا الشيء يأني انى وأنيا واناء قال الحطيئة

وآنيت العشاء الى سهيل * أو الشعرى فطال بي الاناء

وفيه لغة أخرى يقال قد آن لك أي تبين لك أينا ونال لك وأنال لك ومنه قول رؤبة بن العجاج

هاجت ومثلي نوله أن يربعا * حمامة ناحت حماما سجعا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الى طعام غير ناظرين إناه قال متحينين نضجه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس غير ناظرين إناه يقول غير ناظرين الطعام أن يصنع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة غير ناظرين إناه قال غير متحينين طعامه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله ونصب غير في قوله غير ناظرين إناه على الحال من الكاف والميم في قوله الا أن يؤذن لكم لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة وهي من صفة الكاف والميم وكان بعض نحويي البصرة يقول لا يجوز في غير الجر على الطعام الا أن تقول أنتم ويقول ألا ترى أنك لو قلت أبدى لعبد الله على امرأة مبغضا لها لم يكن فيه الا النصب الا أن تقول مبغض لها هو لأنك اذا أجريت صفته عليها ولم تظهر الضمير الذي يدل على أن الصفة له لم يكن كلاما لو قلت هذا رجل مع امرأة ملازمها كان لحنا حتى ترفع فتقول ملازمها أو تقول ملازمها هو فتجر وكان بعض نحويي الكوفة يقول لو جعلت غير في قوله غير ناظرين إناه خفضا كان صوابا لأن قبلها الطعام وهو نكرة فيجعل فعلهم تابعا للطعام لرجوع ذكر الطعام في اناه كما تقول العرب رأيت زيدا مع امرأة محسنا اليها ومحسن اليها فمن قال محسنا جعله من صفة زيد ومن خفضه فكأنه قال رأيته مع التي يحسن اليها فاذا صارت الصلة للنكرة اتبعتها وان كانت فعلا لغير النكرة كما قال الأعشى

فقلت له هذه هاتها * الينا بأدماء مقتادها

فجعل المقتاد تابعا لاعراب بأدماء لانه بمنزلة قولك بأدماء تقتادها فخفضه لانه صلة لها قال وينشد * بأدماء مقتادها * بخفض الادماء لاضافتها الى المقتاد قال ومعناه هاتها

بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن قال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد والظاهر أن خالصة حال من امرأة وقال جار الله هي مصدر مؤكد كوعد الله أي خلص لك الاحلال خلوصا وفائدة هذا الحال على مذهب الشافعي ظاهرة وقال أبو حنيفة أراد بها أنها زوجته وهي من أمهات المؤمنين فأورد عليه أن أزواجه كلهن خالصات له فلا يبقى لتخصيص الواهبة فائدة وقوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم) جملة اعتراضية معناها أن الله قد علم ما يجب على المؤمنين في حق الأزواج وفي الاماء على أي حد وصفة ينبغي أن يكون ثم بين غاية الاحلال بقوله (لكيلا يكون عليك حرج) أي لئلا يكون عليك ضيق في دينك ولا في دنياك حيث أحللنا لك أصناف المنكوحات (وكان الله غفورا) للذي وقع في الحرج (رحيما) بالتوسعة والتيسير على عباده ثم بين أنه أحل له وجوه المعاشرة بهن من غير ايجاب قسم بينهن لانه صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى أمته كالسيد المطاع فزوجاته كالمملوكات فلا قسم لهن والارجاء التأخير والايواء الضم وهما خبران في معنى الامر (ومن ابتغيت ممن عزلت) يعني اذا طلبت من كنت تركتها (فلا جناح عليك) في شيء من ذلك وهذه قسمة جامعة للغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك واذا أمسك ضاجع أو ترك واذا ضاجع قسم أو لم يقسم واذا طلق أو هزل فاما أن يترك المعزولة أو يبتغيها يروى أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه

على يدى من اقتادها وأنشد أيضا

وان امرأ أهدى اليك ودونه * من الارض موماة و بيداء فيهق

لمحقوقة أن تستجيبى لصوته * وأن تعلمى أن المعان موفق

وحكى عن بعض العرب سماعا ينشد

أرأيت اذ أعطيتك الودّ كله * ولم يك عندى ان أبيت إباء

أمسلمتى للموت أنت فميت * وهل للنفوس المسلمات بقاء

ولم يقل فميت أنا وقال الكسائى سمعت العرب تقول يدك باسطها يريدون أنت وهو كثير فى الكلام قال فعلى هذا يجوز خفض غير * والصواب من القول فى ذلك عندنا القول باجازة جر غير فى غير ناظرين فى الكلام لا فى القراءة لما ذكرنا من الابيات التى حكيناها فأما فى القراءة فغير جائز فى غير غير النصب لاجماع الحجة من القراء على نصبها وقوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا يقول ولكن اذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلوا البيت الذى أذن لكم بدخوله فاذا طعمتم فانتشروا يقول فاذا أكلتم الطعام الذى دعيتم لأكله فانتشروا يعنى فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستأنسين لحديث فقوله ولا مستأنسين لحديث فى موضع خفض عطفا به على ناظرين كما يقال فى الكلام أنت غير ساكت ولا ناطق وقد يحتمل أن يقال مستأنسين فى موضع نصب عطفا على معنى ناظرين لان معناه الا أن يؤذن لكم الى طعام لا ناظرين إناه فيكون قوله ولا مستأنسين نصبا حينئذ والعرب تفعل ذلك اذا حالت بين الاول والثانى فتردّ أحيانا على لفظ الاول وأحيانا على معناه وقد ذكر الفراء أن أبا القمقام أنشده

أجدّك لست الدهر رائى رامة * ولا عاقل الا وأنت جنيب

ولا مصعد فى المصعدين لمنعج * ولا هابطا ما عشت هضب شطيب

فردّ مصعد على أن رائى فيه باء خافضة اذ حال بينه و بين المصعد بما حال بينهما من الكلام ومعنى قوله ولا مستأنسين لحديث ولا متحدّثين بعد فراغكم من أكل الطعام ايناسا من بعضكم لبعض به كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا مستأنسين لحديث بعد أن تأكلوا واختلف أهل العلم فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وليمة زينب بنت جحش ثم جلسوا يتحدّثون فى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم و برسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حاجة فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله ذكر من قال ذلك حدثنى عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش فبعثت داعيا الى الطعام فدعوت فيجىء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجىء القوم يأكلون ويخرجون فقلت يا نبىّ الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه قال ارفعوا طعامكم وان زينب لجالسة فى ناحية البيت وكانت قد أعطيت جمالا وبقى ثلاثة نفر يتحدّثون فى البيت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت

عائشة وحفصة وأم سلمة و زينب و روى أنه كان يسوّى مع ما خير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك وقيل أراد تترك تزوّج من شئت من نساء أمتك وتتزوّج من شئت وعن الحسن وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها ومن قال ان القسم كان واجبا مع أنه ضعيف بالنسبة الى مفهوم الآية قال المراد تؤخرهن ان شئت فلا يجب القسم فى الاول وللزوج أن لا ينام عند أحد منهن (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فى ذلك فابدأ بمن شئت وتمم الدور والاول أقوى ثم قال (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرّة عيونهن وقلة حزنهن والى رضاهنّ جميعا لانه اذا لم يجب عليه القسم ثم انه يقسم بينهن حملهن ذلك على تلطفه وتخلصه وفى قوله (والله يعلم ما فى قلوبكم) وعيد لمن لم يرض منهنّ بما دبر الله له (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فتحا لباب التوبة وقوله (كلهن) بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لضمير المفعول فى آتيتهن ثم انه سبحانه شكر لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اختيارهن الله ورسوله فأنزل (لا يحل لك النساء من بعد) قال أكثر المفسرين أى من بعد التسع المذكورة فالتسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع نصاب أمته منهن وانه تعالى زاد فى اكرامهن بقوله (ولا أن تبدّل بهن) أى ولا يحل لك أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن وأكد النفى بقوله (من أزواج) وفائدته استغراق جنس جماعات الازواج بالتحريم وذهب بعضهم الى أن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهنّ والمعنى لا يحل لك النساء من بعد اللواتى نص على احلالهنّ من الأجناس الاربعة وأما غيرهنّ من الكتابيات والاماء بالنكاح والأعرابيات والغرائب فلا يحل لك التزوّج بهنّ

وقوله ولا أن تبدل بهن منع من فعل الجاهلية وهو قولهم بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فكان ينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه
يحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عيينة أين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال عليه السلام ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقوله (ولو أعجبك حسنهن) في موضع الحال أي مفروضا اعجابك بهن قال جار الله والأظهر أن جوابه محذوف يدل عليه ما قبله وهو لا يحل وفائدة هذه الشرطية التأكيد والمبالغة واستثنى ممن حرم عليه الاماء وفي قوله (وكان الله على كل شئ رقيبا) تحذير من مجاوزة حدوده واعلم أن ظاهر هذه الآية ناسخ لما كان قد ثبت له صلى الله عليه وسلم من تحريم مرغوبته على زوجها وفيه حكمة خفية وذلك أن الانبياء يشتد عليهم برحاء الوحي في أول الامر ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع أصحابهم فكان الحاجة الى تفريغ بال النبي تكون في أول الامر أكثر لوهي القوة ولعدم إلفه بالوحي فاذا تكاملت قوته وحصل إلفه بتعاقب الوحي لم يبق له الالتفات الى غير الله فلم يحتج الى احلال التزوج بمن وقع بصره عليها وعن عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعني أن الآية نسخت ونسخها إما بالسنة عند من يجوز نسخ القرآن
بخبر الواحد وإما بقوله انا أحللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ثم عاد الى ارشاد الأمة وحالهم مع النبي إما حال الخلوة
فالواجب هنالك احترام أهله وأشار اليه بقوله لا تدخلوا وإما حال الملأ فالواجب وقتئذ التعظيم بكل ما أمكن وذلك قوله ان الله وملائكته

البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فأتى حجر نسائه فقالوا مثل
ما قالت عائشة فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الثلاثة يتحدثون في البيت وكان النبي صلى الله
عليه وسلم شديد الحياء فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فلا أدري أخبرته
أو أخبر أن الرهط قد خرجوا فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت والاخرى خارجة
اذ أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب حدثني أبو معاوية بشر بن دحية قال ثنا سفيان
عن الزهري عن أنس بن مالك قال سألني أبي بن كعب عن الحجاب فقلت أنا أعلم الناس به نزلت
في شأن زينب أولم النبي صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى قوله ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن حدثني أحمد بن عبد الرحمن
ابن وهب قال ثني عمي قال أخبرني يونس عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أنه كان
ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب
حين أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج وخرجت معه لكي
يخرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى
دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه
فاذا هم قد خرجوا فضرب بيني وبينه سترا وأنزل الحجاب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن
أبي عدي عن حميد عن أنس قال دعوت المسلمين الى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة
بنى بزينب بنت جحش فأوسعهم خبزا ولحما ثم رجع كما كان يصنع فأتى حجر نسائه فسلم عليهن
فدعون له ورجع الى بيته وأنا معه فلما انتهينا الى الباب اذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية
البيت فلما أبصرهما ولى راجعا فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته وليا مسرعين فلا
أدري أنا أخبرته أو أخبر فرجع الى بيته فأرخى الستر بيني وبينه ونزلت آية الحجاب حدثنا ابن
بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب قلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لو حجبت عن أمهات المؤمنين فانه يدخل عليك البر والفاجر فنزلت آية
الحجاب حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا حماد
ابن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما
أهديت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما ودعا القوم فجاؤا فدخلوا وزينب مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت وجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يخرج ثم يدخل وهم قعود قال فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى
فاسألوهن من وراء حجاب قال فقام القوم وضرب الحجاب حدثني عمر بن اسمعيل بن مجالد قال
ثنا أبي عن بيان عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه فأرسلني
فدعوت قوما الى الطعام فلما أكلوا وخرجوا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قبل بيت

عائشة فرأى رجلين جالسين فانصرف راجعا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو داود قال ثنا المسعودي قال ثنا ابن نهشل عن أبي وائل عن عبد الله قال أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب حدثني محمد بن مرزوق قال ثنا أشهل بن حاتم قال ثنا ابن عون عن عمرو بن سعيد عن أنس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يمر على نسائه قال فأتى بامرأة عروس ثم جاء وعندها قوم فانطلق فقضى حاجته واحتبس وعاد وقد خرجوا قال فدخل فأرخى بيني و بينه سترا قال فحدثت أبا طلحة فقال ان كان كما تقول لينزلن في هذا شئ قال ونزلت آية الحجاب * وقال آخرون كان ذلك في بيت أم سلمة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قال كان هذا في بيت أم سلمة قال أكلوا ثم أطالوا الحديث فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ويستحيي منهم والله لا يستحيي من الحق * قال ثنا سعيد عن قتادة واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب قال بلغنا أنهن أمرن بالحجاب عند ذلك وقوله ان ذلكم كان يؤذي النبي يقول ان دخولكم بيوت النبي من غير أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم له كان يؤذي النبي فيستحيي منكم أن يخرجكم منها اذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام أو يمنعكم من الدخول اذا دخلتم بغير اذن مع كراهيته لذلك منكم والله لايستحيي من الحق أن يتبين لكم وان استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب يقول واذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعا فاسألوهن من وراء حجاب يقول من وراء ستر بينكم و بينهن ولا تدخلوا عليهن بيوتهن ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن يقول تعالى ذكره سؤالكم اياهن المتاع اذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء وفي صدور النساء من أمر الرجال وأحرى من أن لايكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل * وقد قيل ان سبب أمر الله النساء بالحجاب انما كان من أجل أن رجلا كان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة معهما فأصابت يدها يد الرجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت آية الحجاب * وقيل نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب و يعقوب قالا ثنا هشيم قال ثنا حميد الطويل عن أنس قال قال عمر بن الخطاب قلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن قال فنزلت آية الحجاب حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ثني عمرو بن عبد الله بن وهب قال ثني

يونس

كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون و يقعدون منتظرين لادراكه فقيل لاتدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا وقت الاذن أي مأذونين والا غير ناظرين اناه وانى الطعام ادراكه أي الطعام انى نحو قلاه قلى وقيل اناه وقته فقد تلخص أن الاذن مشروط بكونه الى الطعام فلزم منه أن لايجوز الدخول اذا لم يكن الاذن الى طعام كالدخول بالاذن لاستماع كلام مثلا فأجيب بأن الخطاب مع قوم كانوا موصوفين بالتحين للطعام فمنعوا من الدخول في وقته من غير اذن ويجوز بعضهم أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي لاتدخلوا الى طعام الا أن يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت الطعام بغير الاذن وللاول أولى ولا يشترط في الاذن التصريح به اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قيل الا أن يؤذن على البناء للمفعول ليشمل اذن الله واذن الرسول أو العقل المؤيد بالدليل وقوله (فانتشروا) للوجوب وليس كقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا وذلك للدليل العقلي على أن بيوت الناس لاتصلح للمكث بعد الفراغ مما دعي لأجله وللدليل النقلي وذلك قوله (ولا مستأنسين لحديث) وهو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب على الحال أي لاتدخلوها هاجمين ولا مستأنسين يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا الى أن قال يارسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يارسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له و رجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء وذلك قوله (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) أي من اخراجكم فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع

يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كنّ يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول يارسول الله احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قدعرفناك ياسودة حرصا أن ينزل الحجاب قال فأنزل الله الحجاب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت خرجت سودة لحاجتها بعدما ضرب علينا الحجاب وكانت امرأة تفرع النساء طولا فأبصرها عمر فناداها ياسودة انك والله ماتخفين علينا فانظرى كيف تخرجين أوكيف تصنعين فانكفأت فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليتعشى فأخبرته بما كان وما قال لها وان فى يده لعرقا فأوحى اليه ثم رفع عنه وان العرق لفى يده فقال لقد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ **حدثنى** أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى وائل عن ابن مسعود قال أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهنّ متاعا فاسألوهنّ من وراء حجاب **حدثنى** أبو أيوب النهرانى سليمن بن عبد الحميد قال ثنا يزيد ابن عبدربه قال ثنى ابن حرب عن الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم كنّ يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قدعرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة فأنزل الله الحجاب قال الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا الآية وقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله يقول تعالى ذكره وما ينبغى لكم أن تؤذوا رسول الله وما يصلح ذلك لكم ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا يقول وما ينبغى لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهن أمهاتكم ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه وذكر أن ذلك نزل فى رجل كان يدخل قبل الحجاب قال لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما قال ربما بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول لو أن النبيّ صلى الله عليه وسلم توفى تزوجت فلانة من بعده قال فكان ذلك يؤذى النبيّ صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة بنت الأشعث فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بعد ذلك فشق على أبى بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله انها ليست من نسائه انها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها منه بالردة التى ارتدت مع قومها فاطمأن أبو بكر وسكن **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى

فنزلت الآية ناهية للثقلاء أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو يستأنسون حديث أهل البيت واستماعه ومعنى لا يستحيي لا يمتنع ولا يترك كما مر فى أول البقرة والضمير فى سألتموهن لنساء النبيّ بقرينة الحال قال الراوى ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يقول يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت والمتاع الماعون وما يحتاج اليه وثانى مفعولى فاسألوهن محذوف وهو المتاع المدلول عليه بما قبله (ذلكم) الذى ذكر من السؤال من وراء الحجاب (أطهر) لاجل قلوبكم لأن العين روزنة القلب ومنها تنشأ الفتنة غالبا وروى أن بعضهم قال نهينا أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة عنى عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم بقوله (وما كان) أى وما صح (لكم أن تؤذوا رسول الله) بوجه من الوجوه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم) الايذاء والنكاح (كان عند الله) ذنبا (عظيما) لأن حرمة الرسول ميتا كحرمته حيا ثم بين بقوله (ان تبدوا شيأ) الآية أنهم ان لم يؤذوه فى الحال ولكن عزموا على ايذائه أو نكاح أزواجه بعده فالله عالم بكل شئ فيجازيهم بحسب ذلك ثم انه لما أنزل الحجاب استثنى المحارم بقوله لا جناح عليهن أى لا اثم عليهن فى ترك الاحتجاب من هؤلاء قال فى التفسير الكبير عند الحجاب لما امر الله الرجل بالسؤال من وراء الحجاب فيفهم كون المرأة محجوبة عن الرجل بالطريق الأولى وعند الاستثناء قال لا جناح عليهن فرفع الحجاب عنهن فالرجال أولى بذلك وقدم الآباء لان اطلاعهم على بناتهم أكثر فقد رأوهن فى حالة الصغر ثم الابناء ثم الاخوة وقدم بنى الاخوة لان بنى الاخوات آباؤهم ليسوا بمحارم انما هم أزواج خالات أبنائهم فقد يصف الابن خالته عند أبيه ففى ذلك نوع مفسدة فأوجبت التأخر عن رتبة المحرمية ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين أو لأنهما قد يصفان لابنائهما

وأبناؤهما غير محارم وقد يستدل بقوله (ولا نسائهن) مضافة الى المؤمنات انه لا يجوز التكشف للكافرات في وجه وانه را المماليك لان محرميتهم
كالأمر الضروري والا فالمفسدة في التكشف لهم ظاهرة ولهذا عقبه بقوله (واتقين) فان التكشف لهم مشروط
بشرط سلامة العاقبة والأمن من
الفتنة ومنهم من قال المراد من كان
منهم دون البلوغ قال جار الله في نقل
الكلام من الغيبة الى الخطاب
في قوله واتقين فضل تشديد بعث
على سلوك طريقة التقوى فيما أمرن
به من الاحتجاب كأنه قيل وليكن
عملكن في الحجب أحسن مما كان
وأتقن غير محتجبات ليفضل سركن
علنكن ثم أكد المكلى بقوله (ان الله
كان على كل شيء شهيدا) وفيه أنه
لا يتفاوت في علمه ظاهر الحجاب
وباطنه ثم كمل بيان حرمة النبي بأنه
محترم في الملا الأعلى فليكن واجب
الاحترام في الملا الأدنى وقد مر
معنى الصلاة في السورة وانما قال
هنالك هو الذي يصلي عليكم
وملائكته وقال ههنا (ان الله
وملائكته يصلون) ليلزم منه تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن
افراد الواحد بالذكر وعطف الغير
عليه يوجب تفضيلا للمذكور على
المعطوف فكأنه سبحانه شرف
الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة
صلاتهم على النبي صلى الله عليه
وسلم استدل الشافعي بقوله (صلوا
عليه وسلموا) وظاهر الامر
للوجوب أن الصلاة في التشهد
واجبة وكذا التسليم لانه لا يجب
بالاتفاق في غير الصلاة فيجب فيها
وذكر المصدر للتأكيد ليكمل
السلام عليه وهو قول المصلي السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
ولم يؤكد الصلاة هذا التأكيد
لأنها كانت مؤكدة بقوله ان الله
وملائكته يصلون وسئل النبي كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وعنه صلى الله عليه وسلم

قال ثنا داود عن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وقد ملك بنت الأشعث بن قيس
ولم يجامعها فذكر نحوه وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما يقول ان أذاكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الاثم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان تبدوا
شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما) يقول تعالى ذكره ان تظهروا بألسنتكم شيأ أيها الناس من
مراقبة النساء أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول لأتزوجن زوجته
بعد وفاته أو تخفوه يقول أو تخفوا ذلك في أنفسكم فان الله كان بكل شيء عليما يقول فان الله بكل ذلك
وبغيره من أموركم وأمور غيركم عليم لا يخفى عليه شيء وهو يجازيكم على جميع ذلك ۞ القول
في تأويل قوله تعالى (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن
ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا)
يقول تعالى ذكره لا حرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في آبائهن ولا اثم ثم اختلف
أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهن الجناح في هؤلاء فقال بعضهم وضع عنهن الجناح في وضع
جلابيبهن عندهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن
أبي ليلى عن عبد الكريم عن مجاهد في قوله لا جناح عليهن في آبائهن الآية كلها قال أن تضع الجلباب
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا جناح عليهن في آبائهن
ومن ذكر معه أن يروهن * وقال آخرون وضع عنهن الجناح فيهن في ترك الاحتجاب ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله لا جناح عليهن الى
شهيدا فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ذلك
وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسمين أن لا يحتجبن منهم وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب
وبعد قول الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب فلأن يكون قوله لا جناح عليهن
في آبائهن استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب اذا سألوهن ذلك أولى
وأشبه من أن يكون خبرا مبتدأ عن غير ذلك المعنى فتأويل الكلام اذا لا اثم على نساء النبي صلى الله
عليه وسلم وأمهات المؤمنين في اذنهن لآبائهن وترك الحجاب منهن ولا لأبنائهن ولا لاخوانهن
ولا لأبناء اخوانهن وعنى باخوانهن وأبناء اخوانهن اخوتهن وأبناء اخوتهن وخرج معهم جمع ذلك
مخرج جمع فتى اذا جمع فتيان فكذلك جمع أخ اذا جمع اخوان وأما اذا جمع اخوة فذلك نظير جمع
فتى اذا جمع فتية ولا أبناء اخوانهن ولم يذكر في ذلك العم على ما قال الشعبي حذارا من أن يصفهن
لأبنائه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن داود عن الشعبي
وعكرمة في قوله لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء
أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا قال لأنهما ينعتانها
لأبنائهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال
ثنا حماد عن داود عن عكرمة والشعبي نحوه غير أنه لم يذكر ينعتانها وقوله ولا نسائهن يقول
ولا جناح عليهن أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال

قال قال ابن زيد في قوله ولا نسائهن قال نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهن جناح أن يرين تلك الزينة قال وانما هذا كله في الزينة قال ولا يجوز للمرأة أن تنظر الى شيء من عورة المرأة قال ولو نظر الرجل الى فخذ الرجل لم أر به بأسا قال ولا ما ملكت أيمانهن فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل قال وأما الكحل والخاتم والخضاب فلا بأس به قال والزوج له فضل والآباء من وراء الرجل لهم فضل قال والآخرون يتفاضلون قال وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة قال وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من المماليك وقوله ولا ما ملكت أيمانهن من الرجال والنساء وقال آخرون من النساء وقوله واتقين الله يقول وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه الا فيما أباح لكن تركه والزمن طاعته ان الله كان على كل شيء شهيدا يقول تعالى ذكره ان الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن وترككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له وغير ذلك من أموركن يقول فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله وهو شاهد عليكم بمعصيته وخلاف أمره ونهيه فتهلكن فانه شاهد على كل شيء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ يقول تعالى ذكره ان الله وملائكته يبركون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول يباركون على النبي وقد يحتمل أن يقال ان معنى ذلك أن الله يرحم النبي وتدعو له ملائكته ويستغفرون وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله انما هو دعاء وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه تسليما يقول وحيوه تحية الاسلام * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال سمعت الله يقول ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية فكيف الصلاة عليك فقال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثني جعفر بن محمد الكوفي قال ثنا يعلى بن الأجلح عن الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قمت اليه فقلت السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا أبو اسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال ان الله وملائكته الآية فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك فقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد

من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ومن العلماء من أوجب الصلاة كلما جرى ذكره لما روي في الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ومنهم من أوجبها في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والأحوط هو الأول وهو الصلاة عليه عند كل ذكر وأما الصلاة على غيره فقد مر الخلاف فيها في سورة التوبة في قوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ثم رتب الوعيد على ايذاء الله ورسوله فيجوز أن يكون ذكر الله توطئة وتشريفا واعلاما بأن ايذاء رسول الله هو ايذاء الله كقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ويجوز أن يراد بايذاء الله الشرك به ونسبته الى ما لا يجوز عليه وعن عكرمة هو فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق كخلق الله وقيل أذى رسول الله قولهم انه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي والأظهر التعميم وعن بعضهم أن اللعن في الدارين هو جزاء من يؤذي الله واعداد العذاب المهين هو جزاء من يؤذي رسول الله ولعل الفرق لاغ ثم رتب وعيدا آخر على ايذاء المؤمنين والمؤمنات ولكن قيده بقوله بغير ما اكتسبوا لانه اذا صدر عن أحدهم ذنب جاز ايذاؤه على الوجه المحدود في الشرع ولعل المراد هو الايذاء القولي لقوله (فقد احتملوا بهتانا) ويحتمل أن يقال احتمال البهتان سببه الايذاء القولي واحتمال الاثم المبين سببه الايذاء الفعلي ويحتمل أن يكون كلاهما وسببه الايذاء القولي وانما وقع الاكتفاء به لأنه أجرح للقلب ولامكان الاستدلال به على الفعلي ولأن ايذاء الله لا يكون الا بالقول الا اذا جعل السجود للصنم ايذاء قيل نزلت في ناس من المنافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في افك عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ثم أراد أن يدفع عن أهل بيت نبيه

وعن أمته المثالب التي هي مظان لصوق العار فقال (يا أيها النبي) الاية ومعنى (يدنين عليهن) يرخين عليهن يقال للمرأة اذا زل الثوب عن وجهها أدني ثوبك على وجهك ومعنى التبعيض في (من جلابيبهن) أن يكون للمرأة جلابيب فتقتصر على واحد منها

عن ابراهيم في قوله ان الله وملائكته الآية قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثني يعقوب الدورقي قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الانصاري قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على آل ابراهيم اللهم بارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم وقال الحسن اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا﴾ يعني بقوله تعالى ذكره ان الذين يؤذون الله ان الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم اياه وركوبهم ما حرم عليهم وقد قيل انه عني بذلك أصحاب التصاوير وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد القرشي قال ثنا يحيى بن سعيد عن سلمة بن الحجاج عن عكرمة قال الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا قال يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي فيما ذكر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا قال نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب وقوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة يقول تعالى ذكره أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه وقوله والذين يؤذون المؤمنين كان مجاهد يوجه معنى قوله يؤذون الى يقفون ذكر الرواية بذلك عنه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين يؤذون قال يقفون فمعنى الكلام على ما قال مجاهد والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات ويعيبونهم طلبا لشينهم بغير ما اكتسبوا يقول بغير ما عملوا كما حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بغير ما اكتسبوا قال عملوا حدثنا نصر ابن علي قال ثنا عثام بن علي عن الأعمش عن مجاهد قال قرأ ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات

أو أريد طرف من الجلباب الذي لها وكانت النساء في أول الاسلام على عادتهن في الجاهلية متبذلات يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرة والامة فأمرن بلبس الأردية والملاحف وستر الرأس والوجوه (ذلك) الادناء (أدنى) وأقرب الى (أن يعرفن) أنهن حرائر أو أنهن لسن بزانيات فان التي سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها (فلا يؤذين) لا هن ولا رجالهن أقاربهن لان أكثر الايذاء والطعن انما يتفق من جهة نساء العشيرة اذا كن مرئيات فضلا عن كونهن مزينات (وكان الله غفورا) لما قد سلف (رحيما) حين أرشدكم الى هذا الأدب الجميل ولما أوعدهم بعذاب الآخرة خوفهم بعقاب الدنيا قائلا (لئن لم ينته المنافقون) عن الايذاء (والذين في قلوبهم مرض) وهم الضعفة الايمان أو الزناة وأهل الفجور (والمرجفون) في مدينة الرسول وهم الخائضون في أخبار السوء من غير حقيقة سمي بذلك لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة روي أن ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله يوقعون في الناس أنهم قتلوا أو هزموا وكانوا يقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك ومعنى (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم وهو مجاز من قولهم أغريت الجارحة بالصيد والمراد لنأمرنك بأن تفعل ما يضطرهم الى الجلاء ثم لا يساكنونك في المدينة إلا زمنا قليلا ريثما يتأهبون فيرتحلون بأنفسهم وعيالهم ومعنى ثم تراخي الرتبة كأنه يفعل بهم أفاعيل تسوءهم الى أن يبلغ حد الاضطرار فيزعجهم

ويجوز أن يكون قليلا منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين وفي قوله لا يجاورونك عطف على جواب

القسم كأنه قيل ان لم ينتهوا لا يجاورونك (سنة الله) أي سنة الله في الذين ينافقون في الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وقال مقاتل أراد كما قتل وأسر أهل بدر (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل ويتنسخ فان النسخ يكون في الأحكام

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا قال فكيف اذا أوذي بالمعروف فذلك يضاعف له العذاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن علي عن الأعمش عن ثور عن ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا قال كيف بالذي يأتي اليهم المعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فاياكم وأذى المؤمن فان الله يحوطه ويغضب له وقوله فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يقول فقد احتملوا زورا وكذبا وفرية شنيعة وبهتان أفحش الكذب واثما مبينا يقول واثما يبين لسامعه أنه اثم وزور ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين لا تتشبهن بالاماء في لباسهن اذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن فكشفن شعورهن ووجوههن ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض لهن فاسق اذا علم أنهن حرائر بأذى من قول ثم اختلف أهل التأويل في صفة الادناء الذي أمرهن الله به فقال بعضهم هو أن يغطين وجوههن ورؤسهن فلا يبدين منهن إلا عينا واحدة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيدة في قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن فلبسها عندنا ابن عون قال ولبسها عندنا محمد قال محمد لبسها عندي عبيدة قال ابن عون بردائه فتقنع به فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن قال فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن احدى عينيه ❊ وقال آخرون بل أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الى قوله وكان الله غفورا رحيما قال كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن وإدناء الجلباب أن تقنع وتشد على جبينها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين أخذ الله عليهن اذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقد كانت المملوكة اذا مرت تناولوها بالايذاء فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالاماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يدنين عليهن من جلابيبهن يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

لا في الأفعال والأخبار ثم ان المشركين واليهود كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استهزاء وامتحانا فأمر نبيه أن يقول ان ذلك العلم مما استأثر الله ولكنها قريبة الوقوع ومعنى قريبا شيأ قريبا أو يوما أو زمانا ثم أوعدهم بما أعد لهم من عذاب السعير ومعنى تقليب وجوههم تصريفها في الجهات كاللحم يدار على النار حين يشوى أو تغييرها عن أحوالها أو تحويلها عن هيآتها أو نكسها على رؤسها والوجه عبارة عن الجملة وخص بالذكر لأنه أشرف وأكرم واذا كان الأشرف معرضا للعذاب فالأخس أولى ثم حكى أنهم يعترفون ويتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك ثم يطلبون بعض التشفي بالدعاء على من أضلهم قوله (ضعفين) أي ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم من قرأ (لعنا كبيرا) بالباء الموحدة فالمراد أشد اللعن وأفظعه ومن قرأ بالثاء المثلثة أراد تكثير عدد اللعن وقد علموا أن العذاب حاصل فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب وكثرة اللعن أو عظمه قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال المفسرون نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وايذاء موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذف موسى أو حديث الادرة أو البرص الذي قرفوه بذلك ففر الحجر بثوبه حتى رأوه عريانا وقد مر في البقرة وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا حتى أبصروه فعرفوا أنه غير مقتول أو أحياه الله عز وجل فأخبرهم ببراءة موسى

عمن حدثه عن أبي صالح قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن اذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل فأنزل الله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة وقوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول تعالى ذكره إدناؤهن جلابيبهن اذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به ويعلموا أنهن لسن باماء فيتنكبوا عن أذاهن بقول مكروه أو تعرض بريبة وكان الله غفورا لما سلف منهن من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن رحيما بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بادناء الجلابيب عليهن

القول في تأويل قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) يقول تعالى ذكره لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون الكفر ويظهرون الايمان والذين في قلوبهم مرض يعني ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو بن علي قال ثنا أبو عبد الصمد قال ثنا مالك بن دينار عن عكرمة في قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال هم الزناة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة والذين في قلوبهم مرض قال شهوة الزنا * قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا أبو صالح التمار قال سمعت عكرمة في قوله في قلوبهم مرض قال شهوة الزنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن حدثه عن أبي صالح والذين في قلوبهم مرض قال الزناة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين والذين في قلوبهم مرض أصحاب الزنا قال أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا وقرأ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض قال والمنافقون أصناف عشرة في براءة قال فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء وقوله والمرجفون في المدينة يقول وأهل الارجاف في المدينة بالكذب والباطل وكان ارجافهم فيما ذكر كالذي حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة الآية الارجاف الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق وكانوا يقولون أتاكم عدد وعدة وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله بهذه الآية قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآية فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والمرجفون في المدينة هم أهل النفاق أيضا الذين يرجفون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وقوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لنغرينك بهم أي لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم قوله ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا يقول ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها الا قليلا من المدة

ومعنى (ممـا قالوا) من مؤدّى قولهم أومن مضمون مقولهم (وكان عنـد الله وجيها) ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يذب ويدفع عنـه المثالب والمطاعن كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وروى عن شنبوذ وكان عبدالله ثم أشار الى ما ينبغي أن يكون المؤمن عليـه فقال (يـأيها الذين آمنوا اتقوا الله) والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتقويم أمركم بسداد قولكم فبتقوى الله يصلح العمل وبصلاح العمل تكفر السيئآت وترفع الدرجات أمرهم أولا بالتخلية وهي ترك الايذاء وثانيا بالتحلية وهي التقوى الموجبـة لتحصيل الاخلاق الفاضلة ثم علق الفوز العظيم بالطاعة المسماة بالأمانة في قوله (انا عرضنا الأمانة) فقيـل العرض حقيقة وقيل أراد المقابلة أي قابلنا الأمانة بالسموات فـرجحت الأمانة والعرض أسهل من الفرض ولهذا كفر ابليس بالاباء ولم يكفر هؤلاء بالاباء لأن هناك استكبارا وههنا استصغارا بدليل قوله (وأشفقن منها) وقد يقال المضاف محذوف أي عرضناها على أهل السموات والأرض والجبال وانمـا صير الى هـذا التكلف لاستبعاد طلب الطاعة من الجمادات ولم يستبعده أهل البيان لأن المراد تصوير عظم الامانة وثقـل حملها فمثلت حال التكليف في صعوبته وثقـل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على هـذه الاجرام العظام واعلم أن التكليف هو الأمر بخـلاف ما في الطبيعة فهـذا النوع من التكليف ليس في السـموات والارض والجبال لان السماء لا يطلب منهـا الهبوط والارض لا يطلب منها الصعود ولا الحركة والجبال لا يطلب منها السير وكذا الملائكة ملهمون بالتسبيح والتقديس وسمى التكليف أمانة لأن من قصر فيه فعليه الغرامة ومن أداه فله الكرامة فعرض الأمانة بهذا المعنى والاجل على هذه الاجرام وإباؤها من حملها هو عدم صلوحها لهذا الامر أو المراد هو التصوير المذكور وقد خص بعضهم التكليف بقول لا اله الا الله

والاظهر عندى ان الامانة هى الاستعداد الذى جبل كل نوع من المخلوقات عليه وحمل الامانة عبارة عن عدم اداء حقها كما يقال فلان ركب عليه الدين فكل من أخرج ما فى قوته الى الفعل فهو مؤد للامانة وقاض حقها (٣٥) والا فهو حامل لها ولا ريب أن السموات

والأجل حتى ننفيهم عنها فنخرجهم منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا أى بالمدينة وقوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا يقول تعالى ذكره مطرودين منفيين أينما ثقفوا يقول حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ملعونين على كل حال أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا اذا هم اظهروا النفاق ونصب قوله ملعونين على الشتم وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل فيكون معناه ثم لا يجاورونك فيها الا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله فى الذين خلوا من قبل هؤلاء المنافقين الذين فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من ضربائهم هؤلاء المنافقين اذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلا ويلعنهم لعنا كثيرا * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل الآية يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنها فى خلقه تغييرا فأيقن أنه غير مغير فى هؤلاء المنافقين سنته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ يقول تعالى ذكره يسألك الناس يا محمد عن الساعة متى هى قائمة قل لهم انما علم الساعة عند الله لا يعلم وقت قيامها غيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يقول وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبا قد قرب وقت قيامها ودنا حين مجيئها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره ان الله أبعد الكافرين به من كل خير وأقصاهم عنه وأعدلهم سعيرا يقول وأعدلهم فى الآخرة نارا تتقد وتتسعر ليصليهموها خالدين فيها أبدا يقول ماكثين فى السعير أبدا الى غير نهاية لا يجدون وليا يتولاهم فيستنقذهم من السعير التى أصلاهموها الله ولا نصيرا ينصرهم فينجيهم من عقاب الله اياهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ يقول تعالى ذكره لا يجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا فى يوم تقلب وجوههم فى النار حالا بعد حال يقولون وتلك حالهم فى النار ياليتنا أطعنا الله فى الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه فكما مع أهل الجنة فى الجنة يا لها حسرة وندامة ما أعظمها وأجلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال الكافرون يوم القيامة فى جهنم ربنا انا أطعنا أئمتنا فى الضلالة وكبراءنا فى الشرك فأضلونا السبيل يقول فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والايمان بك والاقرار بوحدانيتك واخلاص طاعتك فى الدنيا ربنا آتهم ضعفين من العذاب يقول عذبهم من العذاب مثلى عذابنا الذى تعذبنا والعنهم لعنا كبيرا يقول واخزهم خزيا كبيرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا أى رؤسنا فى الشر والشرك حدثنى

مسخرات بأمر الله كل يجرى لأجل مسمى والأرض ثابتة فى مستقرها والجبال راسخة فى أمكنتها وهكذا كل نوع من الأنواع بما يطول تعدادها واليه الاشارة بقوله سبحانه وما منا الا له مقام معلوم الا الانسان فان كثيرا من الأشخاص بل أكثرها مائلة الى أسفل السافلين الطبع فلا جرم لم يقض حق الأمانة وانحط الى رتبة الأنعام فوصف بالظلومية لانه صرف الاستعداد فى غير ما خلق لأجله وبالجهولية لأنه جهل خاصة عاقبة افساد الاستعداد أو علم ولم يعمل بعلمه فنفى عنه العلم لانتفاء ثمرته فاللام فى الانسان للجنس وحمل الشئ على بعض الجنس يكفى فى صدقه على الجنس وفيه لطيفة أخرى مذكورة فى تأويل آخر سورة البقرة وذكروا فى سبب الاشفاق أن الامانة لا تقبل اما لعزتها ونفاستها كالجواهر الثمينة أولصعوبة حفظها كالزجاج مثلا وكلا المحذورين موجود فى التكليف وأيضا كان الزمان زمان نهب وغارة اذ العرض كان بعد خروج آدم من الجنة والشيطان وجنوده كانوا فى قصد المكلفين والعاقل لا يقبل الوديعة فى مثل ذلك الوقت وأيضا قد لا يقبل الأمانة لعسر مراعاتها ولاحتياجها الى تعهد ومؤنة كالحيوان المحتاج الى العلف والسقى والتكليف كذلك فانه يحتاج الى تربية وتمية بخلاف متاع يوضع

فى صندوق أو بيت فهذه الاشياء علمن ما فى التكليف من التبعات وجهلها الانسان فقبله فكان جهولا وقد ظلم آدم نفسه بالمخالفة فكان ظلوما وكذا أولاده الذين ظلموا أنفسهم بالعصيان وجهلوا ما عليهم من العقاب واعتذر بعضهم عن الانسان أنه نظر الى جانب من كلفه وقال المودع

عالم قادر لا يعرض الامانة الا على أهلها واذا أودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها وقال اياك نعبد واياك نستعين وقيل انه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة حيث قالوا أتجعل فيها (٣٦) من يفسد فيها وقال الحكيم المخلوقات على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الجزئي فقط كالبهائم تدرك الشعير وتأكله ولا تتفكر في عواقب الامور ولا تنظر في الدلائل ومنه من يدرك الكلي دون الجزئي كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والأكل ولهذا قالوا سبحانك لا علم لنا فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات ومنه من يدرك الامرين وهو الانسان له لذات بامور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية كلذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته فغير الانسان ان كان مكلفا كان بمعنى كونه مخاطبا لا بمعنى الامر بما فيه كلفة ومشقة وفي قوله (وحملها الانسان) دون أن يقول وقبلها اشارة الى ما في التكليف من الثقل والى ما يستحقه عليه من الاجر لو حمله كما أمر والى حيث أمروا لا غرم وجرم * (لطيفة) * الامانة عرضت على آدم فقبلها وكان أمينا عليها والقول قول الامين فهو فائز وأما أولاده فأخذوا الامانة منه والآخذ من الامين ليس بمؤتمن بل ضامن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وايمان حتى يصير أمينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لآدم من الفوز ولهذا ذكر ما فيه عاقبة حمل الامانة قائلا (ليعذب) الى قوله ويتوب اشارة الى الفريقين ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بازاء كون الانسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما في هذه الاشارة من البشارة * التأويل اذكروا الله ذكرا كثيرا فمن أحب شيأ أكثر ذكره وأهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر تكفيه الاشارة هو الذي يصلي عليكم أي لولا صلاتي عليكم لما وفقتم لذكري كما أنه لولا سابقة محبتي لما هديتم الى محبتي فكان في الازل بالمؤمنين رحيما فلهذا أخرجهم في الأبد

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا أطعنا سادتنا وكبراءنا قال هم رؤس الأمم الذين أضلوهم قال سادتنا وكبراءنا واحد وقرأت عامة قراء الأمصار سادتنا وروي عن الحسن البصري ساداتنا على الجماع والتوحيد في ذلك هي القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه واختلفوا في قراءة قوله لعنا كبيرا فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار بالثاء كثيرا من الكثرة سوى عاصم فانه قرأ لعنا كبيرا من الكبر والقراءة في ذلك عندنا بالثاء لاجماع الحجة من القراء عليها

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم ولا بفعل لا يحبه منكم ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذبا وباطلا فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم وكان عند الله وجيها يقول وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته اياه ثم اختلف أهل التأويل في الأذى الذي أوذي به موسى الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم رموه بأنه آدر وروي بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا ذكر الرواية التي رويت عنه ومن قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث عن ابن عباس في قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قال له قومه انك آدر قال فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بني اسرائيل قال فرأوه ليس بآدر قال فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا حدثني يحيى بن داود الواسطي قال ثنا اسحق بن يوسف الأزرق عن سفيان عن جابر عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قالوا هو آدر قال فذهب موسى يغتسل فوضع ثيابه على حجر فمر الحجر بثيابه فتبع موسى قفاه فقال ثيابي حجر فمر بمجلس بني اسرائيل فرأوه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الى وجيها قال كان أذاهم موسى أنهم قالوا والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر فآذى ذلك موسى فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة فلما قضى موسى غسله ذهب الى ثوبه ليأخذه انطلقت الصخرة تسعى بثوبه وانطلق يسعى في أثرها حتى مرت على مجالس بني اسرائيل وهو يطلبها فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجردا لا ثوب عليه قالوا والله ما نرى بموسى بأسا وانه لبريء مما كنا نقول له فقال الله فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه قال فكانوا يقولون ما يحمله على ذلك إلا عيب في فرجه يكره أن يرى فقام يوما يغتسل في الصحراء فوضع ثيابه على صخرة فاشتدت بثيابه قال وجاء يطلبها عريانا حتى اطلع عليهم عريانا فرأوه بريئا مما قالوا وكان عند الله وجيها قال والوجيه في كلام العرب المحب المقبول * وقال آخرون بل وصفوه بأنه أبرص ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر

عن سعيد قال قال بنو اسرائيل ان موسى آدر وقالت طائفة هو أبرص من شدّة تستره وكان يأتى كل يوم عينا فيغتسل و يضع ثيابه على صخرة عندها فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت الى مجلس بنى اسرائيل وجاء موسى يطلبها فلما رأوه عريانا ليس به شئ مما قالوا لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه فأثرت العصا فى الصخرة حدثنا بحر بن حبيب بن عربى قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا عوف عن محمد عن أبى هريرة فى هذه الآية لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل وقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب فى جلده إما برص و إما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا وان موسى خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فرأوه عريانا كأحسن الناس خلقا و برأه الله مما قالوا وان الحجر قام فأخذ ثوبه ولبسه فطفق بالحجر ضربا بذلك فوالله ان فى الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان موسى رجلا حييا ستيرا ثم ذكر نحوا منه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال حدّث الحسن عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل كانوا يغتسلون وهم عراة وكان نبى الله موسى حييا فكان يتستر اذا اغتسل فطعنوا فيه بعورة قال فبينا نبى الله يغتسل يوما اذ وضع ثيابه على صخرة فانطلقت الصخرة واتبعها نبى الله ضربا بعصاه ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى انتهت الى ملا من بنى اسرائيل أو توسطهم فقامت فأخذ نبى الله ثيابه فنظروا الى أحسن الناس خلقا وأعدله مروءة فقال الملا قاتل الله أفاكى بنى اسرائيل فكانت براءته التى برأه الله منها * وقال آخرون بل كان أذاهم اياه ادّعاءهم عليه قتل هرون أخيه ذكر من قال ذلك حدثنى على بن مسلم الطوسى قال ثنا عباد قال ثنا سفيان بن حبيب عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قول الله لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل أنت قتلته وكان أشدّ حبا لنا منك وألين لنا منك فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله الا الرخم فجعله الله أصم أبكم * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان بنى اسرائيل آذوا نبى الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به فبرأه الله مما آذوه به وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم انه أبرص وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هرون وجائز أن يكون كل ذلك لانه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قال الله انهم آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يـأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدّقوا الله و رسوله

من ظلمة الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيق انا أرسلناك شاهدا لنا بنعت المحبوبية ومبشرا للطالبين برؤية جمالنا ونذيرا للبطالين عن كمال حسننا وحسن كمالنا وداعيا الى الله باذنه لا بطبعك وهواك وسراجا منيرا فى أوقات عدم الدعوة وذلك أن النظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم كاف لمن كان له قلب مستنير فاذا انضمت الدعوة الى ذلك كان فى الهداية غاية وفضلا كبيرا هو القلب المستنير انا أحللنا لك أزواجك لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له فى الدنيا ما يحل لغيره فى الآخرة ان الله وملائكته يصلون صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة مناسبة لحضرة النبوة بحيث لا يفهم معناها غيرهما منها الرحمة ومنها المغفرة الواردة ومنها الشواهد ومنها الكشوف ومنها المشاهدة ومنها الجذبة ومنها القربة ومنها الشرب ومنها الرى ومنها السكون ومنها التجلى ومنها الفناء فى الله ومنها البقاء به وهكذا لأمته بحسب مراتبهم كقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم انا عرضنا الامانة هى قبول الفيض الالهى بلا واسطة ولهذا سمى أمانة لان الفيض من صفات الحق فلا يتملكه أحد وقد اختص الانسان به باصابة رشاش النور الالهى فكان عرض الفيض عاما على قلب المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالانسان لان نسبة الانسان الى سائر المخلوقات نسبة القلب الى الشخص فالروح يتعلق بالقلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق والشرايين الى سائر البدن فيتحرك به وهذا سر الخلافة انه كان ظلوما لانه خلق ضعيفا وحمل قويا جهولا لأنه ظن أنه خلق للمطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم أن هذه الصورة قشر وله لب وللبه لب هو محبوب الله فبقوة الظلومية والجهولية حمل الامانة ثم بروحه المنور برشاش الله أدى الامانة فصارت الصفتان فى حق حامل الامانة ومؤدى حقها مدحا وفى حق الخائنين فيها ذما ولما لم يكن لروح الملائكة ولغيرهم من المخلوقات راحلة تحملها بالعزة أبين منها وأشفقن

فالمخاطبون اذن على ثلاث طبقات طبقة يظهر فيها جمال صفة عدله وهم الملك والأجسام العلوية والسفلية سوى الثقلين لم يحملوا الأمانة
وتركوا نفعها لضرها وطبقة يظهر فيها جمال قهره وهم المشركون والمنافقون حملوها طمعا فى نفعها ثم لم يؤدوا حقها
بأن باعوها بالأعراض الفانية
والطبقة الثالثة المؤمنون وهم الذين
حملوها طوعا ورغبة وشوقا ومحبة
وأدوا حقها بقدر وسعهم ولكن
الحكم لكل جواد كبوة يقع قوم
صدقهم فى حجر بلاء وابتلاء
فيتوب الله عليهم بجذبات العناية
وهم مرآة جمال فضله ولطفه الله
حسبى ونعم الوكيل وبالله التوفيق

* (سورة سبأ وهى مكية حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنا عشر كلمها ثمانمائة وثلاث وثمانون آياتها أربع وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الافى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد أفترى على الله
كذبا أم به جنة بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم عرضها
من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا

اتقوا الله أن تعصوه فتستحقوا بذلك عقوبته وقولوا قولا سديدا يقول قولوا فى رسول الله
والمؤمنين قولا قاصدا غير جائر حقا غير باطل كما حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقولوا قولا سديدا يقول سدادا حدثنا ابن حميد قال ثنا
عنبسة عن الكلبى وقولوا قولا سديدا قال صدقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا أى عدلا قال قتادة يعنى به فى منطقه وفى عمله كله
والسديد الصدق حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم
ابن أبان عن عكرمة فى قوله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قولوا لا اله الا الله وقوله يصلح لكم أعمالكم
يقول تعالى ذكره للمؤمنين اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال فيصلح
أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم يقول ويعف لكم عن ذنوبكم فلا يعاقبكم عليها ومن يطع الله ورسوله
فيعمل بما أمره به وينتهى عما نهاه ويقل السديد فقد فاز فوزا عظيما يقول فقد ظفر بالكرامة
العظمى من الله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا﴾ اختلف أهل التأويل
فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه ان الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض
والجبال على أنها ان أحسنت أثيبت وجوزيت وان ضيعت عوقبت فأبت حملها شفقا منها
أن لا تقوم بالواجب عليها وحملها آدم انه كان ظلوما لنفسه جهولا بالذى فيه الحظ له ذكر من
قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله
انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال الأمانة
الفرائض التى افترضها الله على العباد * قال ثنا هشيم عن العوّام عن الضحاك بن مزاحم عن
ابن عباس فى قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها قال الأمانة
الفرائض التى افترضها الله على عباده * قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب وجويبر
كلاهما عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله انا عرضنا الأمانة الى قوله جهولا قال الأمانة
الفرائض قال جويبر فى حديثه قال فلما عرضت على آدم قال أى رب وما الامانة قال قيل ان
أديتها جزيت وان ضيعتها عوقبت قال أى رب حملتها بما فيها قال فما مكث فى الجنة الاقدر
ما بين العصر الى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية فأخرج منها حدثنا ابن بشار قال ثنا
محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية انا
عرضنا الأمانة قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت
عذبتك قال قد قبلت فما كان الا قدر ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة
حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انا عرضنا
الأمانة على السموات والأرض والجبال ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك
وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها
وهو قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا غرا بأمر الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا عرضنا الأمانة الطاعة

يا جبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدّر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه (٣٩) ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شئ حفيظ ﴾

عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم فلم تطقها فقال لآدم يا آدم اني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها فقال يا رب وما فيها قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك بن مزاحم في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال آدم قيل له خذها بحقها قال وما حقها قيل ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقن حملها فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها قال آدم وما فيها يا رب قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فقال تحملتها فقال الله تبارك وتعالى قد حملتكها فما مكث آدم الا مقدار ما بين الاولى الى العصر حتى أخرجه ابليس لعنه الله من الجنة والأمانة الطاعة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثني عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمرو وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا به فمنهم رسول الله ومنهم نبي ومنهم نبي رسول نزل القرآن وهو كلام الله ونزلت العربية والعجمية فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ولم يدع الله شيأ من أمره مما يأتون ومما يجتنبون وهي الحجج عليهم الا بينه لهم فليس أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن من القبيح ثم الأمانة أول شئ يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل الي والى أمتي فلا يهلك على الله الا هالك ولا يغفله الا تارك والحذر أيها الناس واياكم والوسواس الخناس وانما يبلوكم أيكم أحسن عملا حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال ثنا العوام العطار قال ثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وصام رمضان وحج البيت ان استطاع الى ذلك سبيلا وأدى الأمانة قالوا يا أبا الدرداء وما الأمانة قال الغسل من الجنابة فان الله لم يأمن ابن آدم على شئ من دينه غيره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن أبي بن كعب قال من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال ان الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها الله على آدم فقال بين اذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله له أما اذا تحملت

﴿ القراآت عالم الغيب بالرفع أبو جعفر ونافع وابن عامر ورويس علام بالجر وبناء المبالغة حمزة وعلي الباقون عالم بالجر وبدون المبالغة معاجزين بالألف وقد روى عن ابن كثير وأبي عمرو معجزين بالتشديد رجز أليم بالرفع صفة العذاب وكذلك في الجاثية ابن كثير وحفص ويعقوب وجبلة الآخرون بالجر ان نشأ نخسف أو نسقط على الغيبة فيهما حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون نخسف بهم بادغام الفاء في الباء علي كسفا بفتح السين حفص غير الخزاز والطير بالرفع حملا على لفظ المنادى يعقوب غير رويس

هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك بابا وغلقا فاذا خشيت فأغلق وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما أحللت لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال يعنى به الدين والفرائض والحدود فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قيل لهن احملنها تؤدين حقها فقلن لا نطيق ذلك وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قيل له أتحملها قال نعم قيل أتؤدى حقها قال نعم قال الله انه كان ظلوما جهولا عن حقها * وقال آخرون بل عنى بالأمانة فى هذا الموضع أمانات الناس ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق عن شريك عن الأعمش عن عبدالله بن السائب عن زاذان عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها أوقال يكفر كل شئ الا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له أد أمانتك فيقول أى رب وقد ذهبت الدنيا ثلاثا فيقال اذهبوا به الى الهاوية فيذهب به اليها فيهوى فيها حتى ينتهى الى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها الى شفير جهنم حتى اذا رأى أنه قد خرج زلت فهوى فى أثرها أبد الآبدين قالوا والأمانة فى الصلاة والأمانة فى الصوم والأمانة فى الحديث وأشد ذلك الودائع فلقيت البراء فقلت ألا تسمع الى ما يقول أخوك عبدالله فقال صدق * قال شريك وثنى عياش العامرى عن زاذان عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة فى الصلاة وفى كل شئ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى عمرو بن الحرث عن ابن أبى هلال عن أبى حازم قال ان الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التى تليها حتى فرغ منها ثم الأرضين ثم الجبال ثم عرضها على آدم فقال نعم بين أذنى وعاتقى فثلاث آمرك بهن فانهن لك عون (١) انى جعلت لك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شئ نهيتك عنه وجعلت لك فرجا وواريته فلا تكشفه الى ما حرمت عليك * وقال آخرون بل ذلك انما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده وخيانة قابيل أباه فى قتله أخاه ذكر من قال ذلك حدثنى موسى ابن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كان لا يولد لآدم مولود الا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له اثنان يقال لهما قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل وان هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال هى أختى ولدت معى وهى أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى وانهما قربا قربانا الى الله أيهما أحق بالجارية وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما أى بمكة ينظر اليها قال الله لآدم يا آدم هل تعلم أن لى بيتا فى الأرض قال اللهم لا قال ان لى بيتا بمكة فأته فقال آدم

(١) ترك الثالث والذى فى الدر انى جعلت لك بصرا وجعلت لك شفرتين فغضهما عن كل شئ نهيتك عنه وجعلت لك لسانا الخ فتنبه كتبه مصححه

الآخرون بالنصب حملا على المحل أو لأنه مفعول معه أو معطوف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير الريح بالرفع أبو بكر وحماد والمفضل بتقدير ولسليمن الريح مسخرة أو سخرت (٤٠) الريح له الرياح بالرفع أيضا ولكن مجموعا يزيد الباقون موحدا منصوبا كالجوابى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو وورش فى الوصل عبادى الشكور بسكون الياء حمزة والوقف بالياء لا غير منساته بالألف أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب وقرأ ابن ذكوان ساكنة الهمزة الآخرون بفتح الهمزة تبينت الجن على البناء للمفعول يعقوب غير زيد سبأ غير مصروف أبو عمرو والبزى سبأ بهمزة ساكنة ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل سبا بالالف ابن فليح وزمعة والقواس غير ابن مجاهد وأبى عون مسكنهم بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسرها على وخلف الباقون مساكنهم مجموعة بجنتيهم بضم الهاء سهل ويعقوب أكل خمط بضم الكاف والاضافة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون بالسكون والتنوين نجازى بضم النون وكسر الزاى الا الكفور بالنصب حمزة وعلى وخلف وحفص ويعقوب الآخرون بضم الياء وفتح الزاى وبرفع الكفور ربنا بالرفع باعد بلفظ الماضى من المفاعلة سهل الآخرون ربنا بالنصب على النداء باعد على الامر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد أمرا من التبعيد صدق بالتشديد عاصم وعلى وخلف الباقون بالتخفيف أى صدق فى ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك ۞ الوقوف فى الآخرة ط الخبير ٥ فيها ط الغفور ٥ الساعة ط لتأتينكم ٥ لمن قرأ عالم بالرفع أى هو عالم ومن خفض جعله نعتا لربى فلم يقف بالغيب ج لأن قوله لا يعزب يصلح حالا واستئنافا مبين ٥ لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف الصالحات ط كريم ٥ أليم ٥ الحق ج لأن قوله للسماء

ويهدى عطف على المعنى أى يحق قبوله ويهدى الحميد ه ممزق ط لأن مابعده فى حكم المفعول لانه مفعول ثان لينبئكم وانما كسرت لدخول اللام فى خبرها جديد ه ج للآية ولاتحاد المقول جنة ط البعيد ه (٤١) الارض ط السماء ط منيب ه

للسماء احفظى ولدى بالأمانة فأبت وقال للارض فأبت فقال للجبال فأبت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم وقربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول أنا أحق بها منك هى أختى وأنا أكبر منك وأنا وصى والدى فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لاتنكح أختى فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين الى قوله فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه فى رؤس الجبال وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه فى جبل وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فهو قول الله تبارك وتعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الى آخر الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ماقاله الذين قالوا انه عنى بالأمانة فى هذا الموضع جميع معانى الامانات فى الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله عرضنا الأمانة بعض معانى الأمانات لما وصفنا * وبنحو قولنا قال أهل التأويل فى معنى قول الله انه كان ظلوما جهولا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى انه كان ظلوما جهولا يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك فى قوله وحملها الانسان قال آدم انه كان ظالما جهولا قال ظلوما لنفسه جهولا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس انه كان ظلوما جهولا غرا بأمر الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان ظلوما جهولا قال ظلوما لها يعنى للأمانة جهولا عن حقها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره وحمل الانسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستسرون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله فى عبادتهم اياه الآلهة والأوثان والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات يرجع بهم الى طاعته وأداء الأمانات التى ألزمهم اياها حتى يؤدوها وكان الله غفورا لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها رحيما أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سوار ابن عبد الله العنبرى قال ثنى أبى قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال حتى ينتهى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات فيقول اللذان خاناها اللذان ظلماها المنافق والمشرك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين

فضلا ط والطير ج لأن ماينلوه يصلح حالا واستئنافا الحديد ه لا لتعلق أن صالحا ط بصير ه ورواحها شهر ط لأن قوله وأسلنا عطف على محذوف أى وسخرنا لسليمن الريح القطر ط ربه ط السعير ه راسيات ط شكرا ط الشكور ه منسأته ه المهين ه آية ج لاحتمال أن يكون التقدير هى جنتان وان يكون بدلا من آية وشمال ط له ط أى لكم بلدة غفور ه قليل ه كفروا ط الكفور ه السير ط آمنين ه ممزق ط شكور ه المؤمنين ه شك ط حفيظ ه

التفسير قال فى التفسير الكبير السور المفتتحة بالحمد خمس ثنتان فى النصف الاول الأنعام والكهف وثنتان فى النصف الاخير هذه والملائكة والخامسة وهى الفاتحة تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير وذلك لان المكلف له حالتان الابداء والاعادة وفى كل حالة لله علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فأشار فى أول الانعام الى نعمة الايجاد الاول بدليل قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين وأشار فى أول الكهف الى انزال الكتاب الذى به يتم نظام العالم ويحصل قوام معاش بنى آدم وأشار فى أول هذه السورة الى نعمة الايجاد الثانى بدليل قوله تعالى وله الحمد فى الآخرة وأشار فى أول سورة الملائكة الى الابقاء الابدى بدليل قوله جاعل الملائكة رسلا والملائكة بأجمعهم لايكونون رسلا الا يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كقوله وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى فى تحيتهم سلام عليكم طبتم وفاتحة الكتاب حيث تشتمل على نعمة الدنيا

والمشركات هذان اللذان خاناها و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات هذان اللذان أدياها وكان الله غفورا رحيما

آخر سورة الاحزاب ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة سبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير﴾ يقول تعالى ذكره الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات السبع وما في الارضين السبع دون كل ما يعبدون ودون كل شئ سواه لا مالك لشئ من ذلك غيره فالمعنى الذي هو المالك جميعه وله الحمد في الآخرة يقول وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة لأن منه النعم كلها على كل من في السموات والارض في الدنيا ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه اياهم في تقديره خبير بهم وبما يصلحهم وبما عملوا وما هم عاملون محيط بجميع ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو الحكيم الخبير حكيم في أمره خبير بخلقه القول في تأويل قوله تعالى ﴿يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور﴾ يقول تعالى ذكره يعلم ما يدخل الارض وما يغيب فيها من شئ من قولهم ولجت في كذا اذا دخلت فيه كما قال الشاعر

رأيت القوافي يتلجن موالجا * تضايق عنها أن تولجها الابر

يعني بقوله يتلجن موالجا يدخلن مداخل وما يخرج منها يقول وما يخرج من الارض وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعني وما يصعد في السماء وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شئ في السموات والارض مما ظهر فيها وما بطن وهو الرحيم الغفور وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم الغفور لذنوبهم اذا تابوا منها القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على اعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة استهزاء بوعدك اياهم وتكذيبا لخبرك قل لهم بلى تأتيكم وربي قسما به لتأتينكم الساعة ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه وتمجيدها فقال عالم الغيب واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة عالم الغيب على مثال فاعل بالرفع على الاستئناف اذ دخل بين قوله وربي وبين قوله عالم الغيب كلام حائل بينه وبينه وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة عالم على مثال فاعل غير أنهم خفضوا عالم ردا منهم له على قوله وربي اذ كان من صفته وقرأ ذلك بقية عامة قراء

لأن الكل اذا كان له فكل من ينتفع بشئ من ذلك كان مستنفعا بنعمه ثم صرح بأن له الحمد في الآخرة تفضيلا لنعم الآخرة على نعم الدنيا وايذانا بأنها هي النعمة الحقيقية التي يحق أن يحمد عليها ويثنى عليه من أجلها مع افادة الاختصاص بتقديم الظرف (وهو الحكيم) في الابتداء (الخبير) بالانتهاء ثم أكد علمه بقوله (يعلم ما يلج في الارض) أي يدخل فيها من المياه والحبات والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات ومياه الآبار والجواهر والمعدنيات (وما ينزل من السماء) من الامطار والارزاق وأنواع البركات والوحي (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد وقد أشار بقوله فيها دون أن يقول اليها الى أن الاعمال الصالحة مقبولة والنفوس الزكية واصلة فقد ينتهي الشئ الى الشئ ولا ينفذ فيه ولا يعصل به (وهو الرحيم) حين الانزال (الغفور) وقت عروج الاعمال للمفرطين في الاقوال والافعال ثم بين أن نعمة الآخرة باتيان الساعة الآخرة قد ينكرها قوم ثم رد عليهم بقوله (بلى) وأكد ذلك بقوله (وربي) ثم برهن على ذلك بقوله (عالم الغيب) لأن العالم بجميع الاشياء عالم بأجزاء الاحياء قادر على جمعها كما بدأها وفي قوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) اشارة الى أن الانسان له جسم أرضي وروح سماوي فالعالم بما في العالمين القادر على تأليفهما قادر على اعادتهما على ما كانا عليه وانما ذكر الاكبر مع أن الاصغر هو اللائق بالمبالغة لئلا يتوهم متوهم أن الصغار تثبت لكونها تنسى أما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته بل المراد أن الصغير والكبير مثبت في الكتاب وقد مر نظيره في يونس

وقدم السموات على الارض موافقة لقوله له ما فى السموات وما فى الارض بخلاف يونس فان المخاطبين فى الارض فقدمت ثم ذكر غاية الاعادة بقوله ليجزى الى قوله (من رجز أليم) ومعنى سعوا فى آياتنا أى فى ابطال آياتنا معاجزين مريدين تعجيز النبى فى التقرير والتبليغ أو يعجزون من آمن بنا وقيل أى مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا وقال ابن زيد جاهدين وهو قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعن قتادة الرجز سوء العذاب وحين بين جزاء المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعى المعجز علم منه حال غيرهما فالمؤمن الذى لم يعمل صالحا يكون له مغفرة من غير رزق كريم والكافر غير المعاند يكون له عذاب وان لم يكن من أسوأ أنواعه ثم بين أن الذين أوتوا العلم لا يغترون بشبهات أهل العناد و يرون ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ليس الحق الا هو والنزاع غير لفظى حتى يمكن تصحيح قول المعاند بوجه وأولو العلم هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم وقيل هم علماء أهل الكتابين الذين أسلموا و يرى من فعل القلب مفعولاه الذى مع صلته والحق وهو فصل وقيل ان يرى معطوف على ليجزى فلا وقف على أليم أى وليعلم أولو العلم عند مجىء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان و يحتجوا به على المعاند أو وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة والعزيز اشارة الى كونه منتقما من الساعين فى التكذيب والحميد اشارة الى أنه يشكر سعى من يصدق و يعمل صالحا وقدم صفة الهيبة لان الكلام مع منكرى البعث ثم قص عناد أهل قريش وخصهم بالتعجيب من حالهم لانهم تجاهلوا حين قالوا على رجل مع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عندهم أظهر من الشمس قصدوا بذلك الطعن والسخرية فأخرجوا الكلام مخرج الحكاية ببعض الاضاحيك والاعاجيب كأن لم يكونوا قد عرفوا منه الا أنه رجل ما ومعنى (مزقتم كل ممزق) فرقت أوصالكم كل تفريق

قراء الكوفة علام الغيب على مثال فعال و بالخفض ردا لاعرابه على اعراب قوله ورب اذ كان من نعته * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل هذه القراآت الثلاث قراآت مشهورات فى قراء الامصار متقاربات المعانى فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراآت فى ذلك الى أن أقرأها علام الغيب على القراءة التى ذكرتها عن عامة قراء أهل الكوفة فأما اختيارى علام على عالم فلانها أبلغ فى المدح وأما الخفض فيها فلانها من نعت الرب وهو فى موضع الجر وعنى بقوله علام الغيب علام ما يغيب عن أبصار الخلق فلا يراه أحد اما ما لم يكونه مما سيكونه أو ما قد كونه فلم يطلع عليه أحدا غيره وانما وصف جل ثناؤه فى هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب اعلاما منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه وان كانت جائية فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للذين كفروا بربهم بلى و ربكم لتأتينكم الساعة ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة يعنى جل ثناؤه بقوله لا يعزب عنه لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لا يعزب عنه يقول لا يغيب عنه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لا يعزب عنه قال لا يغيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يعزب عنه مثقال ذرة أى لا يغيب عنه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله مثقال ذرة يعنى زنة ذرة فى السموات ولا فى الارض يقول تعالى ذكره لا يغيب عنه شئ من زنة ذرة فما فوقها فما دونها أين كان فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك يقول ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر منه الا فى كتاب مبين يقول هو مثبت فى كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة و رزق كريم) يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب المبين كى يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم أولئك لهم مغفرة يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ورزق كريم يقول وعيش هنىء يوم القيامة فى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك لهم مغفرة لذنوبهم و رزق كريم فى الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم) يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب ليجزى المؤمنين ما وصف وليجزى الذين سعوا فى آياتنا معاجزين يقول وكى يثيب الذين عملوا فى ابطال أدلتنا وحججنا (١) معاونين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم أولئك لهم عذاب يقول هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم و يعنى بالأليم الموجع * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سعوا فى آياتنا معاجزين أى لا يعجزون أولئك لهم عذاب من رجز أليم قال الرجز سوء العذاب الأليم الموجع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله

(١) لعله معاندين أومفاوتين تأمل كتبه مصححه

وجوّز جار الله أن يكون اسم مكان فمن الاموات ما حصل أجزاؤه في بطون الطير والسباع ومنها ما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب
أو سفته الرياح فطرحته كل مطرح والعامل في اذا ما دل عليه قوله انكم لفي خلق جديد وهو تبعثون أو تخلقون ثم ازدادوا

في المجاهل قائلين (أفترى على الله كذبا) ان كان يعتقد خلافه أم به جنة ان كان لا يعتقد خلافه وفيه أن الكافر لا يرضى بالكذب البحت فيردد كلامه بين الامرين ولكن أخطأ ابن أخت خالته حين ترك قسما ثالثا وهو أنه عاقل صادق فلذلك رد الله عليهم بقوله (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال اذ العذاب من لوازم الضلال وموجباته قابل قولهم أفترى بالعذاب وقولهم به جنة بالضلال البعيد لان نسبة الجنون الى العاقل أقل في باب الايذاء من نسبة الافتراء اليه وقد أسقطت همزة الوصل في قوله أفترى استثقالا لاجتماع همزتين همزة الاستفهام المفتوحة وهمزة الوصل المكسورة وهو على القياس وجوز بعضهم أن يكون هذا الاستفهام من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وحين قرر دليل الحشر من جهة كونه علام الغيوب أراد أن يذكر دليلا آخر على ذلك من قبل كمال قدرته فقال (أفلم يروا) معناه أعموا فلم ينظروا خصت بالفاء وليس غيره في القرآن تعجيلا للجواب وتعقيبا لحل الشبهة نظيره قوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ثم هددهم بأنه قادر على أن يجعل عين النافع ضارا بالخسف واسقاط الكسف وقال جار الله
أراد فلم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن يخرجوا بما
من أقطارهما فلم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول كما فعل بقارون وأصحاب الايكة

والذين سعوا في آياتنا معاجزين قال جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها قال وهم المشركون وقرأ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم وليرى الذين أوتوا العلم فيرى في موضع نصب عطفا به على قوله يجزي في قوله ليجزي الذين آمنوا وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظرائه الذين قد قرؤا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان فقال تعالى ذكره وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أنزل اليك يا محمد من ربك هو الحق * وقيل عنى بالذين أوتوا العلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق قال أصحاب محمد وقوله ويهدي الى صراط العزيز الحميد يقول ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه الى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه فأياديه عندهم ونعمه لديهم وانما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي الى الاسلام

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم متعجبين من وعده اياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض هل ندلكم أيها الناس على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد يقول يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الارض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتا عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اذا أكلتكم الارض وصرتم رفاتا وعظاما وقطعتكم السباع والطير انكم لفي خلق جديد ستحيون وتبعثون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هل ندلكم على رجل الى خلق جديد قال يقول اذا مزقتم واذا بليتم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا ذلك كل ممزق انكم لفي خلق جديد قال ينبئكم أنكم فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها ولكن ابتدأ بها ابتداء لأن النبأ خبر وقول فالكسر في ان لمعنى الحكاية في قوله ينبئكم دون لفظه كأنه قيل يقول لكم انكم لفي خلق جديد

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم ذلك أفترى هذا الذي يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذبا فتخلق عليه ذلك باطلا من القول وتخرص عليه قول الزور أم به جنة يقول أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قال قالوا تكذيبا أفترى على الله كذبا قال قالوا اما أن يكون يكذب على الله أم به جنة واما أن يكون مجنونا بل الذين لا يؤمنون الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم قال بعضهم لبعض أفترى على الله كذبا أم به جنة الرجل مجنون فيتكلم

(ان فى ذلك) النظر والاعتبار (لآية لكل عبد منيب) لان الراجع الى ربه قلما يخلو من الاعتبار والاستبصار ثم ذكر من عباده المنيبين اليه داود وسليمن كما قال فى ص فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وقال فى سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب

بما لا يعقل فقال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد وقوله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد يقول تعالى ذكره ما الامر كما قال هؤلاء المشركون فى محمد صلى الله عليه وسلم وظنوا به من أنه افترى على الله كذبا أو أن به جنة لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين فى عذاب الله فى الآخرة وفى الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا وقرأ قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم الآية كلها وقرأ قل بلى وربى لتأتينكم وقطعت الألف من قوله أفترى على الله فى القطع والوصل ففتحت لأنها ألف استفهام فأما الالف التى بعدها التى هى ألف افتعل فانها ذهبت لانها خفيفة زائدة تسقط فى اتصال الكلام ونظيرها سواء عليهم أستغفرت لهم و بيدى أستكبرت وأصطفى البنات وما أشبه ذلك وأما ألف آلآن وآلذكرين فطولت هذه ولم تطول تلك لان آلآن وآلذكرين كانت مفتوحة فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر وألف الاستفهام مفتوحة فكانتا مفترقتين بذلك فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ يقول تعالى ذكره أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أفترى على الله كذبا أم به جنة الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض فيعلموا أنهم حيث كانوا فان أرضى وسمائى محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الارض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليهم قطعا فانا ان نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم قال ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم ان نشأ نخسف بهم الأرض كما خسفنا بمن كان قبلهم أو نسقط عليهم كسفا من السماء أى قطعا من السماء وقوله ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب يقول تعالى ذكره ان فى احاطة السماء والارض بعباد الله لآية يقول لدلالة لكل عبد منيب يقول لكل عبد أناب الى ربه بالتوبة ورجع الى معرفة توحيده والاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والاذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شئ أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب والمنيب المقبل التائب

❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلا وقلنا للجبال أوبى معه سبحى معه اذا سبح والتأويب عند العرب الرجوع ومبيت الرجل فى منزله وأهله ومنه قول الشاعر

وفى قوله منا تنويه بالفضل وشأنه ثم بين الفضل بقوله (يا جبال أوبى) لأن هذا القول نوع من ايتاء الفضل ويجوز أن يكون التقدير قلنا يا جبال أوبى أى رجعى معه التسبيح قيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وقد مر تحقيقه فى سورة الانبياء والتأويب السير طول النهار والنزول ليلا فكأنه قال أوبى النهار كله بالتسبيح معه وفى خطاب الجماد اشعار بأنه ما من صامت ولا ناطق الا وهو منقاد لمشيئته وقد ألان الله له الحديد كالشمع أو لان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة وأن فى قوله (أن اعمل) مفسرة لأن إلانة الحديد له فى معنى الامر بأن يستعمل سابغات أى دروعا واسعة وهى من الصفات التى غلبت عليها الاسمية حتى ترك ذكر موصوفها والسرد نسج الدروع ومعنى التقدير فيه أن لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق يروى أنه كان يخرج حين ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه و يقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فخاف داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فطلب عند ذلك من الله أن يغنيه عن أكل بيت المال فعلمه صنعة اللبوس وانما اختاره له ذلك لانه وقاية للروح ويحفظ الآدمى المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس والسياف وقيل ان التقدير فى السرد اشارة الى أنه غير مأمور به أمر ايجاب انما هو اكتساب يكون بقدر الحاجة الى القوت و باقى اليوم والليلة للعبادة بدليل قوله (واعملوا صالحا)

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

أي رجوع وقد كان بعضهم يقرؤه أوبي معه من آب يؤب بمعنى تصرفي معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة وحدثنا محمد ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أوبي معه قال سبحي معه حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ياجبال أوبي معه يقول سبحي معه حدثنا أبو عبد الرحمن العلائي قال ثنا عن مسعر عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن ياجبال أوبي معه يقول سبحي حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبي اسحق عن أبي ميسرة ياجبال أوبي معه قال سبحي بلسان الحبشة حدثني يحيي بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل عن منصور عن مجاهد في قوله ياجبال أوبي معه قال سبحي معه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ياجبال أوبي معه قال سبحي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ياجبال أوبي معه أي سبحي معه اذا سبح وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ياجبال أوبي معه قال سبحي معه قال والطير أيضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ياجبال أوبي معه قال سبحي حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك قوله ياجبال أوبي معه سبحي معه وقوله والطير وفي نصب الطير وجهان أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع بما لا يحسن اعادة رافعه عليه فيكون (١) كالمصدر عن جهته والآخر فعل ضمير متروك استغنى بدلالة الكلام عليه فيكون معنى الكلام فقلنا ياجبال أوبي معه وسخرنا له الطير وان رفع ردا على ما في قوله سبحي من ذكر الجبال كان جائزا وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال وان لم يحسن نداؤها بالذي نوديت به الجبال فيكون ذلك كما قال الشاعر

ألا ياعمرو والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

وقوله وألناله الحديد ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير ادخال نار ولا ضرب بحديد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألناله الحديد سخر الله له الحديد بغير نار حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة في قوله وألناله الحديد كان يسويها بيده ولا يدخلها نارا ولا يضربها بحديدة وقوله أن اعمل سابغات يقول وعهدنا اليه أن اعمل سابغات وهي التوام الكوامل من الدروع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن اعمل سابغات دروع وكان أول من صنعها داود انما كان قبل ذلك صفائح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن اعمل سابغات

(١) لعله كالمصروف عن جهته تأمل

اى لستم يا آل داود مخلوقين الا للعمل الصالح فأكثروا منه واما كسب القوت فاقتصدوا فيه ثم أكد الفعل الصالح بقوله اني بما تعملون بصير كأن من يعلم أنه بمرأى من الملك اجتهد في حسن العمل وتزكية الباطن ثم ذكر المنيب الآخر وهو سليمن وحكى ما استفاد هو بالانابة وهو تسخير الريح له كالمملوك المنقاد لأمره (غدوها شهر) أي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك يروى أن بعض أصحاب سليمن كتب في منزل بناحية دجلة نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه وبائتون بالشام ان شاء الله ومن جملة معجزاته اسالة عين القطر والقطر النحاس أساله لاجله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر روى أنه كان يسيل في شهر ثلاثة أيام زعم بعض المتحذلقين أن المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شئ بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحهم فيسبح والمراد من تسخير الريح أنه راض الخيل وهي كالريح وقوله غدوها شهر أي ثلاثون فرسخا لأن الذي يخرج للتفرج لا يسير في العادة أكثر من فرسخ ثم يرجع والمراد بالانة الحديد واسالة القطر أنهم استخرجوا الحديد والنحاس بالنار واستعمال آلاتها والمراد بالشياطين ناس أقوياء ولا يخفى ضعف هذه التأويلات فان قدرة الله في باب خوارق العادات أكثر وأكمل من أن تحتاج الى هذه التكلفات وقال في التفسير الكبير الجبال لما سبحت تشرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر فيها أنها سبحت فجعلها كالمملوكة أو نقول الجبل في السير ليس أصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا تتحرك مع سليمن بل تحرك مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمن بل سليمن كان مع الريح وههنا نكتة وهي أن الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء في حق داود وثلاثة في حق سليمن قال

فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمن اذ كل منهما ثقيل مع خفيف فالجبال أثقل من الآدمي والآدمي أثقل من الريح وأيضا تسخير الطير من جنس الجن فان الطير تنفر من الآدمي والآدمي يتقي في مواضع الجن والجن تطلب أبدا اصطياد الناس

قال السابغات دروع الحديد وقوله وقدر في السرد اختلف أهل التأويل في السرد فقال بعضهم السرد هو مسمار حلق الدرع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدر في السرد قال كان يجعلها بغير نار ولا يقرعها بحديد ثم يسردها والسرد المسامير التي في الحلق * وقال آخرون هو الحلق بعينها ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقدر في السرد قال السرد حلقه أي قدر تلك الحلق قال وقال الشاعر * أجاد المسدي سردها وأذالها * قال يقول وسعها وأجاد حلقها حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقدر في السرد يعني بالسرد ثقب الدروع فيسدد قتيرها وقال بعض أهل العلم بكلام العرب يقال درع مسرودة اذا كانت مسمورة الحلق واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

وقيل انما قال الله لداود وقدر في السرد لانها كانت قبل صفائح ذكر من قال ذلك حدثنا نصر ابن علي قال ثنا أبي قال ثنا خالد بن قيس عن قتادة وقدر في السرد قال كانت صفائح فأمر أن يسردها حلقا وعني بقوله وقدر في السرد وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وقدر في السرد قال قدر المسامير والحلق لا تدق المسامير فتسلس ولا تجلها قال محمد بن عمرو وقال الحرث فتفصم حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وقدر في السرد قال لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فتسلس ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فيفصم المسمار حدثني يعقوب قال ثنا ابن عيينة قال ثنا أبي عن الحكم في قوله وقدر في السرد قال لا تغلظ المسمار فيفصم الحلقة ولا تدقه فيقلق وقوله واعملوا صالحا يقول تعالى ذكره واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله اني بما تعملون بصير يقول جل ثناؤه اني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى علي منه شيء وأنا مجازيك واياهم على جميع ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله ولسليمن الريح فقرأته عامة قراء الأمصار ولسليمن الريح بنصب الريح بمعنى ولقد آتينا داود منا فضلا وسخرنا لسليمن الريح وقرأ ذلك عاصم ولسليمن الريح رفعا بحرف الصفة اذ لم يظهر الناصب * والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله غدوها شهر يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمن الريح غدوها الى انتصاف النهار مسيرة شهر ورواحها من انتصاف النهار الى الليل مسيرة شهر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال تغدو

والانسان يطلب اصطياد الطير والانة الحديد شبيهة باسالة القطر وفي قوله (باذن ربه) اشارة الى أن حضور الجن بين يديه كان مصلحة له لا مفسدة وفي قوله (عن أمرنا) دون أن يقول عن أمر ربه اشارة الى أن الجن كانوا بصدد التعذيب عند زيغهم عن أمر الله فان لفظ الرب ينبئ عن الرحمة وصيغة جمع المتكلم في مقام الوحدة ينبئ عن الهيبة قال ابن عباس عذاب السعير عذاب الآخرة وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من النار كلما استعصى عليه الجني ضربه من حيث لا يراه الجني ثم فصل عمل الجن بقوله (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي المساجد والمجالس الرفيعة الشريفة المصونة عن الابتذال وقد مر في آل عمران والتماثيل صور الملائكة والنبيين كان يأمر بأن تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم عن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور في تلك الشرائع محرما ولعلها صور غير الحيوان من الاشجار ونحوها ويروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وحين فرغ من تقرير مسكنه ونقوشه شرع في تقرير آلات مجلسه فقدم ذكر الجفان التي بها تظهر عظمة السماط الممدود منه والجفنة القصعة الكبيرة والجوابي الحياض الكبار لان الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة وكان يقعد على الجفنة ألف رجل وحين ذكر الجفان كان يقع في النفس أن هذه الاطعمة كيف يكون قدرها فذكر أنها قدور راسيات

مسيرة شهر و ر وح مسيرة شهر قال مسيرة شهرين في يوم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولسليمن الريح غدوها شهر و رواحها شهر قال ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمن إما من الجن وإما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون بالشام حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولسليمن الريح غدوها شهر و رواحها شهر قال كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب هم والعصار فاذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وساروا معه يقيل عند قوم بينه و بينهم شهر و يمسي عند قوم بينه و بينهم شهر ولا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله غدوها شهر و رواحها شهر قال كان يغدو فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل حدثنا ابن بشار قال ثنا حماد قال ثنا قرة عن الحسن بمثله وقوله وأسلنا له عين القطر يقول وأذبنا له عين النحاس وأجريناها له * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأسلنا له عين القطر عين النحاس كانت بأرض اليمن وانما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأسلنا له عين القطر قال الصفر سال كما يسيل الماء يعمل به كما كان يعمل العجين في اللبن حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يقول النحاس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يعني عين النحاس أسيلت وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه يقول تعالى ذكره ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي لنهيه فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له باذن ربه يقول بأمر الله بذلك وتسخيره اياه له ومن يزغ منهم عن أمرنا يقول ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمن نذقه من عذاب السعير في الآخرة وذلك عذاب نار جهنم الموقدة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يزغ منهم عن أمرنا أي يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمن نذقه من عذاب السعير ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ يعني تعالى ذكره يعمل الجن لسليمن ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب والمحراب مقدم كل مسجد و بيت ومصلى ومنه قول عدي بن زيد

كدمى العاج في المحاريب أو كالـ * ـبيض في الروض زهره مستنير

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ما يشاء من محاريب قال بنيان دون القصور حدثنا بشر قال ثنا يزيد

ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها ويعلم من تقرير قصتي داود وسليمن أن اشتغال داود بآلة الحرب أكثر لأنه قتل جالوت ثم أراد تسوية الملك والغلبة على الجبابرة وأما في زمن سليمن فالملك قد استوى ولم يكن على وجه الارض أحد يقاومه وكان يفرق الأموال في الاطعام والانعام ثم بين بقوله (اعملوا آل داود شكرا) أن الدنيا عرض زائل وان كان ملك سليمن فعلى العاقل أن يصرف همته في طلب الآخرة وانتصب شكرا على أنه مفعول له أو حال أي شاكرين أو مصدرا لأن اعملوا في معنى الشكر أو مفعول به لأن الشكر عمل صالح وقال جار الله انه على طريق المشاكلة ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا قلت وفي لفظ العمل اشارة إلى أن الشكر اللساني غير كاف وانما المعتبر الشكر الفعلي أو هو مع القولي يروى أن داود عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي والشكور هو المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه بالقلب واللسان والجوارح في أكثر الاوقات والاحوال وانهم لقليل فلذلك قال بعضهم اللهم اجعلني من الأقلين وهذا الشكر القليل انما هو بقدر الطاقة البشرية وأما الذي يناسب نعم الله فلن يقدر الانسان عليه الا أن يقول الله عبدي ما أتيت به من الشكر قبلته منك مع قلته وكتبتك شاكرا لأنعمي بأسرها وهذا القول نعمة عظيمة لا أكلفك شكرها وحين بين عظمة سليمن وتسخير الريح والجن له بين أنه لم ينج من الموت وأنه قضى عليه الموت ولو نجا أحد منه لكان نبي الله أولى بذلك يروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمن فأمر الشياطين باتمامه وكان من عادته أن يعتكف فيه أحيانا فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله عز وجل فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا

حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها لأى شئ أنت فقالت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حى فقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بى (٤٩) - فأعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعملون له ما يشاء من محاريب وقصور ومساجد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب المساكن وقرأ قول الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب المساجد وقوله وتماثيل يعنى أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتماثيل قال من نحاس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتماثيل قال من زجاج وشبه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله وتماثيل قال الصور قوله وجفان كالجواب يقول وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب وهى جمع جابية والجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

تروح على نادى المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

وكما قال الآخر

فصبحت جابية صهارجا * كأنها جلد السماء خارجا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يقول كالجوبة من الارض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يعنى بالجواب الحياض وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن وجفان كالجواب قال كالحياض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجفان كالجواب قال حياض الابل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجفان كالجواب قال جفان كجوبة الارض من العظم والجوبة من الارض يستنقع فيها الماء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجفان كالجواب كالحياض حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا جويبر عن الضحاك وجفان كالجواب قال كحياض الابل من العظم وقوله وقدور راسيات يقول وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن ولا تحول لعظمهن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقدور راسيات قال عظام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدور راسيات قال عظام ثابتات فى الارض لا يزلن عن أمكنتهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقدور راسيات قال مثال الجبال من عظمها

فى عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه فبقى كذلك وظن جنوده أنه فى العبادة فكانوا يواظبون على الأعمال الشاقة الى أن أكلت الأرضة عصاه فخر ميتا وذلك بعد سنة والارض مصدر أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها أى يطرد و يؤخر وقد يترك همزها وقرئ من سأته أى طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وتبينت بمعنى ظهرت وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال على نحو قولك تبين زيد جهله أو هو بمعنى علمت أى علم الجن كلهم بعد التباس الأمر على عامتهم أن كبارهم لا يعلمون الغيب وكان ادعاؤهم ذلك من قبل زورا أو المراد التهكم بهم وأن الذين ادعوا منهم علم الغيب ما اعترفوا بعجزهم مع أنهم كانوا من قبل عارفين بعجزهم كما لو قلت لمدعى الباطل اذا دحضت حجته هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل متبينا لذلك وكان عمر سليمن ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة وبقى فى ملكه الى أن مات وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه ولما بين حال الشاكرين لأنعمه ذكر حال من كفر النعمة وسبأ يصرف بناء على أنه اسم لحى أو الاب الاكبر ولا يصرف بتأويل القبيلة وهو سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبا و بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث

من قرأ مساكنهم فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد مسكن كل واحد منهم أو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم عن الضحاك

كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام ومعنى كون الجنتين آية أنه جعل قصتهما عبرة لأهل الكفران أو علامة دالة على الصانع وكمال اقتداره ووجوب شكره قال جار الله (٥٠) لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها كأن كل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها جنة واحدة أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وقوله (كلوا من رزق) حكاية لسان الحال أو لسان الأنبياء المبعوثين اليهم وهم ثلاثة عشر نبيا على ما روي وفيه اشارة الى كمال النعمة حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض وكذا قوله واشكروا له لأن الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة وكذا قوله (بلدة طيبة) أي عن المؤذيات من العقارب والحيات وسائر الهوام والحشرات أو المراد أنها ليست بسبخة كقوله والبلد الطيب (ورب غفور) أي ربكم الذي رزقكم فطلب شكركم غفور لمن يشكره بقدر طاقته لا يؤاخذه بالتقصير في أداء حق الشكر اذا توجه عليه الشكر وبذل وسعه فيه أو أراد غفران سائر الذنوب فكأنه وعدهم سعادة الدارين وعن ثعلب معناه اسكن واعبد وحين بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم وهو قوله (فأعرضوا) أي عن الشكر ثم ذكر جزاءهم بقوله (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وهو الجرذ يروى أن بلقيس الملكة عمدت الى جبال هناك فسدت ما بينها من الشعب بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا لها أبواب مترتبة بعضها فوق بعض على مقدار ما يحتاجون اليه في سقي أراضيهم فلما طغوا اسلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركوزة وانه الآبية والمراد بها المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل المطر الشديد والتركيب يدل على الشكاسة وسوء الخلق ومنه قولهم

يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم لا تحرك ولا تنقل كما قال للجبال راسيات وقوله اعملوا آل داود شكرا يقول تعالى ذكره وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه وترك ذكر وقلنا لهم اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه وأخرج قوله شكرا مصدرا من قوله اعملوا آل داود لأن معنى قوله اعملوا اشكروا ربكم بطاعتكم اياه وأن العمل بالذي رضي الله لله شكر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبادة عن محمد بن كعب قوله اعملوا آل داود شكرا قال الشكر تقوى الله والعمل بطاعته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرني حيوة عن زهرة ابن معبد أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول اعملوا آل داود شكرا وأفضل الشكر الحمد * قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اعملوا آل داود شكرا قال أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم وعلمكم منطق الطير اشكروا له يا آل داود قال الحمد طرف من الشكر وقوله وقليل من عبادي الشكور يقول تعالى ذكره وقليل من عبادي المخلصو توحيدي والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وقليل من عبادي الشكور يقول قليل من عبادي الموحدون توحيدهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أمضينا قضاءنا على سليمن بالموت فمات ما دلهم على موته يقول لم يدل الجن على موت سليمن إلا دابة الارض وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئا عليها فأكلتها فذلك قول الله عز وجل تأكل منسأته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني ابن المثنى وعلي قالا ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله إلا دابة الارض تأكل منسأته يقول الأرضة تأكل عصاه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تأكل منسأته قال عصاه حدثني محمد بن عمرو قال ثني أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله إلا دابة الارض قال الأرضة تأكل منسأته قال عصاه حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد تأكل منسأته قال عصاه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة في قوله تأكل منسأته أكلت عصاه حتى خر حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي المنسأة العصا بلسان الحبشة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المنسأة العصا واختلفت القراء في قراءة قوله منسأته فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة منساته غير مهموزة وزعم من اعتل لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة أن المنساة العصا وأن أصلها من نسأت بها الغنم قال وهي من الهمز الذي تركته العرب كما تركوا همز النبي والبرية

صبي عارم من العرام بالضم اى شرس ومن ذلك عرمت العظم عرقته وعرمت الابل الشجر نالت منه (ذواتى اكل) صاحبتى ثمر والقياس ذاتى الا أن المستعمل فى التثنية هو الجمع والخمط شجر الاراك أبو عبيدة (٥١) كل شجر ذى شوك الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والأثل نوع من الطرفاء لا يكون عليه ثمرة الا نادرا كالعفص فى الطعم والطبع ولكن أصغر والسدر معروف وهو من أحسن أشجار البادية فلذلك وصفه ههنا بالقلة عن الحسن قال السدر لانه أكرم ما بدلوا والتحقيق فيه أن البساتين اذا عمرت كل سنة ونقيت من الحشائش كانت ثمارها زاكية وأشجارها عالية فاذا تركت سنين صارت كالغيضة والأجمة والتفت الإشجار بعضها ببعض فيقل الثمر وتكثر الحشائش والاشجار ذوات الشوك على أنه لا يبعد التبديل تحقيقا فيكون شبه المسخ من قرأ أكل خمط بالاضافة فظاهر ومن قرأ بالتنوين فعلى حذف المضاف أى أكل أكل خمط أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة أو التهكم قال فى الكشاف الأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الأثل لا أكل له (ذلك) الارسال والتبديل (جزيناهم بما كفروا) النعمة وغمطوها (وهل نجازى) مثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل (الا الكفور) قال بعضهم المجازاة فى النقمة والجزاء فى النعمة الا اذا قيد كقوله سبحانه جزيناهم بما كفروا وقال جار الله الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل فى المعاقبة تارة وفى الاثابة أخرى فلما استعمل أولا فى معنى المعاقبة استعمل ثانيا على نحو ذلك وقيل ان المجازاة مفاعلة وهى فى الاكثر تكون بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء فى حق الآخر ففى النعمة لا يكون مجازاة لان الله مبتدئ بالنعم وحين ذكر حال مسكنهم وجنتيهم وحكى تبديل الجنتين بما لا نفع فيه أراد أن يذكر حال خارج بلدهم وما يؤل اليه أمره فقال (وجعلنا بينهم وبين القرى

والخابية وأنشد لترك الهمز فى ذلك بيتا لبعض الشعراء

اذا دببت على المنساة من هرم * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وذكر الفراء عن أبى جعفر الرواسى أنه سأل عنها أبا عمرو فقال منساته بغير همز وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة منسأته بالهمز وكأنهم وجهوا ذلك الى أنها مفعلة من نسأت البعير اذا زجرته ليزداد سيره كما يقال نسأت اللبن(١) اذا صدرت عنه الماء وهو النسيء وكما يقال نسأ الله فى اجلك أى أدام الله فى أيام حياتك «قال أبو جعفر» وهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كنت أختار الهمز فيها لأنه الأصل وقوله فلما خر تبينت الجن يقول عز وجل فلما خر سليمن ساقطا بانكسار منسأته تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب الذى يدعون علمه ما لبثوا فى العذاب المهين المذل حولا كاملا بعد موت سليمن وهم يحسبون أن سليمن حى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن نبى الله اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لأى شئ أنت فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لأى شئ أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمن اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقط فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن يتجرد فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى مات فيها وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت فيه شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فيقول لها لأى شئ نبت فتقول نبت لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها وان كانت نبتت لدواء قالت نبت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك فقالت له أنا الخروبة فقال لأى شئ نبت قالت لخراب هذا المسجد قال سليمن ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولا تعلم به الشياطين فى ذلك وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه وكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألست جلدا ان دخلت فخرجت من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمن فى المحراب الا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمن عليه السلام ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع

(١) لعله اذا صببت تأمل كتبه مصححه

فى البيت فلم يحترق ونظر الى سليمن قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمن قد مات ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهى فى قراءة ابن مسعود فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمن ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين فالذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الجن تخبر الانس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما فى غد فابتلوا بموت سليمن فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين فلما خر تبينت الانس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ولقد لبثوا يدأبون ويعملون له حولا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال قال سليمن لملك الموت يا ملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى قال فأتاه فقال يا سليمن قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حى قال فبعث الله دابة الأرض قال دابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا قال فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال والمنسأة العصا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كان سليمن بن داود يصلى فمات وهو قائم يصلى والجن يعملون لا يعلمون بموته حتى أكلت الارضة عصاه فخر وأن فى قوله أن لو كانوا فى موضع رفع بتبين لان معنى الكلام فلما خر تبين وانكشف أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين وأما على التأويل الذى تأوله ابن عباس من أن معناه تبينت الانس الجن فانه ينبغى أن يكون فى موضع نصب بتكريرها على الجن وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجن منصوبة غير أنى لا أعلم أحدا من قراء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجن ولو نصب كان فى قوله تبينت ضمير من ذكر الانس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان لولد سبا فى مسكنهم علامة بينة وحجة واضحة على أنه لا رب لهم الا الذى أنعم عليهم النعم التى كانوا فيها وسبأ عن رسول الله اسم أبى اليمن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبى حيان الكلبى عن يحيى بن هانئ عن عروة المرادى

التى باركنا فيها) وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى من كل منها ما يتلوها لتقاربها أو ظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق (وقدرنا فيها السير سيروا) فيقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى أخرى فمنازل ما بين تلك القرى مقدرة ومعلومة لا يجاوزها المسافر عرفا بخلاف المفاوز فان السائر يسير فيها بقدر طاقته حتى يقطعها ثم بين أمن تلك الطريق بقوله سيروا أى قلنا لهم سيروا ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار قال أهل البيان لا قول ثمة ولكنهم مكنوا من السير بتهيئة أسبابه من وجدان الزاد والراحلة وعدم المخاوف والمضار فكأنهم أمروا بذلك والمقصود من ذكر الليالى والأيام تقرير كمال الامن ولذلك قدمت الليالى فانها مظنة الآفات ويمكن تقرير الأمن بوجه آخر وهو أن يقال سيروا فيها وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالى أو يراد بالليالى والأيام مدة أعمارهم أى سيروا فيها مدة عمركم فانكم لا تلقون الا الامن ثم حكى أنهم سئموا العيش الهنىء وملوا الدعة والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أرادوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد قائلين لو كان جنى جناتنا أبعد كان أشهى وأرغد ويحتمل أن يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربنى مشيرا بذلك الى أنه لا يقدر عليه ومن قرأ على الابتداء والخبر فالمراد استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم (وظلموا أنفسهم) وضع الكفر موضع الشكر (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم كل تفريق فلا جرم اتخذ الناس حالهم مثلا قائلين ذهبوا أيدى سبا أى فى طرق شتى واليد فى كلام العرب الطريق يقال سلك بهم يد البحر وقيل الأيادى الأولاد لانه يعتضد بهم كما بالأيدى والمعنى ذهبوا تفرق أولاد سبا فلحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة

والازد بعمان (ان فى ذلك) الجعل والتمزيق (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم اوصبار على النعم حتى لا يلحقه البطر
شكور لها برعاية حق الله فيها ثم أخبر عن ضعف عزم الانسان بقوله (٥٣) (ولقد صدق عليهم) أى على بنى آدم لقرينة الحال

وقيل على أهل سبا وظن ابليس هو
قوله لأغوينهم أو قوله أنا خير منه
بدليل قوله (فاتبعوه) والمتبوع خير
من التابع ولا ريب أن الكافر أدون
حالا من ابليس لأنه خالف أمر الله
فى سجدة آدم والكافر يجحد الصانع
أو يشرك به ثم بين بقوله (وما كان له)
أن الشيطان ليس بملجئ ولكنه
آية وعلامة يتميز به ما هو السابق
فى علمه من المقر والشاك والحفيظ
المحافظ ويدخل فى مفهوم الحفظ
العلم والقدرة اذ الجاهل بالشئ
لا يمكنه حفظه وكذا العاجز
(ق) التأويل يعلم ما يلج فى أرض
البشرية بواسطة الحواس
والاغذية الحلال والحرام وما يخرج
منها من الصفات المتولدة منها
وما ينزل من سماء القلب من
الفيوض والالهامات وما يعرج فيها
من آثار الفجور والتقوى وظلمة
الضلالة ونور الهدى الى ما بين
أيديهم وما خلفهم من سماء القلب
وأرض النفس نخسف بهم أرض
البشرية بغلبات صفاتها أو يغلب
عليهم صفة من صفات القلب
بالميل الى الافراط فيهلكهم بها
كالسخاوة فانها صفة حميدة لكنها
اذا جاوزت حد الاعتدال صارت
ذميمة ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين يا جبال أوبى قد مر
تأويله فى سورة الانبياء وقدر
فى السرد وهو التكلم بالحكمة على
قدر عقول الناس ولسليمن القلب
سخرت ريح العناية وذلك أن
مركب القلوب فى السير هو الجذبة
الالهية كما أن مركب البدن فى المسير البدن يروى أن سليمن فى سيره لاحظ ملكه يوما فمال الريح ببساطه فقال سليمن للريح استوى فقالت
الريح استو أنت فانى لا أكون مستوية حتى تستوى أنت كذلك حال السرمع القلب وريح العناية اذا زاغ القلب أزاغ الله بريح الخذلان

عن رجل منهم يقال له فروة بن مسيك قال قلت يا رسول الله أخبرنى عن سبا ما كان رجلا كان
أو امرأة أو جبلا أو دابا فقال لا كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد فتيمن منهم ستة وتشاءم
أربعة فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والازد والاشعريون ومذحج وأنمار الذين منها
خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان حدثنا أبو كريب قال ثنا
أبو أسامة قال ثنى الحسن بن الحكم قال ثنا أبو سبرة النخعى عن فروة بن مسيك القطيعى
قال قال رجل يا رسول الله أخبرنى عن سبا ما هو أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه
رجل ولد عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة
وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وأنمار فقال رجل
ما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة حدثنا أبو كريب قال ثنا العنقزى قال أخبرنى
أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادى عن أبيه أو عن عمه «أسباط شك» قال قدم فروة
ابن مسيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن سبا أجبلا كان أو أرضا
فقال لم يكن جبلا ولا أرضا ولكنه كان رجلا من العرب ولد عشرة قبائل ثم ذكر نحوه الا أنه قال
وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم فان كان الامر كما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أن سبأ رجل كان الاجراء فيه وغير الاجراء معتدلين أما الاجراء فعلى أنه اسم رجل
معروف وأما ترك الاجراء فعلى أنه اسم قبيلة أو أرض وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء
واختلفت القراء فى قراءة قوله فى مساكنهم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين
فى مساكنهم على الجماع بمعنى منازل آل سبا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين فى مسكنهم على
التوحيد وبكسر الكاف وهى لغة لأهل اليمن فيما ذكر لى وقرأ حمزة مسكنهم على التوحيد وفتح
الكاف * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل ذلك قراآت متقاربات المعنى فبأى ذلك
قرأ القارئ فمصيب وقوله آية قد بينا معناها قبل وأما قوله جنتان عن يمين وشمال فانه يعنى بستانان
كانا بين جبلين عن يمين من أتاهما وشماله وكان من صفتهما فيما ذكر لنا ما حدثنا محمد بن بشار
قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال سمعت قتادة فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية
جنتان عن يمين وشمال قال كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكتلها على رأسها
فتمشى بين جبلين فيمتلئ مكتلها وما مست بيدها فلما طغوا بعث الله عليهم دابة يقال لها جرذ
فنقبت عليهم فغرقتهم فما بقى لهم إلا أثل وشئ من سدر قليل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال الى قوله فأعرضوا
فأرسلنا عليهم سيل العرم قال ولم يكن يرى فى قريتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب
ولا حية وان كان الركب ليأتون وفى ثيابهم القمل والدواب فما هم الا أن ينظروا الى بيوتهم
فتموت الدواب قال وان كان الانسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين
يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده قال والسد يسقيها
ورفعت الجنتان فى قوله جنتان عن يمين وشمال ترجمة عن الآية لأن معنى الكلام لقد كان لسبا
فى مسكنهم آية هى جنتان عن أيمانهم وشمائلهم وقوله كلوا من رزق ربكم الذى يرزقكم من هاتين

بساط السر إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأسلنا له عين القطر الحقائق والمعانى وسخرنا له صفات الشيطنة لتعمل بين يديه على
وفق أوامر الله ونواهيه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم شيطانى أسلم على يدى فلا يأمرنى الا بالخير من محاريب وهو كل ما يتوجه
الى الله به بخاصية الاباء والاستكبار وأنفة السجود لغير الله ولو وكل القلب والروح الى خاصية الروحانية التى جبل الروح عليها ما كان يرغب فى العبور عن مقام الروحانية كالملائكة قال جبرائيل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت، وجفان كالجواب فيه اشارة الى مأدبة الله التى يأكل منها الانبياء والاولياء اذ يبيتون عنده اعملوا آل داود وهم متولدات الروح فشكر البدن استعمال الشريعة بجميع الأعضاء والحواس وشكر النفس باقامة شرائط التقوى والورع وشكر القلب بمحبة الله وحده وشكر السر المراقبة وشكر الروح بذل الوجود على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمعة وشكر الخفى قبول الفيض بلا واسطة فى مقام الوحدة مخفيا بنور الوحدة عن نفسه فالعوام شكرهم بالأقوال والخواص شكرهم بالأعمال وخواص الخواص شكرهم بالاحوال من الاتصاف بصفة الشكورية التى تعطى على عمل فان عشرة ثواب باق ولذلك وصفهم بالقلة تأكل منسأته اتكأ سليمن على عصاه فبعث الله أخس دابة لابطال متكئه وجعله سببا لزوال ملكه وفوات روحه وكان قبل متكئا على فضل الله فآتاه ما لم يؤت أحدا من خلقه لقد كان لسبا السر جنتان جنة الروح عن يمين السر وجنة القلب عن شمال السر بلدة طيبة هى بلدة الانسانية القابلة لبذر التوحيد
ورب غفور يستر العيوب فأعرضوا عن الوفاء وأقبلوا على الجفاء فأرسلنا عليهم سيل سطوات العرم قهرنا قال
وبدلناهم بجنتيهم الشجرتين بأشجار الاخلاق الجميدة جنتين من الاوصاف الذميمة وهل نجازى وهل يكون للاشجار الخبيثة الا الأثمار الخبيثة

الجنتين من زروعهما وأثمارهما واشكروا له على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك والى هذا منتهى الخبر ثم ابتدأ الخبر عن البلدة فقيل هذه بلدة طيبة أى ليست بسبخة ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد ان كانت كما وصفها به ابن زيد من أنه لم يكن فيها شئ مؤذ الهمج والدبيب والهوام ورب غفور يقول ورب غفور لذنوبكم ان أنتم أطعتموه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بلدة طيبة ورب غفور ورب كم غفور لذنوبكم قوم أعطاهم الله نعمة وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور ﴾ يقول تعالى ذكره فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها اليه رسلها من أنه خالقها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه اليمانى قال لقد بعث الله الى سبا ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم فأرسلنا عليهم سيل العرم يقول تعالى ذكره فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذى كان يحبس عنهم السيول والعرم المسناة التى تحبس الماء واحدها عرمة وإياه عنى الاعشى بقوله

ففى ذاك للمؤتسى إسوة * ومأرب عفى عليه العرم
رخام بنته لهم حمير * (١) اذا جاء ماؤهم لم يرم

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا أبى قال سمعت المغيرة بن حكيم قال لما ملكت بلقيس جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت ملكها وانطلقت الى قصر لها وتركتهم فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع الى ملكها فأبت فقالوا لترجعن أو لنقتلنك فقالت انكم لا تطيعونى وليست لكم عقول ولا تطيعونى قالوا فانا نطيعك وانا لم نجد فينا خيرا بعدك فجاءت فأمرت بواديهم فسد بالعرم * قال أحمد قال وهب قال أبى فسألت المغيرة ابن حكيم عن العرم فقال هو بكلام حمير المسناة فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة فجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة أنهارهم فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة وأمرت بالبعر فألقى فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض فلم تزل تضيق تلك الانهار وترسل البعر فى الماء حتى خرج جميعا معا فكانت تقسمه بينهم على ذلك حتى كان من شأنها وشأن سليمن ما كان حدثنا أحمد بن عمر البصرى قال ثنا أبو صالح بن زريق قال أخبرنا شريك عن أبى اسحق عن أبى ميسرة فى قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال المسناة بلحن اليمن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله سيل العرم قال شديد وقيل ان العرم اسم واد كان لهؤلاء القوم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى

(١) رواية الديوان * اذا جاء مؤاره لم يرم * وحرر كتبه مصححه

قرى ظاهرة منازل السالكين ومقامات العارفين من التوبة والزهد والتوكل والتزكية والتحلية وقلنا لهم سيروا في ليالي البشرية
وأيام الروحانية آمنين في حيازة الشريعة فطلبوا البعد عن الله بالميل الى ما سواه ففرقناهم في أودية الهلاك ودركات البعد

قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال واد كان باليمن كان يسيل الى مكة وكانوا يسقون وينتهي سيلهم اليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأرسلنا عليهم سيل العرم ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع اليه مسايل من أودية شتى فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا اليه ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم واد يدعى العرم وكان اذا مطر سالت أودية اليمن الى العرم واجتمع اليه الماء فعمدت سبأ الى العرم فسدوا ما بين الجبلين فحجزوه بالصخر والقار فانسد زمانا من الدهر لا يرجون الماء يقول لا يخافون * وقال آخرون العرم صفة للمسناة التي كانت لهم وليس باسم لها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله سيل العرم يقول الشديد وكان السبب الذي سبب الله لارسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لي جرذا ابتعثه الله على سدهم فثقب فيه ثقبا ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم فقال بعضهم كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السد عمل فيه ثم فاض الماء على جناتهم فغرقها وخرب أرضهم وديارهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن وهب بن منبه اليماني قال كان لهم يعني لسبا سد قد كانوا بنوه بنيانا أبدا وهو الذي كان يرد عنهم السيل اذا جاء أن يغشى أموالهم وكان فيما يزعمون في علمهم من كهانتهم أنه انما يخرب عليهم سدهم ذلك فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها أي الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فغلغلت في السد فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على الاموال فاحتملها فلم يبق منها الا ما ذكره الله فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول لما طغوا وبغوا يعني سبأ بعث الله عليهم جرذا يخرق عليهم السد فأغرقهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد بعث الله عليهم جرذا وسلطه على الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها فأخرب في أفواه تلك الحجارة وكل شيء منها من رصاص وغيره حتى تركها حجارة ثم بعث الله سيل العرم فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس واقتلع تلك الجنتين فذهب بهما وقرأ فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين قال ذهب بتلك القرى والجنتين * وقال آخرون كانت صفة ذلك أن الماء الذي كانوا يعمرون به جناتهم سال الى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به فبذلك خربت جناتهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال بعث الله عليهم يعني على العرم دابة من الارض

وما كان له عليهم من سلطان فيه أن الشيطان انما سلطه على بني آدم لاستخراج جواهر النفوس من معادنها (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له
أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر

ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين (٥٦) يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل إن ربي يبسط الرزق

لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شئ شهيد قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم

فثقبت فيه ثقبا فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به وأبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وذلك حين عصوا وبطروا المعيشة والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط يقول تعالى ذكره وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك والأراك هو الخمط * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط والخمط الأراك حدثني يعقوب قال ثني ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في قوله ذواتي أكل خمط قال أراه قال الخمط الأراك حدثني محمد بن عمارة قال ثني عبد الله بن موسى قال أخبرنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد أكل خمط قال الخمط الأراك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ذواتي أكل خمط قال الأراك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذواتي أكل خمط والخمط الأراك وأكله بريره حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط قال بدلهم الله بجنان الفواكه والأعناب إذ أصبحت جناتهم خمطا وهو الأراك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين قال أذهب تلك القرى والجنتين وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خمط قال فالخمط الأراك قال جعل مكان العنب أراكا والفاكهة أثلا وشئ من سدر قليل واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار بتنوين أكل غير أبي عمرو فإنه يضيفها إلى الخمط بمعنى ذواتي ثمر خمط وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخمط وينونون الأكل فإنهم جعلوا الخمط هو الأكل فردوه عليه في إعرابه وبضم الألف والكاف من الأكل قرأت قراء الأمصار غير نافع فإنه كان يخفف منها * والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه ذواتي أكل بضم الألف والكاف لإجماع الحجة من القراء عليه وبتنوين أكل لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الأمصار من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط وذلك في إضافته وترك إضافته نظير قول العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم فتضيف أحيانا الأعناب إلى الكرم لأنها منه وتنون أحيانا ثم تترجم بالكرم عنها إذ كانت الأعناب ثمر الكرم وأما الأثل فإنه يقال له الطرفاء وقيل شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها وقيل إنها السمر ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وأثل قال الأثل الطرفاء وقوله وشئ من سدر قليل يقول ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثني سعيد عن قتادة ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل قال بينما شجر القوم خير الشجر إذ صيره الله من شر الشجر

وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ﴿ القراآت أذن له على البناء للمفعول أبو عمرو وعلي وخلف والأعشى والبرجمي فزع على البناء للفاعل ابن عامر ويعقوب جزاء بالنصب الضعف مرفوعا يعقوب في الغرفة على التوحيد حمزة بأعمالهم

يحشرهم ثم يقول على الغيبة فيهما حفص ويعقوب الباقون بالنون ثم تفكروا بتشديد التاء رويس أجرى إلا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص ربى إنه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو التناوش (٥٧) مهموزا أبو عمرو وحمزة وخلف وعاصم سوى حفص والشمونى والبرجمى حيل بضم الحاء وكسر الياء ابن عامر وعلى ورويس ۞ الوقوف من دون الله ج لاحتمال الجملة بعده حالا واستئنافا ظهير ه أذن له ط الحق ط الكبير ه والأرض ط قل الله لا لاتصال المقول مبين ه تعملون ه بالحق ط العليم ه كلا ط الحكيم ه لا يعلمون ه صادقين ه ولا تستقدمون ه بين يديه ط عند ربهم ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا وهذا أوجه القول ج لمثل ذلك مؤمنين ه مجرمين ه أندادا ط العذاب ط كفروا ط يعملون ه كافرون ه بمعذبين ه لا يعلمون ه صالحا لأن أولئك مبتدأ مع الفاء آمنون ه محضرون ه ويقدر له ط يخلفه ج لعطف الجملتين المختلفتين الرازقين ه يعبدون ه من دونهم ج لتنويع الكلام مع اتحاد المقول الجن ج لذلك مؤمنون ه ضرا ط تكذبون ه آباؤكم ج للعطف مع طول الكلام والتكرار مفترى ط مبين ه من نذير ه نكير ه بواحدة ج لأن ما بعده بدل أو خبر أى هى أن تقوموا من جنة ط شديد ه لكم ط الله ج شهيد ه بالحق ج لاحتمال أن ما بعده بدل من الضمير فى يقذف أو خبر أى هو علام الغيوب ه بعيد ه على نفسى ج لعطف جملتى الشرط ربى ط قريب ه قريب لا لأن ما بعده معطوف على أخذوا آمنا به ط لاحتمال كون الجملة الاستفهامية مبتدأ بها أو حالا بعيد ه لا للآية ولاحتمال الاستئناف والحال بعده والعامل معنى الفعل فى التناوش من قبل ج للعطف

بأعمالهم. وقوله ذلك جزيناهم بما كفروا يقول تعالى ذكره هذا الذى فعلنا بهؤلاء القوم من سبا من إرسالنا عليهم سيل العرم حتى هلكت أموالهم وخربت جناتهم جزاء منا على كفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا وذلك من قوله ذلك جزيناهم فى موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه ومعنى الكلام جزيناهم ذلك بما كفروا وقوله وهل نجازى إلا الكفور اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وهل يجازى بالياء وبفتح الزاى على وجه ما لم يسم فاعله إلا الكفور رفعا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وهل نجازى بالنون وبكسر الزاى إلا الكفور بالنصب * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار ومتقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى الكلام كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل يجازى إلا الكفور بنعمة الله فإن قال قائل أو ما يجزى الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة فيخص أهل الكفر بالجزاء فيقال وهل يجازى إلا الكفور قيل إن المجازاة فى هذا الموضع المكافأة والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه والمكافأة لأهل الكبائر والكفر والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل فلذلك قال جل ثناؤه فى هذا الموضع وهل يجازى إلا الكفور كأنه قال جل ثناؤه لا يجازى لا يكافأ على عمله إلا الكفور إذا كانت المكافأة مثل المكافا عليه والله لا يغفر له من ذنوبه شيأ ولا يمحص شئ منها فى الدنيا وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهل نجازى نعاقب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور إن الله تعالى إذا أراد بعبده كرامة تقبل حسناته وإذا أراد بعبده هوانا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة قال وذكر لنا أن رجلا بينما هو فى طريق من طرق المدينة إذ مرت به امرأة فأتبعها بصره حتى أتى على حائط فشج وجهه فأتى نبى الله ووجهه يسيل دما فقال يا نبى الله فعلت كذا وكذا فقال له نبى الله إن الله إذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا وإذا أراد الله بعبده هوانا أمسك عليه ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة كأنه عير أبتر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن نعمته التى كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التى باركنا فيها وهى الشأم قرى ظاهرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله القرى التى باركنا فيها قال الشأم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها يعنى الشأم حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد القرى

على كفروا بناء على انه حال ماضية اوللاستئناف اى وهم يقذفون بعيد ٥ من قبل ط مريب ٥ ۞ التفسير لما فرغ من حكاية اهل الشرك وأهل الكفران تمثيلا عادالى مخاطبة (٥٨) كفار قريش وتقريعهم ومفعولا زعم محذوف أى زعمتموهم آلهة وسبب

حذف الاول استحقاق عوده الى الموصول وسبب حذف الثانى اقامة الصفة وهي من دون الله مقام الموصوف وتفسير الآية مبنى على تفصيل وهو أن مذاهب أهل الشرك أربعة أحدها قولهم انا نعبد الملائكة والكواكب التى فى السماء فهم آلهتنا والله الههم فالله تعالى قال فى ابطال قولهم انهم لا يملكون فى السموات شيأ كما اعترفتم ولا فى الارض على خلاف ما زعمتم أن الارض والارضيات فى حكمهم وثانيها قول بعضهم ان السموات من الله على سبيل الاستقلال وان الارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب واتصالاتها وانصرافاتها فأبطل معتمد هؤلاء بقوله (ومالهم فيهما من شرك) أى الارض كالسماء لله ليس لغيره فيها نصيب وثالثها قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله لكن فوض ذلك الى الكواكب واعانتها فأشار الى ابطال معتقد هؤلاء بقوله (وماله منهم من ظهير) ورابعها مذهب من زعم أنا نعبد الاصنام التى هي صور الملائكة ليشفعوا لنا فبين بطلان مذهبهم بقوله (ولا تنفع الشفاعة) قال جار الله تقول الشفاعة لزيد على أنه الشافع وعلى معنى أنه المشفوع له أى لا تنفع الشفاعة (الا) كائنة (لمن أذن له) من الشافعين أو الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وحتى غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن كأنه قيل يتربصون و يقفون مليا فزعين (حتى اذا فزع)

أى كشف الفزع فى القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق غير
الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) اى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى يؤيد هذا التفسير

التى باركنا فيها قال الشأم * وقيل عنى بالقرى التى بورك فيها بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال الارض التى باركنا فيها هي الارض المقدسة وقوله قرى ظاهرة يعنى قرى متصلة وهي قرى عربية * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن فى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال قرى متواصلة قال كان أحدهم يغدو فيقيل فى قرية ويروح فيأوى الى قرية أخرى قال وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها ثم تمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ من كل الثمار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قرى ظاهرة أى متواصلة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية بين المدينة والشام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قرى ظاهرة قال السروات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية وهي بين المدينة والشأم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال كان بين قريتهم وبين الشأم قرى ظاهرة قال ان كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها تروح من قرية وتغدوها وتبيت فى قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشأم وقوله وقدرنا فيها السير يقول تعالى ذكره وجعلنا بين قراهم والقرى التى باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل وقرية الى قرية لا ينزلون الا فى قرية ولا يغدون الا من قرية وقوله سيروا فيها ليالى وأياما آمنين يقول وقلنا لهم سيروا فى هذه القرى ما بين قراكم والقرى التى باركنا فيها ليالى وأياما آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا ولا من أحد ظلما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيروا فيها ليالى وأياما آمنين لا يخافون ظلما ولا جوعا وانما يغدون فيقيلون ويروحون فيبيتون فى قرية أهل جنة ونهر حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها وتمتهن بيدها فيمتلئ مكتلها من الثمر قبل أن ترجع الى أهلها من غير أن تخترف شيأ وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأياما آمنين قال ليس فيها خوف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ربنا باعد بين أسفارنا على وجه الدعاء والمسئلة بالألف وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة بعد بتشديد العين على الدعاء أيضا وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان يقرؤه ربنا باعد بين أسفارنا على وجه الخبر عن الله أن الله فعل ذلك بهم وحكى عن آخر أنه قرأه ربنا بعد على وجه الخبر أيضا

غيرأن الرب منادى * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ربنا باعد وبعد لانهما القراءتان المعروفتان فى قرأة الامصار وماعداهما فغير معروف فيهم على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسئلة وذلك أيضا مما يزيد القراءة الاخرى بعدا من الصواب فاذا كان هو الصواب من القراءة فتأويل الكلام فقالوا يا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود معنا فيها الأزواد وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم واحسانه اليهم وجهلهم بمقدار العافية ولقد عجل لهم ربهم الاجابة كما عجل للقائلين ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم أعطاهم مارغبوا اليه فيه وطلبوا من المسئلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبدالله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قال كانت لهم قرى متصلة باليمن كان بعضها ينظر الى بعض فبطروا ذلك وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قال فأرسل الله عليهم سيل العرم وجعل طعامهم أثلا وخمطا وشيأ من سدر قليل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم قال فانهم بطروا عيشهم وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيه فمزقوا بين الشأم وسبا وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله قال الله وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا حتى نبيت فى الفلوات والصحارى فظلموا أنفسهم وقوله فظلموا أنفسهم وكان ظلمهم اياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله فجعلناهم أحاديث يقول صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل فى السب فيقال تفرق القوم أيادى سبا وأيدى سبا اذا تفرقوا وتقطعوا وقوله ومزقناهم كل ممزق يقول وقطعناهم فى البلاد كل مقطع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق قال قتادة قال عامر الشعبى أما غسان فقد لحقوا بالشأم وأما الانصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة فلحقوا بتهامة وأما الأزد فلحقوا بعمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى فى كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون فقال لهم انى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود قال فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدن وأمر دعن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشا آينا وحرما آمنا فليلحق بالارزين فكانت خزاعة ومن كان يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج فهما هذان الحيان من الانصار ومن كان يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم ومن كان منهم بالعراق قال

قول ابن عباس عن النبى فاذا أذن لمن أذن ان يشفع فزعته الشفاعة والتشديد للسلب والازالة على نحو قردته وجلدته أى ازلت قراده وسلخت جلده وقيل ان حتى على هذا التفسير متعلق بقوله زعمتم أى زعمتم الكفر (٥٩) الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق ومنهم من ذهب الى أن التفزيع غاية الوحى المستفاد من قل فانه عند الوحى يفزع من فى السموات كما جاء فى حديث اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبرائيل ماذا قال ربكم فيقول الحق أى يقول الحق الحق وقيل أراد بالفزع أنه تعالى لما أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فزع من فى السموات من القيامة لأن ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من أشراطها فلما زال عنهم ذلك قالوا ماذا قال الله قال جبرائيل وأتباعه الحق وقيل انه الفزع عند الموت يزيله الله عن القلوب فيعرف كل أحد أن ما قال الله هو الحق فينتفع بتلك المعرفة أهل الايمان ولا ينتفع بها أهل الكفر وحين بين بقوله قل ادعوا أنه لا يدفع الضر الا هو أشار بقوله (قل من يرزقكم) الى أن جلب النفع لا يكمل إلا به ومن النكتة هى أنه قال فى دفع الضر قالوا الحق وفى طلب النفع قال قل الله تنبيها على أنهم فى الضراء مقبلون على الله معترفون به وفى السراء معرضون عنه غافلون لا يتنبهون الا بمسه وقوله (وانا أو اياكم) من الكلام المنصف الذى يتضمن قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا وفى تخالف حرفى الجر فى قوله (لعلى هدى أو فى ضلال) اشارة الى أن أهل الحق راكبون مطية الهدى مستعلون على متنها وأن أهل الباطل منغمسون فى ظلمة الضلال لا يدرون أين يتوجهون وانما وصف الضلال بالمبين وأطلق الهدى لأن الحق كالخط المستقيم واحد والباطل كالخطوط المنحنية لا حصر لها فبعضها ادخل فى الضلالة من بعض وأبين وقوله (عما أجرمنا) الى قوله (عما تعملون) أبلغ فى سلوك

ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر وكانت كاهنة فرأت فى كهانتها ذلك والله أعلم أى ذلك كان قال فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران ابن عامر وقوله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول تعالى ذكره ان فى تمزيقناهم كل ممزق لآيات يقول لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه اذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته اذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذى اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ولقد صدّق بتشديد الدال من صدق بمعنى أنه قال ظنا منه ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم صدّق ظنه ذلك فيهم فحقق ذلك بهم و باتباعهم اياه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة ولقد صدق بتخفيف الدال بمعنى ولقد صدق عليهم ظنه * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى وذلك أن ابليس قد صدق على كفره بنى آدم فى ظنه وصدق عليهم ظنه الذى ظن حين قال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وحين قال ولأضلنهم ولأمنينهم الآية قال ذلك عدوّ الله ظنا منه أنه يفعل ذلك لا علما فصار ذلك حقا باتباعهم اياه فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال ولقد ظن ابليس بهؤلاء الذين بدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط عقوبة منا لهم ظنا غير يقين علم أنهم يتبعونه و يطيعونه فى معصية الله فصدّق ظنه عليهم باغوائه اياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم الا فريقا من المؤمنين بالله فانهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية ابليس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرنى عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس أنه قرأ ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه مشددة وقال ظن ظنا فصدّق ظنه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه قال ظن ظنا فاتبعوا ظنه * قال ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال والله ما كان الا ظنا ظنه والله لا يصدّق كاذبا ولا يكذب صادقا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه قال أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم على وفضلتهم وشرفتهم لا تجد أكثرهم شاكرين وكان ذلك ظنا منه بغير علم فقال الله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ ﴾ يقول تعالى ذكره وما كان لابليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها الا بتسليطناه عليهم ليعلم حزبنا وأولياؤنا من يؤمن بالآخرة يقول من يصدّق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو منها

لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع فى الفهم فيفوت الغرض ومعنى الفتح الحكم والفصل بين الفريقين بادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وحين حث فى الآية الاولى على وجوب النظر من حيث ان كل أحد يؤاخذ بجرمه ولو كان البرىء أخذ بالمجرم لم يكن كذلك أكد ذلك المعنى بالآية الثانية فان مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وفى قوله (العليم) اشارة الى أن حكمه يكون مع العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى ولما بين أن غير الله لا يعبد لدفع الضر ولا لجلب النفع أراد أن يبين أن غير الله لا ينبغى أن يعبد لأجل استحقاق العبادة فانه لا مستحق للعبادة الا هو ومعنى (أرونى) وكان يعرفهم ويراهم الاستخفاف بهم والتنبيه على الخطا العظيم فى إلحاق الشركاء بالله أو أراد أعلمونى بأى صفة ألحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء فشركاء نصب على الحال والعائد محذوف و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسده بابطال المقايسة ورد الالحاق ثم زاد فى توبيخهم بقوله (بل هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات فان الاله لا يمكن أن يخلو عن القدرة الكاملة والحكمة الشاملة وهو يحتمل أن يكون ضمير الشأن وحين فرغ من التوحيد شرع فى الرسالة ومعنى (كافة) عامة لان الرسالة اذا شملتهم فقد منعتهم أن يخرج أحد منهم والكف المنع وكافة صفة لرسالة وقال الزجاج التاء للمبالغة كتاء الراوية والعلامة وانه حال من الكاف فى أى أرسلناك جامعا للناس فى الابلاغ والتبشير والانذار أو مانعا للناس من الكفر والمعاصى وبعض النحويين جعله حالا من الناس

وزيف بأن حال المجرور لا يتقدم عليه ومن هؤلاء من جعل اللام بمعنى الى لان أرسل يتعدى بالى فضوعفت تخطئته بأن استعمال اللام بمعنى الى ضعيف * لا يخفى أن ثانى مفعولى أرسلنا على غير هذا التفسير محذوف والتقدير (٦١) وما أرسلناك الى الناس الا كافة (ولكن أكثر

في شك فلا يوقن بالمعاد ولا يصدق بثواب ولا عقاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان له عليهم من سلطان قال قال الحسن والله ما ضربهم بعصا ولا بسيف ولا سوط الا أمانى وغرورا دعاهم اليها * قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك قال وانما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن وقيل عنى بقوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة الا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب وقوله وربك على كل شئ حفيظ يقول تعالى ذكره وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظ لا يعزب عنه علم شئ منه وهو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا فى الدنيا من خير وشر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ يقول تعالى ذكره فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا داود وسليمن الذى فعلنا بهما من انعامنا عليهما النعم التى لا كفاء لها اذ شكرانا وذلك فعلنا بسبا الذين فعلنا بهم اذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من انعام أو إيآس فان لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون لأن الشركة فى الربوبية لا تصلح ولا تجوز ثم وصف الذين يدعون من دون الله فقال انهم لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع فكيف يكون الها من كان كذلك وقوله وما لهم فيهما من شرك يقول تعالى ذكره ولا هم اذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة لأن الاملاك فى المملوكات لا تكون لمالكها الا على أحد وجهين اما مقسوما واما مشاعا يقول وآلهتكم التى يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة فى السموات ولا فى الارض لا مشاعا ولا مقسوما فكيف يكون من كان هكذا شريكا لمن له ملك جميع ذلك وقوله وما له منهم من ظهير يقول وما لله من الآلهة التى يدعون من دونه معين على خلق شئ من ذلك ولا على حفظه اذ لم يكن لها ملك شئ منه مشاعا ولا مقسوما فيقال هو لك شريك من أجل أنه أعان وان لم يكن له ملك شئ منه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك يقول ما لله من شريك فى السماء ولا فى الارض وما له منهم من الذين يدعون من دون الله من ظهير من عون بشئ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير﴾ يقول تعالى ذكره ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفع له الا أن يشفع لمن أذن الله فى الشفاعة يقول تعالى فاذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا الا لمن أذن الله فى الشفاعة له والله لا يأذن لأحد من أوليائه فى الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه

الناس لا يعلمون) وذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم وحين ذكر الرسالة بين الحشر وذكر أنهم استعجلوه تعنتا منهم فبين على طريق التهديد أنه لا استعجال فيه كما لا إمهال وهذا شأن كل أمر ذى بال قال جار الله (ميعاد يوم) كقولك سحق عمامة فى أن الاضافة للتبيين يزيده قراءة من قرأ ميعاد يوم بالرفع فيهما فأبدل منه اليوم ووصف اسناد الفعل اليهم بقوله (لا تستأخرون عنه) دون ان يقول لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم ولما بين الأصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ذكر أنهم كافرون بالكل قائلين (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع الكتب وقيل الذين كفروا عام والذى بين يديه يوم القيامة وما جاء ذكره فى القرآن من تفاصيل الحشر وغيرها وأن أهل الكتاب لو صدقوا بشئ من ذلك فليس لاجل مجيئه فى القرآن ولكن لمجيئه فى كتبهم وحين وقع اليأس من ايمانهم بقولهم لن نؤمن وعد نبيه بأنه سيراهم على أذل حال موقوفين للسؤال متجاذبين أهداب المراجعة كما يكون حال جماعة أخطؤا فى تدبير أمر وجواب لو محذوف أى لقضيت العجب وبدأ بالأتباع

لان المتمثل أولى بالتوبيخ وفى قوله (لولا أنتم) اشارة الى أن كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضى فان الرسول قد جاء ولم يقصر فى الابلاغ ثم ذكر جواب المستكبرين وهم الرؤس والمتبوعون على طريقة الاستئناف وفى ايلاء الاسم وهو نحن حرف الانكار اثبات أنهم هم الذين

صدّوا بأنفسهم عن الهدى بكسب منهم واختيار وان المانع لم يكن راجحا على المقتضى ولا مساويا له وأكدوا ذلك بقولهم (بل كنتم مجرمين) أى انكم أنتم الذين أطعتم أمر الشهوة فكنتم (٦٢) كافرين ولم يكن منا الا التسويل والتزيين ثم عطف قولا آخر للمستضعفين على قولهم الاول والاضافة فى (مكر الليل والنهار) من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به وأصل الكلام بل مكرهم فى الليل والنهار أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى فالاول اتساع لفظى والثانى معنوى أبطلوا اضرابهم باضرابهم قائلين ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا مستمرا دائبا ليلا ونهارا وقدم الليل لانه أخفى للمكر والويل وقرئ مكر الليل بالتشديد أى سبب ذلك أنكم تكرون الاغواء مكرا دائبا والمعنى ما أنتم بالصارف القطعى والمانع القوى ولكن انضم الى ذلك طول المدة فصار قولكم جزء السبب وفى قولهم (أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) اشارة الى أن المشرك وان كان مثبتا لله فى الظاهر ولكنه ناف له على الحقيقة لانه جعله مساويا للصنم ويجوز أن يكون كل منهما قول طائفة فبعضهم كانوا مأمورين بجحد الصانع وبعضهم بالاشراك به وتفسير قوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) مذكور فى سورة يونس والضمير يعود الى جنس الظالمين الشامل للمستضعفين وللمستكبرين وقوله (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الأغلال وهى محمولة على الظاهر وان جاز أن يراد بها العلائق وفى قوله (هل تجزون) اشارة الى أنهم استحقوها عدلا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن ايذاء الكفار الانبياء ليس بدعا وانما ذلك هجيراهم قدما وانما خص المترفين بالذكر لأنهم أصل فى الجحود والانكار وغيرهم تبع ثم استدلوا على كونهم مصيبين فى ذلك بكثرة الأموال والأولاد لأنهم اعتقدوا

ليقربكم الى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم فمن اذ كان هذا معنى الكلام التى فى قوله الا لمن أذن له المشفوع له * واختلفت القراء فى قراءة قوله أذن له فقرأ ذلك عامة القراء بضم الالف من أذن له على وجه ما لم يسم فاعله وقرأه بعض الكوفيين أذن له على اختلاف أيضا عنه فيه بمعنى أذن الله له وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يقول حتى اذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يعنى جلى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كشف عنها الغطاء يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال اذا جلى عن قلوبهم واختلف أهل التأويل فى الموصوفين بهذه الصفة من هم وما السبب الذى من أجله فزع عن قلوبهم فقال بعضهم الذى فزع عن قلوبهم الملائكة قالوا وانما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحى ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال ابن مسعود فى هذه الآية حتى اذا فزع عن قلوبهم قال اذا حدث أمر عند ذى العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم فاذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء قال الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر عن مسروق قال اذا حدث عند ذى العرش أمر سمعت الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا قال فيغشى عليهم فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء الله الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال اذا حدث أمر عند ذى العرش ثم ذكر نحو معناه الا أنه قال فيغشى عليهم من الفزع حتى اذا ذهب ذلك عنهم تنادوا ماذا قال ربكم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن عبد الله بن مسعود فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحى اذا ألقى سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان قال فيتنادون فى السموات ماذا قال ربكم قال فيتنادون الحق وهو العلى الكبير * وبه عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال ينزل الأمر من عند رب العزة الى السماء الدنيا فتفزع أهل السماء الدنيا حتى يستبين لهم الأمر الذى نزل فيه فيقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق وهو العلى الكبير فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عكرمة قال ثنا أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا قضى أمرا فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعا ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن هشام بن عروة قال قال الحرث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى قال يأتينى فى صلصلة كصلصلة الجرس فيفصم عنى حين

يفصم

أنهم لو لم يكرموا على الله مارزقهم ثم قاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا فقالوا (ومانحن بمعذبين) فبين الله خطأهم بأن القابض الباسط هو الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك بمجرد المشيئة لا بالكسب والاستحقاق فكم من شقي

يفصم وقد وعيته وأتى أحيانا في مثل صورة الرجل فيكلمني به كلاما هو أهون علي حدثني زكريا بن أبان المصري قال ثنا نعيم قال ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن جابر بن حيوة عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يوحي بالامر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوف أمر الله فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرائيل فيقول جبرائيل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ماقال جبرائيل فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال كان ابن عباس يقول ان الله لما أراد أن يوحي الى محمد دعا جبريل فلما تكلم ربنا بالوحي كان صوته كصوت الحديد على الصفا فلما سمع أهل السموات صوت الحديد خروا سجدا فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رؤسهم فقالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وهذا قول الملائكة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الى وهو العلي الكبير قال لما أوحى الله تعالى ذكره الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة فبعث بالوحي سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا أن الله لا يقول الا حقا وأنه منجز ماوعد قال ابن عباس وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خروا سجدا فلما رفعوا رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس قل من يرزقكم من السموات الى قوله في ضلال مبين حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عبد الله بن القاسم في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال الوحي ينزل من السماء فاذا قضاه قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحي اذا قضي في زوايا السماء قال مثل وقع الفولاذ على الصخرة قال فيشفقون لا يدرون ماحدث فيفزعون فاذا مرت بهم الرسل قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير * وقال آخرون ممن قال الموصوفون بذلك الملائكة انما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم الآية قال يوحي الله الى جبرائيل فتفرق الملائكة أو تفزع مخافة أن يكون شئ من أمر الساعة فاذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير * وقال آخرون بل ذلك من فعل ملائكة السموات اذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون الى الارض يكتبون أعمالهم اذا أرسلهم الرب فانحدروا

موسر وتقي معسر ثم زاد في البيان بقوله (وما أموالكم) أي وما جماعة أموالكم (ولا) جماعة (أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي قربى اسم بمعنى القربة وقع موقع المصدر كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا ثم استثنى من ضمير المفعول في تقربكم بقوله (الا من آمن) والمراد أن الاموال والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح ينفق الاموال في سبيل الله ويعلم أولاده الخير والفقه في الدين ويحتمل أن يكون الاستثناء من الفاعل والمعنى أن شيأ من الاشياء لا يقرب الا عمل المؤمن الصالح لأن ماسوى ذلك شاغل عن الله والعمل الصالح اقبال على العبودية ومن توجه الى الله وصل ومن طلب شيأ من الله حصل و جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول تقديره فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ومعنى قراءة يعقوب أولئك لهم الضعف جزاء والتضعيف يكون الى العشر والى سبعمائة وأكثر كما عرفت والباقي الى قوله محضرون قد سبق وحين بين أن حصول الترف لا يدل على الشرف ذكر أن بسط الرزق لا يختص بهم ولكنه سبحانه قد يبسط الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين ثم رتب وعد الاخلاف على الانفاق وذلك اما في العاجل بالمال أو بالقنوع واما في الآخرة بالثواب الذي لا خاف فوقه ولا مثله ومما يؤكد الآية قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا الحديث

وقول الفقهاء ألق متاعك في البحر وعلي ضمانه وأن التاجر اذا علم أن مالا من الاموال في معرض الفناء يبيعه نسيئة وان كان من الفقراء والا نسب الى الخطاء وسخافة الرأي ولا ريب أن مال الدنيا في معرض الزوال وأن أغنى الأغنياء طلب منا الاقراض ووعد الاضعاف

والاخلاف فأى تجارة عند العاقل اربح من هذا (وهو خير الرازقين) لان سلسلة الارزاق والرزق تنتهى اليه وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله (ويوم يحشرهم) وفى

خطاب الملائكة تقريع الكفار وتقرير لما يعروهم من الخجل والوجل عند اقتصاص ذلك كما فى قوله لعيسى أءنت قلت للناس (قالوا سبحانك) ننزهك عن أن نعبد غيرك أنت الذى نواليك ونعادى غيرك فى شأن العبادة (بل كانوا يعبدون الجن) حيث أطاعوهم فى عبادة غيرك فهم كانوا يطيعونهم وكنا نحن كالقبلة أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها أو كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها وانما قالوا (أكثرهم بهم مؤمنون) وما ادّعوا الاحاطة لأن الذين رأوهم وأطلعهم الله على أحوالهم كانوا كذلك ولعل فى الوجود من لا يطلع الله الملائكة عليه من الكفار وأيضا أن العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والاطلاع على عمل القلب كما هو ليس الا لله وحده فراعوا الادب الجميل والحكم على الظاهر أكثرى ثم ذكر أن الامر فى ذلك اليوم لله وحده والخطاب فى قوله (لا يملك بعضكم) للملائكة والكفار وان كان الكفار غائبين كما تقول لمن حضر عندك ولمن شاركه فى أمر بسببه أنتم قلتم كذا على معنى أنت قلت وهم قالوا ويحتمل أن يكون الخطاب للكفار لأن ذكر اليوم يدل على حضورهم أولهم وللملائكة أيضا بهذا التأويل وعلى الاول يكون قوله (ونقول للذين ظلموا) افرادا للكفرة بالذكر وعلى الوجه الآخر يكون تأكيدا لبيان حالهم فى الظلم وذكر الضر تأكيد لعدم تملكهم شيأ والا فهو غير متصور فى ذلك اليوم وانما قال ههنا (عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) وفى السجدة عذاب النار الذى كنتم به لانهم هنالك قدروا النار بدليل قوله كلما

سمع لهم صوت شديد فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة فيخرّوا سجدا وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم * وقال آخرون بل الموصوفون بذلك المشركون قالوا وانما يفزع الشيطان عن قلوبهم قال وانما يقولون ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وامانيهم وما كان يضلهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال وهذا فى بنى آدم وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الاقرار * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكره الشعبى عن ابن مسعود لصحة الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييده واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له أن يشفع عنده فاذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه اذنه حتى اذا فزع عن قلوبهم فجلى عنها وكشف الفزع عنهم قالوا ماذا قال ربكم قالت الملائكة الحق وهو العلى على كل شئ الكبير الذى لا شئ دونه والعرب تستعمل فزع فى معنيين فتقول للشجاع الذى به تنزل الامور التى يفزع منها هو مفزع وتقول للجبان الذى يفزع من كل شئ انه لمفزع وكذلك تقول للرجل الذى يقضى له الناس فى الامور بالغلبة على من نازله فيها هو مغلب واذا أريد به هذا المعنى كان غالبا وتقول للرجل أيضا الذى هو مغلوب أبدا مغلب وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار أجمعون فزع بالزاى والعين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن مسعود ومن قال بقوله فى ذلك وروى عن الحسن أنه قرأ ذلك حتى اذا فرغ عن قلوبهم بالراء والغين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن زيد وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك الى حتى اذا فرغ عن قلوبهم فصارت فارغة من الفزع الذى كان حل بها ذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك فزع بمعنى كشف الله الفزع عنها * والصواب من القراءة فى ذلك القراءة بالزاى والعين لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل عليها ولصحة الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييدها والدلالة على صحتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الاوثان والاصنام من يرزقكم من السموات والارض بانزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم وصلاحا لمعايشكم وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ومنافع أقواتكم والارض باخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ثم ذكره وهو فان قالوا لا ندرى فقل الذى يرزقكم ذلك الله وانا أو اياكم أيها القوم لعلى هدى أو فى ضلال مبين يقول قل لهم انا لعلى هدى أو فى ضلال أو انكم على ضلال أو هدى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قال قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين والله ما انا وأنتم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقد قال قوم معنى ذلك وانا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين

ارادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا العذاب المؤبد الذي كنتم به تكذبون في قولكم لن تمسنا النار الا أياما معدودة وههنا لم يروا النار وقيل لانه مذكور عقيب الحشر والسؤال فناسب التوبيخ

على تكذيبهم بالنار ثم حكى أكاذيبهم بقوله

ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم الشهيدي قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة وزياد في قوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قال انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين واختلف أهل العربية في وجه دخول أو في هذا الموضع فقال بعض نحويي البصرة ليس ذلك لأنه شك ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدي قال وقد يقول الرجل لعبده أحدنا ضارب صاحبه ولا يكون فيه اشكال على السامع أن المولى هو الضارب * وقال آخر منهم معنى ذلك انا لعلى هدى وانكم اياكم في ضلال مبين لأن العرب تضع أو في موضع واو الموالاة قال جرير

أثعلبة الفوارس أو رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا

قال يعني أثعلبة ورياحا قال وقد تكلم بهذا من لا يشك في دينه وقد علم أنهم على هدى وأولئك في ضلال فيقال هذا وان كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء فقال هذا لهم وقال

فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

وقال بعض نحويي الكوفة معنى أو معنى الواو في هذا الموضع في المعنى غير أن القرينة على غير ذلك لا تكون أو بمنزلة الواو ولكنها تكون في الأمر المفوض كما تقول ان شئت فخذ درهما أو اثنين فله أن يأخذ اثنين أو واحدا وليس له أن يأخذ ثلاثة قال وهو في قول من لا يبصر العربية ويجعل أو بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ ثلاثة لانه في قولهم بمنزلة قولك خذ درهما واثنين قال والمعنى في إنا أو اياكم انا لضالون أو مهتدون وانكم أيضا الضالون وهو يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضال قال وأنت تقول في الكلام للرجل يكذبك والله ان أحدنا الكاذب وأنت تعنيه وكذبته تكذيبا غير مكشوف وهو في القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام الى أحسن مذاهبه اذا عرف كقول القائل لمن قال والله لقد قدم فلان وهو كاذب فيقول قل ان شاء الله أو قل فيما أظن فيكذبه بأحسن تصريح التكذيب قال ومن كلام العرب أن يقولوا قاتله الله ثم يستقبحونها فيقولون قاتله الله وكاتعه الله قال ومن ذلك ويحك وويسك انما هي في معنى ويلك الا أنها دونها * والصواب من القول في ذلك عندي أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأجمل التكذيب كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه وهو يريد تكذيبه في خبر له أحدنا كاذب وقائل ذلك يعني صاحبه لا نفسه فلهذا المعنى صير الكلام بأو ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال لا تسئلون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا من اثم ولا نسئل نحن عما تعملون أنتم من عمل قل لهم يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق يقول ثم يقضي بيننا بالعدل فيتبين عند ذلك المهتدي منا من الضال وهو الفتاح العليم يقول والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه لأنه لا تخفى عنه خافية ولا يحتاج الى شهود تعرفه المحق من المبطل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا أي يقضي بيننا حدثني علي قال ثنا

(واذا تتلى) الآية ولا يخفى ما فيه من المبالغات ثم بين أن أقوالهم هذه لا تستند الا الى محض التقليد فقال (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فالآيات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية وما لهم من دليل او بالنقليات وما عندهم من كتاب ولا رسول غيرك (وكذب الذين من قبلهم) كعاد وثمود (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع قال الأكثرون معنا وما بلغ هؤلاء المشركون عشر ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان الله أخذهم وما نفعهم محصولهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وقال بعضهم أراد وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما آتينا قوم محمد صلى الله عليه وسلم من البيان والبرهان لان محمدا صلى الله عليه وسلم أفصح الرسل وكتابه أوضح الكتب ثم ان المتقدمين أنكر عليهم تكذيبهم فكيف لا ينكر على هؤلاء قال جار الله قوله (فكذبوا رسلي) بعد قوله وكذب الذين من قبلهم تخصيص بعد تعميم كأنه قيل وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلي نظيره قول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا معشار ما كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه قلت فعلى هذا تكون الفاء للسببية والمعنى أنه اذا لم يبلغ معشار فضله فكيف يفضل عليه وكذا في الآية فيصير المعنى انهم اذا لم يبلغوا معشار الأقدمين فكيف كذبوا (فكيف كان نكير) للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ويجوز عندي أن يكون الثاني تكريرا لا لأجل ترتب النكير عليه كأنه قيل

اذقد صح أنهم فعلوا ما ذكرنا فلا جرم ذاقوا وبال أمرهم نظيره قولك لمن بحضرتك فعلت كذا وكذا فاذا فعلت ذلك فتربص وبعد تقرير الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر

كررها مجموعة بقوله (قل انما أعظكم بواحدة) أى بخصلة أو حسنة أو كلمة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها والقيام اما حقيقة وهو قيامهم عن مجلس النبى متفرقين الى أوطانهم واما مجاز وهو الاهتمام بالامر والنهوض له بالعزم والجد فقوله (مثنى وفرادى) اشارة الى جميع الاحوال لان الانسان اما أن يكون مع غيره أولا فكأنه قال أن تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية عن ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله وقوله (ثم تتفكروا) يعنى اعترفوا بما هو الاصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعد ما بان وظهر ثم تتفكروا فيما أقول بعده وهو الرسالة المشار اليها بقوله (ما بصاحبكم من جنة) والحشر المشار اليه بقوله (بين يدى عذاب شديد) قيل وفيه اشارة الى عذاب قريب كأنه قال ينذركم بعذاب يمسكم قبل الشديد فمجموع الامور الثلاثة شئ واحد أو المراد أنه لا يأمرهم فى أول الامر بغير التوحيد لأنه سابق على الكل لا أنه لا يأمرهم فى جميع العمر الا بشئ واحد وعند جار الله الخصلة الواحدة هى الفكر فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وهو أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان ما فوق الاثنين والواحد يوجب التشويش واختلاف الرأى فيعرض كل من الاثنين محصول فكره على صاحبه من غير عصبية ولا اتباع هوى وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة حتى يجذب الفكر بضبعه الى أن هذا الامر المستتبع لسعادة الدارين لا يتصدى لادعائه الا رجلان مجنون لا يبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان وعاقل اجتباه الله بسوابق الفضل

أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهو الفتاح العليم يقول القاضى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أرونى أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء فى عبادتكم اياهم ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات كلا يقول تعالى ذكره كذبوا ليس الأمر كما وصفوا ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكا بل هو المعبود الذى لا شريك له ولا يصلح أن يكون له شريك فى ملكه العزيز فى انتقامه ممن أشرك به من خلقه الحكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وما أرسلناك يا محمد الى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيرا من أطاعك ونذيرا من كذبك ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك الى جميع البشر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلناك إلا كافة للناس قال أرسل الله محمدا الى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم له ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق فارس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون بالله اذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم فى معادهم مما أنزل الله فى كتابه متى هذا الوعد جائيا وفى أى وقت هو كائن ان كنتم فيما تعدوننا من ذلك صادقين أنه كائن قال الله لنبيه قل لهم يا محمد لكم أيها القوم ميعاد يوم هو آتيكم لا تستأخرون عنه اذا جاءكم ساعة فتنظروا للتوبة والانابة ولا تستقدمون قبله بالعذاب لان الله جعل لكم ذلك أجلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا من مشركى العرب لن نؤمن بهذا القرآن الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالكتاب الذى جاء به غيره من بين يديه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه قال قال المشركون لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه من الكتب والانبياء وقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يتلاومون يحاور بعضهم بعضا يقول المستضعفون كانوا فى الدنيا للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء فى الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين استكبروا فى الدنيا فرأسوا فى الضلالة والكفر بالله للذين استضعفوا فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم اذ قالوا لهم لولا أنتم لكنا مؤمنين أنحن صددناكم عن الهدى ومنعناكم من اتباع الحق بعد اذ جاءكم من عند الله

يبين

والامتنان لتكميل نوع الإنسان لكن محمدا صلى الله عليه وسلم بالاتفاق أرجح الناس عقلا وأصدقهم قولا وأوفرهم حياء وأمانة فما هو إلا
النبيّ المنتظر في آخر الزمان المبعوث بين يدي عذاب شديد هو القيامة وأهوالها وقوله ما بصاحبكم إما أن يكون كلاما

يبين لكم بل كنتم مجرمين فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى والإيمان بالله ورسوله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين استضعفوا من الكفرة بالله في الدنيا فكانوا أتباعا لرؤسائهم في الضلالة للذين استكبروا فيها فكانوا لهم رؤساء بل مكركم لنا بالليل والنهار صدنا عن الهدى إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أمثالا وأشباها في العبادة والألوهة فأضيف المكر إلى الليل والنهار والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار على اتساع العرب في الذي قد عرف معناه فيه من منطقها من نقل صفة الشيء إلى غيره فتقول للرجل يا فلان نهارك صائم وليلك قائم وكما قال الشاعر

* ونمت وماليل المطيّ بنائم * وما أشبه ذلك مما قد مضى بياننا له في غير هذا الموضع من كتابنا هذا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا يقول بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله وقد ذكر في تأويله عن سعيد بن جبير ما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال مرّ الليل والنهار وقوله إذ تأمروننا أن نكفر بالله يقول حين تأمروننا أن نكفر بالله وقوله ونجعل له أندادا يقول شركاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونجعل له أندادا شركاء قوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول وندموا على ما فرطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب الله الذي أعده لهم كما حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة وأسروا الندامة بينهم لما رأوا العذاب قوله وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا وغلت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون يقول الله جل ثناؤه ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابا بأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها ومكافأة لهم عليها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا إلا قال كبراؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له إنا بما أرسلتم به من النذارة وبعثتم به من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون قال هم رؤسهم وقادتهم في الشر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن في الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضيا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد ولم يبسط لنا في الرزق وإنما أعطانا

مستأنفا فيه تنبيه على كيفية النظر في أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم والمراد ثم تتفكروا فتعلموا ذلك وجوز بعضهم أن تكون ما استفهامية وحين ذكر أنه ما به جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه صحة نبوته وهو قوله (ما سألتكم من أجر) الآية وتقريره أن العاقل لا يركب العناء الشديد إلا لغرض عاجل وهو غير موجود ههنا بل كل أحد يعاديه ويقصده بالسوء أو لغرض آجل ولا يثبت إلا على تقدير الصدق فإن الكاذب معذب في الآخرة لا مثاب هذا إذا أريد بقوله (فهو لكم) نفي سؤال الأجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ويحتمل أن يراد بالأجر قوله لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى وقوله ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا لأن المودة في القربى قد انتظمته وإياهم وكذا اتخاذ السبيل إلى الله عز وجل فيه نصيبهم ونفعهم (وهو على كل شيء شهيد) يعلم أني لا أطلب الأجر على نصحكم أو يعلم أن فائدة النصح تعود عليكم قوله (يقذف بالحق) أي في قلوب المحقين وفيه إزالة استبعاد الكفرة تخصيص واحد منهم بإنزال الذكر عليه فإن الأمر بيد الله والفضل له يؤتيه من يشاء وإنه (علام الغيوب) يعلم عواقب الأمور ومراتب الاستحقاق فيعطي على حسب ذلك لا كما يفعل الهاجم الغافل

أو أراد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وذلك أن براهين التوحيد قد ظهرت وشبه المبطلين قد دحضت وفي قوله علام الغيوب إشارة إلى أن البرهان الباهر لم يقم إلا على التوحيد والرسالة وأما الحشر فالدليل عليه إخبار علام الغيوب عنه وحين ذكر أنه يقذف بالحق

ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا وزلفة لنا عنده يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان ربي يبسط الرزق من المعاش والرياش في الدنيا لمن يشاء من خلقه ويقدر فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت منه لمن قدر عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الآية قال قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا قال وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا لو لم يكن الله عنا راضيا لم يعطنا هذا كما قال قارون لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا قال أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون الى آخر الآية ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) يقول جل ثناؤه وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم بالتي تقربكم منا قربة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عندنا زلفى قال قربى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد وان الكافر قد يعطى المال وربما حبس عن المؤمن وقال جل ثناؤه وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولم يقل باللتين وقد ذكر الأموال والاولاد وهما نوعان مختلفان لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ولو قال قائل أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله وكان ذلك كقول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

ولم يقل راضيان وقوله الا من آمن وعمل صالحا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فانه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه الى الله زلفى دون أهل الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله إلا من آمن وعمل صالحا قال لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين وقرأ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به كما حاسب الآخرين فمن حملا على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه وقد يحتمل أن يكون من في موضع رفع فيكون كأنه قيل وما هو إلا من آمن وعمل صالحا وقوله فأولئك لهم جزاء الضعف يقول فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب بالواحدة عشرة * وبنحو الذي قلنا

وكان ذلك بصيغة الاستقبال أخبر أن ذلك الحق قد جاء وهو القرآن والاسلام وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يده وقيل السيف وقوله (وما يبدئ الباطل وما يعيد) (٦٨) مثل في الهلاك لان الحي اما أن يبدي فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة والتحقيق فيه أن الحق هو الموجود الثابت ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان التوحيد والرسالة والحشر ثابتا في نفسه بينا لمن نظر اليه كان جائيا وحين كان ما أتوا به من الاصرار والتكذيب مما لا أصل له قيل انه لا يبدئ ولا يعيد أي لا يعيد شيئا لا في الازل ولا في الآخر وقيل الباطل ابليس لانه صاحب الباطل ولأنه هالك والمراد أنه لا ينشئ خلقا ولا يعيد وانما المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج ما استفهامية والمعنى أي شئ ينشئ ابليس ويعيده ثم قرر أمر الرسالة بوجه آخر وهو قوله (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) يعني كضلالكم وأما اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين قال جار الله هذا حكم عام لكل مكلف والتقابل مرعي من حيث المعنى والمراد أن كل ما هو وبال على النفس وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يعزب عنه منهما شئ وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دعاه على من يكذبه أجابه ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي ثم عجب نبيه أو كل راء من مآل حال أهل العناد بقوله (ولو ترى) وجوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما والأفعال في الماضية التي هي فزعوا وأخذوا وقالوا وحيل كلها من قبيل ونادى وسيق وقت الفزع وقت البعث أو الموت أو يوم بدر وعن ابن

عباس نزلت في خسف البيداء وهم ثمانون ألفا أرادوا غزو الكعبة وتخريبها فخسف بهم حين دخلوا البيداء (فلا فوت) أي فلا يفوتون الله ولا يسبقونه والأخذ من مكان قريب هو من الموقف الى النار أو من ظهر الأرض الى بطنها أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم الى الأرض وجوّز جار الله أن يعطف وأخذوا على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ثم بين أنهم سيؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالقرآن أو بالحق حين لا ينفع الايمان وذلك قوله (وأنى لهم التناوش) وهو تناول سهل لشيء قريب والمعنى أن حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعيد كما يتناوله الآخر من قريب تناولا سهلا لا تعب فيه أو أرادوا أن تناولهم التوبة وإيمانهم في الآخرة بعيد عن الدنيا فان أمس الدابر لا يعود وان كانت الآخرة قريبة من الدنيا ولهذا سماها الله الساعة وكل ما هو آت قريب وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت بالهمز أي أبطأت وتأخرت والأصح أنه من النوش كما مر همزت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وقيل التناوش بلغة اليمن التذكر قاله أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب في كتاب المدخل في تفسير القرآن والضمير في قوله (وقد كفروا) عائد الى ما يعود اليه في قوله آمنا به قوله (ويقذفون بالغيب) فيه وجوه أحدها أنه قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر وهذا تكلم بالأمر الخفي وقد أتوا به من جهة بعيدة عن حاله لأنهم قد عرفوا منه الأمانة والصدق لا الكذب والزور وثانيها أخذوا التشريك من حالهم في العجز فانهم يحتاجون في الأمور العظام الى التعاون فقاسوا الأمر الالهي عليه وثالثها أنهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم عجزوا عن احياء الموتى فظنوا أن الله لا يقدر على البعث وقياس الخالق على المخلوق بعيد المأخذ ورابعها قاسوا أمر الآخرة على الدنيا قائلين ان كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة وحصول الثواب والعقاب

في ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا قال بأعمالهم الواحد عشر وفي سبيل الله بالواحد سبعمائة وقوله في الغرفات آمنون يقول وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون * قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ يقول تعالى ذكره والذين يعملون في آياتنا يعني في حججنا وآي كتابنا يبتغون ابطاله ويريدون اطفاء نوره معاونين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا أولئك في العذاب محضرون يعني في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده يقول تعالى ذكره قل يا محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسع عليه تكرمة له وغير تكرمة ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره اهانة له وغير اهانة بل محنة واختبارا وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه يقول وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله فان الله يخلفها عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال ما كان في غير اسراف ولا تقتير وقوله وهو خير الرازقين يقول وهو خير من قيل انه يرزق ووصف به وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال فلان يرزق أهله وعياله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا فتتبرأ منهم الملائكة قالوا سبحانك ربنا تنزيها لك وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء من الشركاء والأنداد أنت ولينا من دونهم لا نتخذ وليا دونك بل كانوا يعبدون الجن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون استفهام كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يقول أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعا ينفعونكم به ولا ضرا ينالونكم به أو تنالونهم به ونقول للذين ظلموا يقول ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون فقد وردتموها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات يقول واضحات أنهن حق من عندنا قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يقول قالوا عند ذلك لا تتبعوا محمدا

فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان و يغير دينكم ودين آبائكم وقالوا ماهذا إلا إفك مفترى يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون ماهذا الذي تتلوعلينا يا محمد يعنون القرآن إلا إفك يقول إلا كذب مفترى يقول مختلق متخرص وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين يقول جل ثناؤه وقال الكفار للحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم يعني لما بعثه الله نبيا هذا سحر مبين يقول ماهذا إلا سحر مبين يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ يقول تعالى ذكره وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بآياتنا هذا سحر مبين بما يقولون من ذلك كتبا يدرسونها يقول يقرؤنها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها أي يقرؤنها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير يقول وما أرسلنا الى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون و يعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكذب الذين من قبلهم يقول وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا وما بلغوا معشار ما آتيناهم يقول ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش وغير ذلك من النعم * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم من القوة في الدنيا حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم يقول ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال ما بلغ هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم معشار ما آتينا الذين من قبلهم وما أعطيناهم من الدنيا و بسطنا عليهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير يقول فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم فانظر يا محمد كيف كان نكير يقول كيف كان تغييري بهم وعقوبتي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله إنما أعظكم بواحدة قال بطاعة الله وقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى يقول وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين (١) وفرادى فرادى فأن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة * و بنحو الذي

(١) لعله وفردا فردا أي أن تقوموا اثنين اثنين و واحدا واحدا فتنبه كتبه مصححه

الأمم لم ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأس الله و (مريب) موقع في الريب منقول من الأعيان الى المعنى أو ذو ريبة وذلك باعتبار صاحبه وكلاهما مجاز بوجهين وتقدم في هود ۞ التأويل مثقال ذرة في السموات القلوب ولا في الأرض النفوس من سعادة أو شقاوة قالوا الحق يعني ما فهموا من الهيبة كلامه ولكن يعلمون أنه لا يقول الا الحق قل من يرزقكم من سموات القلوب وأرض النفوس اذا نزل من سماء القلب ماء الفيض على أرض النفس وفيها بذر المعاملات الشرعية ألحقتم به شركاء من الدنيا والهوى والشيطان كافة للناس من أهل الأولين والآخرين في عالم الأجساد وهو ظاهر وفي عالم الأرواح تبشرها بأن لها كمالا عند الاتصال بالأشباح وتنذرها بالحرمان إن لم تتعلق بالأجسام وذلك أن الأرواح علوية نورانية والأشباح سفلية مظلمة لا يحصل بينهما التعلق الا بالتبشير والانذار فالروح بمثابة البذر والقالب كالأرض وشخص الانسان بمثابة الشجرة والتوحيد والمعرفة ثمرتها والشريعة كالماء والبشير والنذير كالأكار واذا أمعنت النظر وجدت شجرة الموجودات نابتة من بذر روحه صلى الله عليه وسلم وهو ثمرة هذه الشجرة مع جميع الأنبياء والمرسلين ولكن بتبعية محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا حصلت له رتبة الشفاعة دونهم يقولون يعني أرباب الطلب يستعجلون متى نصل الى الكمال الذي بشرتمونا به ثم بين أن لثمرة كل شجرة وقتا معلوما لا تتجاوزه أكثرهم بهم قلنا مؤمنون أي أكثر مدعي الاسلام بأسل الأهواء مؤمنون و يقذفون بالغيب فيه أن معارف الأسرار ومراتب الأحرار لا تصلح لمن هو

أسير فى أيدى صفات النفس وخيل بينهم لأن الدين ليس بالتمنى والله أعلم بحقائق الأشياء والله الموفق

﴿سورة فاطر مكية حروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون كلمها سبعمائة وسبع وسبعون آياتها خمس وأربعون﴾

قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تقوموا لله مثنى وفرادى قال واحدا واثنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى رجلا ورجلين وقيل انما قيل انما أعظكم بواحدة وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى مثنى يقول يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قط ثم ينفرد كل واحد منكم فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم وقوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يقول لانه ليس بمجنون وقوله ان هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد يقول ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه امام عذاب جهنم قبل أن تصلوها وقوله هو كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك المكذبيك الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك ما أسألكم من جعل على انذاريكم عذاب الله وتخويفكم به بأسه ونصيحتى لكم فى أمرى اياكم بالايمان بالله والعمل بطاعته فهو لكم لا حاجة لى به وانما معنى الكلام قل لهم انى لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهمونى وتظنوا أنى انما دعوتكم الى اتباعى لمال آخذه منكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ما سألتكم من أجر أى جعل فهو لكم يقول لم أسألكم على الاسلام جعلا وقوله ان أجرى الا على الله يقول ما ثوابى على دعائكم الى الايمان بالله والعمل بطاعته وتبليغكم رسالته الا على الله وهو على كل شئ شهيد يقول والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لى به وعلى غير ذلك من الأشياء كلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك إن ربى يقذف بالحق وهو الوحى يقول ينزله من السماء فيقذفه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علام الغيوب يقول علام ما يغيب عن الأبصار ولا مظهر لها وما لم يكن مما هو كائن وذلك من صفة الرب غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر وكذلك تفعل العرب اذا وقع النعت بعد الخبر فى أن أتبعوا النعت اعراب ما فى الخبر فقالوا ان أباك يقوم الكريم فرفع الكريم على ما وصفت والنصب فيه جائز لانه نعت للأب فيتبع اعرابه قل جاء الحق يقول قل لهم يا محمد جاء القرآن ووحى الله وما يبدئ الباطل يقول وما ينشئ الباطل خلقا والباطل هو فيما فسره أهل التأويل ابليس وما يعيد يقول ولا يعيده حيا بعد فنائه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان ربى يقذف بالحق أى بالوحى علام الغيوب قل جاء الحق أى القرآن وما يبدئ الباطل وما يعيد والباطل ابليس أى ما يخلق ابليس أحدا ولا يبعثه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب فقرأ بل نقذف بالحق على الباطل الى قوله ولكم الويل مما تصفون قال يزهق الله الباطل ويثبت الله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل

فى النهار و يولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم (٧٣) ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير

الحق الذى دمغ به الباطل يدمغ بالحق على الباطل فيهلك الباطل ويثبت الحق فذلك قوله قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى إنه سميع قريب﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك ان ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق فانما ضلالى عن الصواب على نفسى يقول فان ضلالى عن الهدى على نفسى ضره وان اهتديت يقول وان استقمت على الحق فبما يوحى الىّ ربى يقول فبوحى الله الذى يوحى الىّ وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى وقوله انه سميع قريب يقول انه سميع لما أقول لكم حافظ له وهو المجازى لى على صدقى فى ذلك وذلك منى غير بعيد فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم وما تقولون وما يقوله غيرنا ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به أقرب اليه من حبل الوريد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد اذ فزعوا واختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم قال وعنى بقوله اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب عند نزول نقمة الله بهم فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر الآية قال هذا من عذاب الدنيا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأخذوا من مكان قريب قال هذا عذاب الدنيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر السورة قال هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر نزلت فيهم هذه الآية قال وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم أهل بدر من المشركين * وقال آخرون عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال هم الجيش الذى يخسف بهم بالبيداء يبقى منهم رجل يخبر الناس بما لقى أصحابه حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا سفيان بن سعيد قال ثنى منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من بنى العباس ثم ينحدرون الى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما فى أيديهم من السبى والغنائم ويخلى جيشه التالى بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله

يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى المصير وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت إلا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ ۞ القراآت غير الله بالجر يزيد وحمزة وعلى الآخرون بالرفع حملا على المحل فلا تذهب من الاذهاب نفسك منصوبا يزيد الآخرون بفتح التاء والهاء من الذهاب نفسك مرفوعا الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف ولا ينقص بفتح الياء وضم القاف روح وزيد الباقون بالعكس من عمره باختلاس الضمة عباس والذين يدعون على الغيبة قتيبة ۞ الوقوف ورباع ط يشاء ط قدير ه لها ج بعده ط الحكيم ه عليكم ط والأرض ط الاهو ز للاستفهام ولفاء التعقيب
واتحاد المعنى تؤفكون ه قبلك ط الامور ه الغرور ه عدوا ط السعير ه ط لان الذين مبتدأ ضربة
شديد ه كبير ه حسنا ط لحذف الجواب حسرات ط يصنعون ه موتها ط النشور ه جميعا ط يرفعه ط شديد ه

ضربة يخمـ ف الله بهم فذلك قوله فى سورة سبأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الآية ولا ينفلت منهم الا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير و٠ سا من جهينة فلذلك جاء القول

* وعند جهينة الخبر اليقين * حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال سألت روّاد بن الجراح عن الحديث الذى حدّث به عنه عن سفيان الثورى عن منـ ٠ ور ٠ ن ربعى عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة ذكرها فى الفتن قال فقلت له أخبرنى عن هذا الحد ث سمعته من سفيان الثورى قال لا قلت فقرأته عليه قال لا قلت فقرئ عليه وأنت حاضر قال لا قلت فما قصته فاخبره قال جاءنى قوم فقالوا معنا حديث عجيب أو كلام هذا معناه نقرؤه وتسمعه قلت لهم هاتوه فقرؤه علىّ ثم ذهبوا فحدّثوا به عنى أو كلام هذا معناه «قال أبو جعفر» وقد حدثنى ببعض هذا الحديث محمد بن خلف قال ثنا عبد العزيز بن أبان عن ٠ سفيان الثورى عن منصور عن ربعى عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث طويل قال رأيته فى كتاب الحسين بن على الصدائى عن شيخ عن روّاد عن سفيان بطوله * وقال آخرون بل عنى ٠ لك المشركون اذا فزعوا عند خ وجهم من قبورهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله ولو ترى اذ فزعوا قال فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم * وقال قتادة ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب حين عاينوا عذاب الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا * والذى هو أولى بالصواب فى تأويل ذلك وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه لأن الآيات قبل هذه الآية بالاخبار عنهم رعن أسبابهم وبوعيد الله اياهم مغبته وهذه الآية فى سياق تلك الآيات فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرا لما لم يجرله ذكر واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله فلا فوت يقوا ، فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم أو يعجزونا هربا وينجوا من عذابنا كما حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يقول فلا نجاة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال لا هرب وقوله وأخذوا من مكان قريب يقول وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله آمنا به يعنى آمنا بالله وبكتابه ورسوله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقالوا آمنا به قالوا آمنا بالله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا آمنا به عند ذلك يعنى حين عاينوا عذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به بعد القتل وقوله وأنى لهم التناوش يقول ومن أىّ وجه لهم التناوش * واختلفت قراء الامصار فى ذلك فقرأته عامة قراء المدينة التناوش بغير همز بمعنى التناول وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة التناؤش بالهمز بمعنى التنؤش وهو الابطاء يقال منه تناءشت الشئ أخذته من بعيد ونشته أخذته من قريب ومن التنؤش قول الشاعر

يبور ه أزواجا ط بعلمه ط فى كتاب ط يسير ه أجاج ط تلبسونها ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى تشكرون ه مسمى ط الملك ط قطمير ه دعاءكم ج للشرط مع العطف لكم ط بشرككم ط خبير ه الى الله ط لاتفاق الجملتين مع حسن الفصل بين وصفى الخالق والمخلوق الحميد ه جديد ه ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال بعزيز ه أخرى ط لاستئناف الشرط قربى ط الصلاة ط لنفسه ط المصير ه والبصير ه لا ولا النور ه لا ولا الحرور ه ج للطول والتكرار الاموات ط يشاء ج للعطف من الاثبات الى النفى مع اتفاق الجملتين القبور ه الا نذير ه ونذيرا ط نذير ه من قبلهم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف المنير ه نكير ه ۞ التفسير لما بين فى آخر السورة المتقدمة انقطاع رجاء الشاك وعدم قبول توبته فى الآخرة ذكر فى أول هذه السورة حال الموفق المؤمن وبشر بارسال الملائكة اليهم مبشرين وبين أنه يفتح لهم أبواب الرحمة و (فاطر السموات والارض) مبدعهما أو شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض يؤيد التفسير الثانى قوله (جاعل الملائكة رسلا) وقوله وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون و (أولى أجنحة) أى أصحاب أجنحة أراد أن طائفة منهم أجنحة كل منهم اثنان اثنان وبعضهم أجنحة كل ثلاثة ثلاثة وبعضهم أجنحة كل أربعة أربعة فلمل جار الله الذين أجنحتهم ثلاثة ثلاثة

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمور

ومن النوش قول الراجز

فهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

ويقال للقوم فى الحرب اذا دنا بعضهم الى بعض بالرماح ولم يتلاقوا قد تناوش القوم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان معروفتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن معنى ذلك وقالوا آمنا بالله فى حين لا ينفعهم قيل ذلك فقال الله وأنى لهم التناوش أى وأين لهم التوبة والرجعة أى قد بعدت عنهم فصار وامنها كموضع بعيد أن يتناولوها وانما وصف ذلك الموضع بالبعيد لأنهم قالوا ذلك فى القيامة فقال الله أنى لهم بالتوبة المقبولة والتوبة المقبولة انما كانت فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدا من الآخرة فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا ذلك بالهمز همزوا وهم يريدون معنى من لم يهمز ولكنهم همزوه لانضمام الواو فقلبوها كما قيل واذا الرسل أقتت فجعلت الواو من وقتت اذ كانت مضمومة همزة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله وأنى لهم التناوش قال يسألون الرد وليس بحين رد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس نحوه حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنى لهم التناوش يقول فكيف لهم بالرد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنى لهم التناوش قال الرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد وأنى لهم التناوش قال التناول من مكان بعيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد قال هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم وقرأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به الآية قال التناوش التناول أنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها فى الدنيا قال وهذا بعد الموت فى الآخرة * قال وقال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به بعد القتل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقرأ ولا الذين يموتون وهم كفار قال ليس لهم توبة وقال عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة فيقبلها الله منهم فأبوا ويعرضون التوبة بعد الموت قال فهم يعرضونها فى الآخرة خمس عرضات فيأبى الله أن يقبلها منهم قال والتائب عند الموت ليست له توبة ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية وقرأ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأنى لهم التناوش قال وأنى لهم الرجعة وقوله من مكان بعيد يقول من آخرتهم الى الدنيا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من مكان بعيد من الآخرة الى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره وقد كفروا به يقول وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم ومعاينتهم اياه من الاقالة له وذلك الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقد كفروا به من قبل أى

لعل الثالث منها فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أولعله لغير الطيران فلقد رأيت فى بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر من أمور الله عز وجل وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أن اسرافيل له اثناعشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل لعظمة الله سبحانه وتعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير ويجوز أن يخالف حال الملائكة حال الطيور فى الطيران كالحيوان الذى يدب بأرجل كثيرة ويجوز أن يكون البعض للزينة ويجوز أن يكون كل جناح ذا شعب وقال الحكيم الجناحان اشارة الى جهتين جهة الأخذ من الله وجهة الاعطاء لمن دونهم باذن الله كقوله نزل به الروح الأمين على قلبك علمه شديد القوى فالمدبرات أمرا ومنهم من يفعل بواسطة فلهم ثلاث جهات أو أكثر على حسب الوسائط ثم بين كمال قدرته بقوله (يزيد فى الخلق مايشاء) والظاهر أنه عام يتناول كل زيادة فى كل أمر يعتبر فى الصورة كحسن الوجه والخط والصوت ونحوهما أو فى المعنى كحصافة العقل وجزالة الرأى وسماحة النفس وذلاقة اللسان وغير ذلك من الاخلاق الفاضلة ثم أكد نفاذ امره وجريان الامور على وفق

بالايمان فى الدنيا وقوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد يقول وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدا من مكان بعيد يعنى أنهم يرجمونه وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والاوهام فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم شاعر وغير ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال قولهم ساحر بل هو كاهن بل هو شاعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد أى يرجمون بالظن يقولون لابعث ولاجنة ولانار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال بالقرآن

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب﴾ يقول تعالى ذكره وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فقالوا آمنا به وبين ما يشتهون حينئذ من الايمان بما كانوا به فى الدنيا قبل ذلك يكفرون ولاسبيل لهم اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى اسمعيل بن حفص الأبلى قال ثنا المعتمر عن أبى الأشهب عن الحسن فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الصمد قال سمعت الحسن وسئل عن هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنى ابن أبى زياد قال ثنا يزيد قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنا أحمد بن عبد الصمد الانصارى قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال من الرجوع الى الدنيا ليتوبوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحيل بينهم وبين ما يشتهون كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها فى الدنيا حين عاينوا ما عاينوا حدثنى الحسن بن واضح قال ثنا الحسن بن حبيب قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان * وقال آخرون معنى ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى * قال ثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال من مال أو ولد أو زهرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال فى الدنيا التى كانوا فيها والحياة وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأن القوم انما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا ما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه وقالوا آمنا به فقال الله وأنى لهم تناوش ذلك من مكان بعيد وقد كفروا من قبل ذلك فى الدنيا فاذا كان ذلك كذلك فلأن يكون قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون خبرا عن أنه لاسبيل لهم الى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرا عن غيره وقوله كما فعل بأشياعهم من قبل يقول فعلنا بهؤلاء المشركين فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الايمان بالله عند نزول سخط الله بهم ومعاينتهم بأسه كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم فلم نقبل منهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما لم نقبل فى مثل ذلك الوقت من ضربائهم والأشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة فأشياع جمع الجمع وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

مشيئته بقوله (ما يفتح الله للناس) الآية وفيها دلالة على أن رحمته سبقت غضبه من جهة تقديم الرحمة ومن جهة بيان الضمير فى القرينة الأولى بقوله (من رحمة) والاطلاق فى قوله (وما يمسك) فيشمل امساك الغضب وامساك الرحمة ومن جهة قوله (من بعده) أى من بعد امساكه فيفيد أن الرحمة اذا جاءته لم يكن لها انقطاع وان ضدها قد ينقطع وان كان لا يقطعه الا الله لهذا لا يخرج أهل الجنة من الجنة وقد يخرج أهل النار من النار (وهو العزيز) الغالب على ارسال الرحمة وامساكها (الحكيم) الذى لا يمسك ولا يرسل الا عن علم كامل وصلاح شامل وحيث بين أن الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة المستدعية للحمد على التفصيل أمر المكلفين بتذكر النعمة على الاجمال لسانا وقلبا وعملا ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادى عندك يريد حفظها وشكرها والعمل بموجبها وعن ابن عباس أن الناس أهل مكة أسكنهم حرمه ويتخطف الناس من حولهم وعنه أيضا أنه أراد بالنعمة العافية والظاهر تعميم النعمة والمنعم عليهم ثم أشار الى نعمة الايجاد بقوله (هل من خالق غير الله) والى نعمة الابقاء بقوله (يرزقكم) وهو نعت خالق أو مستأنف أو تفسير لمضمر والتقدير هل يرزقكم خالق يرزقكم قال جار الله ان جعلت يرزقكم كلاما مستأنفا ففيه دليل على أن الخالق لا يطلق الا على الله عز وجل وأما على الوجهين الآخرين فلا اذ لا يلزم من نفى خالق رازق غيره نفى خالق غيره مطلقا وقوله (لا اله

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح كما فعل بأشياعهم من قبل قال الكفار من قبلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما فعل بأشياعهم من قبل أي في الدنيا كانوا اذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم ايمان وقوله انهم كانوا في شك مريب يقول تعالى ذكره حيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الايمان انهم كانوا قبل في الدنيا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه وقد أخبرهم نبيهم أنهم ان لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وعبادة الاوثان أن الله مهلكهم ومحل بهم عقوبته في عاجل الدنيا وآجل الآخرة قبل نزوله بهم مريب يقول موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه من قولهم قد أراب الرجل اذا أتى ريبة وركب فاحشة كما قال الراجز

يا قوم مالي وأبا ذؤيب * كنت اذا أتوته من غيب
يشم عطفي ويبز ثوبي * كأنما أربته بريب

يقول كأنما أتيت اليه ريبة

آخر تفسير سورة سبأ

﴿ تفسير سورة فاطر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذكره الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السموات السبع والارض جاعل الملائكة رسلا الى من يشاء من عباده وفيما شاء من أمره ونهيه أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يقول أصحاب أجنحة يعني ملائكة فمنهم من له اثنان من الأجنحة ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع قال بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة واختلف أهل العربية في علة ترك اجراء مثنى وثلاث ورباع وهي ترجمة عن أجنحة وأجنحة نكرة فقال بعض نحويي البصرة ترك اجراؤهن لأنهن مصروفات عن وجوههن وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين وثلاث عن ثلاثة ورباع عن أربعة فصرف نظير عمر وزفر اذ صرف هذا عن عامر الى عمر وهذا عن زافر الى زفر وأنشد بعضهم في ذلك

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس المدبر

وقال آخر منهم لم يصرف ذلك لانه يوهم به الثلاثة والاربعة قال وهذا لا يستعمل الا في حال العدد وقال بعض نحويي الكوفة هن مصروفات عن المعارف لان الالف واللام لا تدخلها والاضافة لا تدخلها قال ولو دخلتها الاضافة والالف واللام لكانت نكرة وهي ترجمة عن النكرة قال وكذلك ما كان في القرآن مثل أن تقوموا لله مثنى وفرادى وكذلك وحاد وأحاد وما أشبهه من مصروف العدد وقوله يزيد في الخلق ما يشاء وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك

من

(الا هو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في غير وجه الوصف اذ لو جعلت وصفا لزم التناقض لان قولك هل من خالق آخر سوى الله اثبات لله ولو جعلت المنفية وصفا صار تقدير الكلام هل من خالق آخر سوى الله لا إله الا ذلك الخالق فلزم نقض الاثبات المذكور مع أن الكلام في نفسه يكون غير مستقيم (فأنى تؤفكون) أي كيف تصرفون عن هذا الظاهر فتشركون المنعوت بمالك الملك والملكوت وحين بين الأصل الاول وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة بقوله (وان يكذبوك) الآية والمراد إن يكذبوك فتسل بهذا المعنى ثم بين الأصل الثالث وهو الحشر بقوله (يا أيها الناس) وقد مر مثل الآية في آخر سورة لقمان وقد يسبق الى الظن ههنا أن الغرور هو الشيطان لانه عقبه بقوله (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) لان الحازم لا يقبل قول العدو ولا يعتمد عليه ثم صرح بوجه اتخاذه وبعاقبة دعوته فقال (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ثم فصل مآل حال حزبه وحزب الله بقوله (الذين كفروا) الى قوله (وأجر كبير) عرض على العقول انه لا سواء بين الحزبين والمعنى (أفمن زين له سوء عمله) من الفريقين كمن لم يزين له ولا ريب أن المزين لهم عملهم هم أهل الاهواء والبدع الذين لا مستند لهم في مأخذهم سوى التقليد واتباع الهوى ثم أنتج من ذلك قوله (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وذلك أن الناس متساوية الاقدام في الانسانية ومتفاوتة الأحوال في الأعمال فتبين أنه

من الأجنحة على الآخر ما يشاء ونقصانه عن الآخر ما أحب وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه وينقص ما شاء من خلق ما شاء له الخلق والامر وله القدرة والسلطان ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء ونقصان ما شاء منه ممن شاء وغير ذلك من الاشياء كلها لا يمتنع عليه فعل شئ أراده سبحانه وتعالى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له ولا ممسك عنهم لان ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم فلا فاتح له سواه لأن الامور كلها اليه واليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يفتح الله للناس من رحمة أي من خير فلا ممسك لها فلا يستطيع أحد حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى ذكره فلا ممسك لها فأنث ما لذكر الرحمة من بعده وقال وما يمسك فلا مرسل له من بعده فذكر للفظ ما لأن لفظه لفظ مذكر ولو أنث في موضع التذكير للمعنى وذكر في موضع التأنيث للفظ جاز ولكن الأفصح من الكلام التأنيث اذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها والتذكير اذا لم يظهر ذلك وقوله وهو العزيز الحكيم يقول وهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة اذا كان فتح ذلك صلاحا وامساكه اياه عنهم اذا كان امساكه حكمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش يا أيها الناس اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والارض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها يرزقكم من السماء والارض فتعبدوه دونه لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبادة الا الذي فطر السموات والارض القادر على كل شئ الذي بيده مفاتح الاشياء وخزائنها ومغالق ذلك كله فلا تعبدوا أيها الناس شيأ سواه فانه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه فله فأخلصوا العبادة واياه فافردوا بالألوهة فأنى تؤفكون يقول فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنى تؤفكون يقول الرجل انه ليؤفك عني كذا وكذا وقد بينت معنى الأفك وتأويل قوله تؤفكون فيما مضى بشواهده المغنية عن تكريره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذلك ولا يعظم عليك فان ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها اليهم من قبلك ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا أمثالهم فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم والى الله ترجع الامور يقول تعالى ذكره والى الله مرجع أمرك وأمرهم فيحل بهم العقوبة ان هم لم ينيبوا الى طاعتنا في اتباعك والاقرار بنبوتك وقبول ما دعوتهم اليه من النصيحة نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك ومنجيك وأتباعك من ذلك سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

لا استقلال وأن أفعال العباد مستندة الى إرادة مصرف القلوب والأحوال ثم رتب على عدم الاستقلال قوله (فلا تذهب) أي فلا تهلك (نفسك) و (عليهم) صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا أو هو بيان للتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات المفعول لاجله لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته وجوز جار الله أن يكون حالا كأن كل نفسه صارت حسرات لفرط التحسر وعن الزجاج أن تقدير الآية أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم فحذف لدلالة المذكور وهو فلا تذهب عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لأن قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يدل عليه ثم بين أن حزنه ان كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو أراد منهم الايمان لآمنوا وان كان لما بهم من الايذاء فالله عليم بفعالهم فيجازيهم ذلك ثم أكد كونه فاعلا مختارا قادرا قاهرا مبدئا معيدا بقوله (والله الذي أرسل) وهو من الالتفات الموجب للتهويل والتعظيم وقوله (فتثير) بلفظ المستقبل تصوير لتلك الحالة العجيبة الشأن عرف نفسه بفعل الارسال ثم قال فسقناه كأنه قال أنا الذي عرفتني بمثل هذه السياقة والصناعة وأنعمت عليك بهذه النعمة الشاملة ثم شبه البعث والنشور بالصنع المذكور ووجهه ظاهر وحين بين برهان الايمان أشار الى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمونها من حيث ان معبوديهم كانت تحت تسخيرهم والرسول كان يدعوهم الى الايمان

قال ان كنتم تطلبون حقيقة العزة (فلله العزة) خاصة كلها فلتطلبها من عنده ومن عند أوليائه نظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الأبرار يريد فيطلبها عندهم فاعتبر فى هذه الآية حرف النهاية وأما فى قوله فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين فاعتبر الوسائط فالعزة للمؤمنين بواسطة الرسول وله من رب العزة ثم ان الكفار كأنهم قالوا نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده فان البعد من الملك ذلة فقال (اليه يصعد) أى ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم و يقبل الطيب منها وذلك آية العزة وأما هذه الأصنام فلا يتبين عندها الذليل من العزيز اذ لا حياة لها ولا شعور وهكذا العمل الصالح لا تراه هذه الأصنام فلا يمكن لها مجازاة الأنام وفاعل قوله (يرفعه) ان كان هو الله فظاهر وان كان الكلم أعنى قوله لا اله الا الله فمعناه أنه لا يقبل عمل إلا من موحد وان كان هو العمل فالمعنى أن الكلم وهو كل كلام فيه ذكر الله أو رضاه يريد الصعود الى الله الا أنه لا يستطيع الصعود ولا يقع موقع القبول الا اذا كان مقرونا بالعمل الصالح عن النبى صلى الله عليه وسلم الكلم الطيب هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر ولا يخفى أن القول هو الاصل والعمل مؤكده فلهذا اقدم القول وحسن بين

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزى نبيه كما تسمعون وقوله يا أيها الناس ان وعد الله حق يقول تعالى ذكره لمشركى قريش المكذبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان وعد الله اياكم بأسه على اصراركم على الكفر به وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبته بكم بالتوبة والانابة الى طاعة الله والايمان به وبرسوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقول فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش فى هذه الدنيا ورياستكم التى تترأسون بها فى ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والايمان ولا يغرنكم بالله الغرور يقول ولا يخدعنكم بالله الشيطان فيمنيكم الأمانى ويعدكم من الله العدات الكاذبة ويحملكم على الاصرار على كفركم بالله كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولا يغرنكم بالله الغرور يقول الشيطان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ يقول تعالى ذكره ان الشيطان الذى نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره اياكم بالله لكم عدو فاتخذوه عدوا يقول فأنزلوه من أنفسكم منزل العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم اياه حذركم من عدوكم الذى تخافون غائلته على أنفسكم فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته فانه انما يدعو حزبه يعنى شيعته ومن أطاعه الى طاعته والقبول منه والكفر بالله ليكونوا من أصحاب السعير يقول ليكونوا من المخلدين فى نار جهنم التى تتوقد على أهلها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فانه لحق على كل مسلم عداوته وعداوته أن يعاديه بطاعة الله انما يدعو حزبه وحزبه أولياؤه ليكونوا من أصحاب السعير أى ليسوقهم الى النار فهذه عداوته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال هؤلاء حزبه من الانس يقول أولئك حزب الشيطان والحزب ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ يقول تعالى ذكره الذين كفروا بالله ورسوله لهم عذاب من الله شديد وذلك عذاب النار وقوله والذين آمنوا يقول والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه لهم مغفرة من الله لذنوبهم وأجر كبير وذلك الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة وأجر كبير وهى الجنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصى الله والكفر به وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسنا فحسب سيئ ذلك حسنا وظن أن قبحه جميل لتزيين الشيطان ذلك له ذهبت نفسك عليهم حسرات وحذف من الكلام ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات منه وقوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء يقول فان الله يخذل من يشاء عن الايمان به واتباعك وتصديقك فيضله عن الرشاد الى الحق فى ذلك ويهدى من يشاء يقول ويوفق من يشاء للايمان به واتباعك والقبول منك فتهديه الى سبيل الرشاد فلا تذهب نفسك عليهم حسرات يقول فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أى لا يحزنك ذلك عليهم فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال الحسرات الحزن وقرأ قول الله يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ووقع قوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء موقع الجواب وانما هو منبع الجواب لأن الجواب هو المتروك الذى ذكرت فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقرأته قراء الأمصار سوى أبى جعفر المدنى فلا تذهب نفسك بفتح التاء من تذهب ونفسك برفعها وقرأ ذلك أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء من تذهب ونفسك بنصبها بمعنى لا تذهب أنت يا محمد نفسك والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الله عليم بما يصنعون يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وهو محصيه عليهم ومجازيهم به جزاءهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث فسقناه الى بلد ميت يقول فسقناه الى بلد مجدب الأهل محل الارض داثر لا نبت فيه ولا زرع فأحيينا به الارض بعد موتها يقول فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الارض التى سقناه اليها بعد جدوبها وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل كذلك النشور يقول تعالى ذكره هكذا ينشر الله الموتى بعد بلائهم فى قبورهم فيحييهم بعد فنائهم كما أحيينا هذه الارض بالغيث بعد مماتها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون فليس من بنى آدم إلا وفى الأرض منه شئ قال فيرسل الله ماء من تحت العرش منيا كمنى الرجل فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت الى قوله كذلك النشور قال ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس الى جسدها فتدخل فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا قال يرسل الرياح فتسوق السحاب فأحيا الله به هذه الارض الميتة بهذا الماء فكذلك يبعثه يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فقال بعضهم معنى ذلك من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فان العزة لله جميعا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من كان يريد العزة يقول من كان يريد العزة بعبادته الآلهة فان العزة لله جميعا * وقال آخرون معنى ذلك من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا يقول فليتعزز

حال العمل الصالح ذكر ان المكرات السيئات بائرة كاسدة لا حقيقة لها ولعله أشار بها الى مكرات قريش المذكورات فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك جمع الله مكراتهم فقلبها عليهم حين أوقعهم فى قليب بدر ولما ذكر دليل الآفاق أكده بدليل الأنفس قائلا (والله خلقكم من تراب) وفيه اشارة الى خلق آدم (ثم من نطفة) وفيه اشارة الى خلق أولاده ومعنى (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا ثم أشار الى كمال علمه بقوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) ثم بين نفوذ ارادته بقوله (وما يعمر من معمر) قال جار الله معناه من أحد ولكنه سماه معمرا باعتبار ما يؤول اليه وليس المراد تعاقب التعمير وخلافه على شخص واحد وانما المراد تعاقبهما على شخصين فتسومح فى اللفظ تعويلا على فهم السامع كقول القائل ما تنعمت بكذا ولا اجتويته إلا قل فيه ثوابى، وتأويل آخر وهو أن يراد لا يطول عمر انسان ولا ينقص من عمر ذلك الانسان بعينه (الا فى كتاب) وصورته أن يكتب فى اللوح ان حج أو وصل الرحم فعمره أربعون سنة وان جمع بين الامرين فعمره ستون فاذا جمع بينهما فعمر ستين كان الغاية واذا أفرد فعمر أربعين فقد نقص من تلك الغاية وبهذا التأويل يستبين معنى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الأعمار ويصح ما استفاض على الألسن أطال الله بقاءك وعن سعيد بن جبير

بطاعة الله * وقال آخرون بل معنى ذلك من كان يريد علم العزة لمن هي فانها لله جميعا كلها أي كل وجه من العزة لله * والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال من كان يريد العزة فبالله فليتعزز فلله العزة جميعا دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان وانما قلت ذلك أولى بالصواب لان الآيات التي قبل هذه الآية جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان وتوبيخه اياهم ووعيده لهم عليها فأولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك فكانت قصتها شبيهة بقصتها وكانت في سياقها وقوله اليه يصعد الكلم الطيب يقول تعالى ذكره الى الله يصعد ذكر العبد اياه وثناؤه عليه والعمل الصالح يرفعه يقول ويرفع ذكر العبد ربه اليه عمله الصالح وهو العمل بطاعته وأداء فرائضه والانتهاء الى ما أمره به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن اسمعيل الأحمسي قال أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن ابن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله اذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده الحمد لله لا اله الا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن ثم قرأ عبد الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب ان لسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن حدثني يونس قال ثنا سفيان عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلم الطيب حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال الكلام الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلام الطيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال قال الحسن وقتادة لا يقبل الله قولا الا بعمل من قال وأحسن العمل قبل الله منه وقوله والذين يمكرون السيئات يقول تعالى ذكره والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثني سعيد عن قتادة قوله والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد قال هؤلاء أهل الشرك وقوله ومكر أولئك هو يبور يقول وعمل هؤلاء المشركين يبور فيبطل فيذهب لأنه لم يكن لله فلم ينفع عامله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومكر أولئك هو يبور أي يفسد حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب ومكر أولئك هو يبور قال هم أصحاب الرياء حدثني محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن أبي عامر قال ثنا جعفر الاحمر عن شهر بن حوشب في قوله ومكر أولئك هو يبور

يكتب في الصحيفة ان عمره كذا سنة ثم يكتب بعد ذلك في آخرها ذهب يوم ذهب يومان حتى تنقضي المدة وعن قتادة المعمر من بلغ ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل الستين وذلك في علم الله (ان ذلك) الذي ذكر من خلق الانسان من المادة المذكورة أو الزيادة في الأعمار أو النقصان منها (على الله يسير) ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر وذكر دليلا آخر على عظيم قدرته فقال (وما يستوي البحران) الآية على الأول يكون قوله ومن كل تأكلون الى آخر الآية تقريرا للنعمة على سبيل الاستطراد أو هو من تمام التشبيه كأنه شبه الجنسين بالبحرين ثم فضل البحر الأجاج على الكافر لانه شارك العذب في استخراج السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه وأما الكافر فلا نفع فيه البتة فيكون كقوله في البقرة ثم قست قلوبكم الى آخر قوله وان منها لما يهبط من خشية الله والأشبه أن الآية تقرير دليل مستأنف كما مر في أول النحل يؤيده تعقيبه بدليل آخر وهو قوله (يولج الليل) الى قوله (أجل مسمى) قد مر في آخر لقمان مثله وفيه رد على عبدة الكواكب الذين ينسبون حوادث هذا العالم الى الكواكب بالذات لا الى تسخير مبدعها قوله (ذلكم الله) أي الذي فعل الأشياء المذكورة من فطر السموات والأرض وارسال الرياح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك هو المعبود الحق وقوله (ربكم له الملك) خبران آخران ويجوز أن يكون الله ربكم خبرين وله الملك جملة مبتدأة واقعة

قال هم أصحاب الرياء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومكر أولئك هو يبور قال بار فلم ينفعهم ولم ينتفعوا به وضرهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير﴾ يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس من تراب يعنى بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقا ثم من نطفة يقول ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ثم جعلكم أزواجا يعنى أنه زوج منهم الأنثى من الذكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله خلقكم من تراب يعنى آدم ثم من نطفة يعنى ذريته ثم جعلكم أزواجا فزوج بعضكم بعضا وقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه يقول تعالى ذكره وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة الا وهو عالم بحملها اياه ووضعها وما هو ذكر أو أنثى لا يخفى عليه شئ من ذلك وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وما يعمر من معمر فيطول عمره ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذى عمر عمرا طويلا الا فى كتاب عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يعمر من معمر الى يسير يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له وانما ينتهى الى الكتاب الذى قدرت له لا يزاد عليه وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهى الى الكتاب الذى قدرت له لا يزاد عليه فذلك قوله ولا ينقص من عمره الا فى كتاب يقول كل ذلك فى كتاب عنده حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر أو يعمر أنقص من ذلك فكل بالغ أجله الذى قد قضى له كل ذلك فى كتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب قال ألا ترى الناس الانسان يعيش مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا فالهاء التى فى قوله ولا ينقص من عمره على هذا التأويل وان كانت فى الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول فهى كناية اسم آخر غيره وانما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول وذلك كقولهم عندى ثوب ونصفه والمعنى ونصف الآخر * وقال آخرون بل معنى ذلك وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره بفناء ما فنى من أيام حياته فذلك هو نقصان عمره والهاء على هذا التأويل للمعمر الأول لأن معنى الكلام ما يطول عمر أحد ولا يذهب من عمره شئ فينقص إلا وهو فى كتاب عند الله مكتوب قد أحصاه وعلمه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب قال ما يقضى من أيامه التى عددت له الا فى كتاب * وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب التأويل الأول وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه وأشبههما بظاهر التنزيل وقوله إن ذلك على الله يسير يقول تعالى ذكره ان احصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل طويل ذلك وقصيره لا يتعذر عليه شئ منه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا

فى طبقات قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وذلك أن المشركين كانوا معترفين بأن الأصنام ليسوا خالقين وانما كانوا يقولون انه تعالى فوض أمور الأرضيات الى الكواكب التى هذه الاصنام صورها أو طوالعها فأخبر الله تعالى أنهم لا يملكون قطميرا وهو القشرة الرقيقة للنواة فضلا عما فوقها قال جار الله يجوز فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله تعالى صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه فقيل لأن ذلك اشارة الى معلوم سبق ذكره وكونه صفة أو عطف بيان يقتضى أن يكون فيما سبق ضرب ابهام قلت وفيه نظر أما أولا فلأن اسم الله من قبيل الأعلام لا من قبيل أسماء الأجناس فكيف يجوز جعله صفة وأما ثانيا فلأنه على تقدير التجويز يكون صفة مدح فلا ينافى كون المشار اليه معلوما والوجه الصحيح فى إباء المعنى هو أن الوصف اذا كان معرفة كان أمرا متحققا فى الخارج مسلما عند السامع مثلا اذا قلت الرجل الكاتب جاءنى تريد الرجل الذى تعرفه أيها السامع أنه كاتب جاءنى لكن الخطاب ههنا مع الكفار وهم يجحدون المعبود الحق أو يجحدون أن العبادة لا تصلح الا له فلا يصح ايقاع اسم الله وصفا لذلكم والخطاب معهم ثم زاد فى توبيخ الكفرة بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد

من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره وما يعتدل البحران فيستويان أحدهما عذب فرات والفرات هو أعذب العذب وهذا ملح أجاج يقول والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر والأجاج المرّ وهو أشد المياه ملوحة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ملح أجاج والأجاج المرّ وقوله ومن كلٍّ تأكلون لحما طريا يقول ومن كل البحار تأكلون لحما طريا وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج وتستخرجون حلية تلبسونها يعني الدر والمرجان تستخرجونهما من الملح الأجاج وقد بينا قبل وجه تستخرجون حلية وإنما يستخرج من الملح فيما مضى بما أغنى عن إعادته وترى الفلك فيه مواخر يقول تعالى ذكره وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدها ماخر يقال منه مخرت تمخر وتمخر مخرا وذلك إذا شقت الماء بصدورها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن كلٍّ تأكلون لحما طريا أي منهما جميعا وتستخرجون حلية تلبسونها هذا اللؤلؤ وترى الفلك فيه مواخر فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وترى الفلك فيه مواخر يقول جواري وقوله لتبتغوا من فضله يقول لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ يقول تعالى ذكره يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل زيادة هذا في نقصان هذا ونقصان هذا في زيادة هذا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يقول هو انتقاص أحدهما من الآخر وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يقول وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم ورحمة منه بكم لتعلموا عدد السنين والحساب وتعرفوا الليل من النهار وقوله كل يجري لأجل مسمى يقول كل ذلك يجري لوقت معلوم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى أجل معلوم وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه وقوله ذلكم الله ربكم يقول الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له وهو الله ربكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلكم الله ربكم له الملك أي هو الذي يفعل هذا وقوله له الملك يقول تعالى ذكره له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه وقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يقول تعالى ذكره والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل الذي لا يشبهه ملك صفته ما يملكون من قطمير يقول ما يملكون قشر نواة فما فوقها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن ابن عباس

ولو فرض سماعهم (ما استجابوا لكم) لما مرّ من أنهم لا يملكون شيئا (ويوم القيامة) أيضا (يكفرون بشرككم) قائلين ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك) أي لا يطلعك على حقيقة الحال أيها النبي أو أيها السامع (مثل خبير) ببواطن الأمور والمعنى ان هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل عالم به وفيه انه الخبير بالأمر وحده وفيه أن هذا الخبر مما لا يعرف بمجرد المعقول لولا اخبار الله سبحانه ثم بين أن نفع العبادة انما يعود على المكلفين فقال (يا أيها الناس أنتم الفقراء) ومعنى تعريف الخبر القصد الى أنهم جنس الفقراء مبالغة وذلك أن افتقار الانسان الى الله عاجلا لأمور المعاش وآجلا لنعيم الآخرة أبين من افتقار سائر المخلوقين اليه وقيل ان كون الناس فقراء أمر ظاهر لا يخفى على أحد فلهذا عرف كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا ثم بين أن فقرهم ليس الا الى الله فقابل الفقراء بقوله (والله هو الغنيّ) وقابل قوله الى الله بقوله (الحميد) لأنه اذا أنعم عليهم استحق الحمد منهم ثم ذكر أنه غني عن وجودهم أيضا لا يفتقر في ظهور أثر قدرته اليهم فقال (ان يشأ يذهبكم) وقد مرّ في النساء وفي ابراهيم وحين بين الحق بالدلائل الباهرة أراد أن يذكر ما يدعوهم الى النظر فيه فقال (ولا تزر وازرة) يعني أن النفوس الوازرات لا ترى واحدة

في قوله ما يملكون من قطمير قال هو جلد النواة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني
معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من قطمير يقول الجلد الذي يكون على ظهر النواة حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما يملكون
من قطمير يعني قشر النواة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول
الله من قطمير قال لفافة النواة كسحاة البيضة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة في قوله ما يملكون من قطمير والقطمير القشرة التي على رأس النواة حدثنا عمرو بن
عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن بعض أصحابه في قوله ما يملكون من
قطمير قال هو القمع الذي يكون على التمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة
عن عطية قال القطمير قشر النواة ◎ القول في تأويل قوله تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) قوله إن
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم يقول تعالى ذكره إن تدعوا أيها الناس هؤلاء
الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ولو سمعوا
ما استجابوا لكم يقول ولو سمعوا دعاءكم إياها وفهموا عنكم أنها قولكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به
ما استجابوا لكم لأنها ليست ناطقة وليس كل سامع قولا متيسرا له الجواب عنه يقول تعالى ذكره
للمشركين به الآلهة والأوثان فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته وهو لا نفع لكم عنده
ولا قدرة له على ضركم وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم أي ما قبلوا
ذلك عنكم ولا نفعوكم فيه وقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم يقول تعالى ذكره للمشركين من
عبدة الأوثان ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكا
في الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم القيامة يكفرون
بشرككم إياهم ولا يرضون ولا يقرون به وقوله ولا ينبئك مثل خبير يقول تعالى ذكره ولا يخبرك
يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة من تبرئها منهم وكفرها
بهم مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون
سبحانه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينبئك مثل خبير والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم
يوم القيامة ◎ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)
يقول تعالى ذكره يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا وفي رضاه فسارعوا
يغنكم من فقركم وتنجح لديه حوائجكم والله هو الغني عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم وعن غير
ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم الحميد يعني المحمود على نعمه فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه
فله الحمد والشكر بكل حال ◎ القول في تأويل قوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو
كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فإنما يتزكى
لنفسه وإلى الله المصير) يقول تعالى ذكره إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم لأنه أنشأكم من غير

منهن الا حاملة وزرها لا وزر غيرها
ولا ينافي هذا قوله وليحملن أثقالهم
وأثقالا مع أثقالهم لأن وزر الاضلال
هو وزر النفس الوازرة أيضا وفيه
أن كل نفس وازرة مهمومة بهم
وزرها متحيرة في أمرها ثم زاد
في التهويل بقوله (وإن تدع مثقلة)
أي نفس ذات حمل (لا يحمل منه
شيء) فإن عدم قضاء الحاجة بعد
السؤال أفظع ثم زاد التأكيد بقوله
(ولو كان) أي المدعو (ذا قربى)
فإن عدم القضاء بعد السؤال من
القريب من أب وولد أدل على
شدة الأمر فيعلم منه أن لا غياث
يومئذ أصلا ثم بين أن هذه
الانذارات إنما تفيد أهل الخشية
والطاعة حال كونهم غائبين عن
العذاب أو حال كون العذاب غائبا
عنهم ثم لما بين أن الوزر لا يتعدى إلى
الغير بين أن التطهر عن الذنوب
لا يفيد إلا نفس المتزكي (وإلى الله
المصير) لكل فيجزيهم على حسب
ذلك ثم ضرب للكافر والمؤمن مثلا
فقال (وما يستوي الأعمى
والبصير) وقيل إنه مثل للصنم
وللمعبود الحق ثم ذكر للكفر والايمان
مثلا قائلا (ولا الظلمات ولا النور)
وإذا كان الايمان نورا والمؤمن
بصيرا فلا يخفى عليه النور وإذا كان
الكفر ظلمة والكافر أعمى فله ضلال
فوق ضلال ثم بين لمآلهما ومرجعهما
مثلا وهو الظل والحرور قال أهل
اللغة السموم يكون بالنهار والحرور
أعم وقال بعضهم الحرور يكون
بالليل فالمؤمن بايمانه كمن هو

ماحاجة به اليكم ويأت بخلق جديد يقول ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عما نهاهم عنه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أي ويأت بغيركم وقوله وماذلك على الله بعزيز يقول وما إذهابكم والاتيان بخلق سواكم على الله بشديد بل ذلك عليه يسير سهل يقول فاتقوا الله أيها الناس وأطيعوه وقبل أن يفعل بكم ذلك وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول تعالى ذكره ولا تحمل آثمة إثم أخرى غيرها وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى يقول تعالى وان تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيأ منها ولو كان الذي سألته ذاقرابة من أب أو أخ * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى يقول يكون عليه وزر لا يجد أحدا يحمل عنه من وزره شيأ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ كنحو لا تزر وازرة وزر أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تدع مثقلة الى حملها الى ذنوبها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى أي قريب القرابة منها لا يحمل من ذنوبها شيأ ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيأ ولا تزر وازرة وزر أخرى ونصب ذاقربى على تمام كان لأن معنى الكلام ولو كان الذي تسأله أن يحمل عنها ذنوبها ذا قربى لها وأنث مثقلة لأنه ذهب بالكلام الى النفس كأنه قيل وان تدع نفس مثقلة من الذنوب الى حمل ذنوبها وانما قيل كذلك لأن النفس تؤدي عن الذكر والأنثى كما قيل كل نفس ذائقة الموت يعني بذلك كل ذكر وأنثى وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك ولكن لايمانهم بما أتيتهم به وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهؤلاء الذين ينفعهم انذارك ويتعظون بمواعظك لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخشون النار وقوله وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم وقوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه يقول تعالى ذكره ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة الى الله والايمان به والعمل بطاعته فانما يتطهر لنفسه وذلك أنه يثيبها به رضا الله والفوز بجنانه والنجاة من عقابه الذي أعده لأهل الكفر به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أي من يعمل صالحا فانما يعمله لنفسه وقوله والى الله المصير يقول والى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس مؤمنكم وكافركم وبركم وفاجركم وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر على ما أهل منه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ان أنت الا نذير﴾ يقول تعالى ذكره وما يستوى الأعمى عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والبصير الذي قد أبصر فيه رشده فاتبع محمدا وصدقه وقبل عن الله ما ابتعثه به ولا الظلمات يقول وما تستوى ظلمات الكفر ونور الايمان ولا الظل قيل ولا الجنة

في ظل وراحة والكافر في كفره كمن هو في حر وتعب * وههنا مسائل الأولى ضرب أولا مثلا للكافر والمؤمن ثم أعاد مثلهما بقوله (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) وهذا أبلغ لأن الأعمى والبصير قد يشتركان في ادراك أشياء ولا كذلك الحي والميت ولمكان هذه المبالغة أعاد الفعل * الثانية كرر لا النافية في الأمثال الأخيرة دون الأول لأن المنافاة بين الأعمى والبصر ليست ذاتية كما في سائرها وقد يكون شخص واحد بصيرا باحدى العينين أعمى بالأخرى * الثالثة قدم الأشرف في مثلين وهو الظل والحي وأخره في الآخرين فهم أهل الظاهر أن ذلك لرعاية الفواصل والمحققون قالوا إنهم كانوا قبل البعث في ظلمة الضلال فصاروا الى نور الايمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وايمانه ولما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لأن رحمته سبقت غضبه ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار أضل من الأعمى وشابه الأموات في عدم ادراك الحق فقال وما يستوى الأحياء أي المؤمن الذي آمن بما أنزل الله والأموات الذين تليت عليهم الآيات ولم تنجع فيهم البينات فأخرهم عن المؤمنين لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين * الرابعة انما وحد الأعمى والبصير لأن المراد أن أحد الجنسين

ولا الحرور قيل النار كأن معناه عندهم وما تستوى الجنة والنار والحرور بمنزلة السموم وهى
الرياح الحارة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن رؤبة بن العجاج أنه كان يقول الحرور بالليل
والسموم بالنهار وأما أبو عبيدة فانه قال الحرور فى هذا الموضع بالنهار مع الشمس وأما الفراء فانه
كان يقول الحرور يكون بالليل والنهار والسموم لا يكون بالليل انما يكون بالنهار والقول
فى ذلك عندى أن الحرور يكون بالليل والنهار غير أنه فى هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة
أشبه مع الشمس لأن الظل انما يكون فى يوم شمس فذلك يدل على أنه أريد بالحرور الذى
يوجد فى حال وجود الظل وقوله وما يستوى الأحياء ولا الأموات يقول وما يستوى الأحياء
القلوب بالايمان بالله ورسوله ومعرفة تنزيل الله والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى
صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه ولا تعرف الهدى من الضلال وكل هذه أمثال ضربها الله
للمؤمن والايمان والكافر والكفر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن
ابن عباس قوله وما يستوى الأعمى والبصير الآية قال هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل
المعصية يقول وما يستوى الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات فهو مثل أهل المعصية
ولا يستوى البصير ولا النور ولا الظل والأحياء فهو مثل أهل الطاعة حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يستوى الأعمى الآية خلق فضل بعضه على بعض فأما
المؤمن فعبد حى حى الأثر حى البصر حى النية حى العمل وأما الكافر فعبد ميت ميت البصر
ميت القلب ميت العمل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما
يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء
ولا الأموات قال هذا مثل ضربه الله فالمؤمن بصير فى دين الله والكافر أعمى كما لا يستوى الظل
ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات فكذلك لا يستوى هذا المؤمن الذى يبصر دينه ولا هذا
الأعمى وقرأ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال الهدى الذى هداه
الله به ونوّره هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذى يبصر دينه وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن
حيا وجعل الكافر ميتا ميت القلب أومن كان ميتا فأحييناه قال هديناه الى الاسلام كمن مثله
فى الظلمات أعمى القلب وهو فى الظلمات أهذا وهذا سواء * واختلف أهل العربية فى وجه
دخول لا مع حرف العطف فى قوله ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور فقال بعض نحويى
البصرة قال ولا الظل ولا الحرور فيشبه أن تكون لا زائدة لأنك لو قلت لا يستوى عمرو ولا زيد
فى هذا المعنى لم يجز إلا أن تكون لا زائدة وكان غيره يقول اذا لم تدخل لا مع الواو فانما لم تدخل
اكتفاء بدخولها فى أول الكلام فاذا أدخلت فانه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوى
صاحبه فكان معنى الكلام اذا أعيدت لا مع الواو عند صاحب هذا القول لا يساوى الأعمى
البصير ولا يساوى البصير الأعمى فكل واحد منهما لا يساوى صاحبه . وقوله ان الله يسمع من
يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور يقول تعالى ذكره كما لا يقدر أن يسمع من فى القبور كتاب الله
فيهديهم به الى سبيل الرشاد فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت
القلب من أحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله وواضح حججه كما حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور كذلك الكافر
لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع وقوله ان أنت الا نذير يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

لا يساوى جنس الآخر من جهة
العمى والبصر ولعل فردا من
أحدهما قد يساوى الفرد الآخر من
جهة أخرى وكذا الكلام فى إفراد
الظل والحرور وانما جمع الظلمات
ووحد النور لما مر فى أول الأنعام
من تحقيق أن الحق واحد والشبهات
كثيرة وانما جمع الأحياء والاموات
لان المراد أن أحد الصنفين
لا يساوى الآخر سواء قابلت
الجنس بالجنس أو قابلت الفرد
بالفرد * الخامسة لا يخفى أن هذه
الواوات بعضها ضمت شفعا الى
شفع وبعضها ضمت وترا الى وتر
ثم سلى رسوله بقوله (ان الله يسمع)
الآية تقدم نظيره فى قوله انك
لا تسمع الموتى وانما اقتصر على قوله
(ان أنت الا نذير) وكذا فى قوله
(الا خلا فيها نذير) لأن الكلام
فى معرض التهديد مع أن ذكر البشير
يدل عليه بل ذكر النذير يدل على
مقابله والمراد بالنذارة آثارها لثبوت
زمان الفترة ثم زاد فى التسلية بقوله
(وان يكذبوك) وقد مر مثله فى آخر
آل عمران وانما حذف الفاعل هنالك
لبناء الكلام هنالك على الاقتصار
دليله أنه قال وان يكذبوك فقد
كذب فاقتصر على لفظ المضى ولم
يسم الفاعل ويحتمل أن يكون لفظ
الماضى اشارة الى وقوع التكذيب
منهم فان تلك السورة مدنية والله أعلم
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها
ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف ألوانها وغرابيب سود

ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم ولم يرسلك ربك اليهم الا لتبلغهم
رسالته ولم يكلفك من الامر ما لا سبيل لك اليه فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فان
ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان هم لم يستجيبوا
لك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا
فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
إنا أرسلناك يا محمد بالحق وهو الايمان بالله وشرائع الدين التى افترضها على عباده بشيرا يقول
مبشرا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ونذيرا تنذر الناس من
كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة وان من أمة إلا خلا فيها نذير يقول وما من
أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله كما حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان من أمة إلا خلا فيها نذير كل أمة كان لها رسول
وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم
فيما يلقى من مشركى قومه من التكذيب وان يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم
من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات يقول بحجج من الله واضحة وبالزبر يقول وجاءتهم
بالكتب من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بالبينات
والزبر أى الكتب وقوله وبالكتاب المنير يقول وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره
أنه الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبالكتاب المنير
يضعف الشئ وهو واحد وقوله ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير يقول تعالى ذكره
ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا وحقيقة ما دعوهم اليه من آياتنا وأصروا على جحودهم فكيف
كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييرى بهم وحلول عقوبتى بهم ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد
بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك
انما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل
من السماء غيثا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها يقول فسقيناه أشجارا فى الأرض فأخرجنا به من
تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك من ألوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر يقول تعالى ذكره ومن الجبال طرائق وهى الجدد وهى الخطط تكون
فى الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدة ومنه قول امرئ القيس فى صفة حمار

كأن سراته وجدة متنه * كنائن يجرى فوقهن دليص

يعنى بالجدة الخطة السوداء تكون فى متن الحمار وقوله مختلف ألوانها يعنى مختلف ألوان الجدد
وغرابيب سود وذلك من المقدم الذى هو بمعنى التأخير وذلك أن العرب تقول هو أسود غربيب
اذا وصفوه بشدة السواد وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب وقوله ومن الناس والدواب
والأنعام مختلف ألوانه كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة
وغير ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها أحمر وأخضر وأصفر ومن الجبال جدد بيض أى طرائق بيض وحمر مختلف

ألوانها

ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى
الله من عباده العلماء ان الله عزيز
غفور ان الذين يتلون كتاب الله
وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله
انه غفور شكور والذى أوحينا
اليك من الكتاب هو الحق مصدقا
لما بين يديه ان الله بعباده لخبير
بصير ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل
الكبير جنات عدن يدخلونها
يحلون فيها من أساور من ذهب
ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا
الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
نجزى كل كفور وهم يصطرخون
فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير
الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا
فما للظالمين من نصير ان الله عالم
غيب السموات والأرض انه عليم
بذات الصدور هو الذى جعلكم
خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه
كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله أرونى

ألوانها أي جبال حمر وبيض وغرابيب سود هو الأسود يعني لونه كما اختلف ألوان هذه
اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول
أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومن الجبال جدد بيض طرائق بيض وحمر وسود
وكذلك الناس مختلف ألوانهم حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا مروان عن
جويبر عن الضحاك قوله ومن الجبال جدد بيض قال هي طرائق حمر وسود وقوله إنما يخشى
الله من عباده العلماء يقول تعالى ذكره إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء
من شيء وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن
يعاقبه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا
عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء قال
الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء قال كان يقال كفى بالرهبة علما وقوله إن الله عزيز غفور
يقول تعالى ذكره إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه ۞ القول
في تأويل قوله تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) يقول تعالى ذكره
إن الذين يقرؤن كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا
الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها وقال وأقاموا الصلاة بمعنى ويقيموا الصلاة وقوله وأنفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يقول وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرا في خفاء وعلانية
جهارا وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون زكاة ذلك المفروضة ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد
أداء الفرض الواجب عليهم فيه وقوله يرجون تجارة لن تبور يقول تعالى ذكره يرجون بفعلهم
ذلك تجارة لن تبور لن تكسد ولن تهلك من قولهم بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام وقوله
تجارة جواب لأول الكلام وقوله ليوفيهم أجورهم يقول يوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم
التي عملوها في الدنيا ويزيدهم من فضله يقول وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل
وكان مطرف بن عبد الله يقول هذه آية القراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم
قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة قال كان مطرف إذا مر بهذه الآية إن الذين يتلون كتاب الله
يقول هذه آية القراء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يزيد عن
مطرف بن عبد الله أنه قال في هذه الآية إن الذين يتلون كتاب الله إلى آخر الآية قال هذه آية القراء
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مطرف بن عبد الله يقول هذه
آية القراء ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وقوله إنه غفور شكور يقول إن الله غفور لذنوب
هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة إنه غفور شكور إنه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير)
يقول تعالى ذكره والذي أوحينا إليك من الكتاب يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه
هو الحق يقول هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي
أوحيت إلى غيرك مصدقا لما بين يديه يقول هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من
الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك
في السموات أم آتيناهم كتابا فهم
على بينة منه بل إن يعد الظالمون
بعضهم بعضا إلا غرورا إن الله
يمسك السموات والأرض أن تزولا
ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من
بعده إنه كان حليما غفورا وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن أهدى من إحدى الأمم
فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا
استكبارا في الأرض ومكر السيئ
ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل
ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد
لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت
الله تحويلا أولم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما
كان الله ليعجزه من شيء في السموات
ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة ولكن
يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء
أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا)
۞ القراآت يدخلونها مجهولا
أبو عمرو ويجزى مجهولا غائبا كل
بالرفع أبو عمرو الباقون بالنون مبنيا
للفاعل كل بالنصب ومكر السيئ
بهمزة ساكنة حمزة استثقالا
للحركات وحمله النحويون على
الاختلاس وإذا وقف يبدل من
الهمزة ياء ساكنة ۞ الوقوف ماء ج
للعدول ألوانها الأولى ج سود ه
كذلك ط العلماء ط غفور ه
لن تبور ه فضله ط شكور ه
يديه ط بصير ه عبادنا ج

عن قتادة قوله والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه للكتب التى خلت قبله وقوله ان الله بعباده لخبير بصير يقول تعالى ذكره ان الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الكتاب الذى ذكر الله فى هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده ومن المصطفون من عباده والظالم لنفسه فقال بعضهم الكتاب هو الكتب التى أنزلها الله من قبل الفرقان والمصطفون من عباده أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه أهل الاجرام منهم ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم أورثنا الكتاب الى قوله الفضل الكبير هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى عن يزيد بن الحرث عن شقيق عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول ماهؤلاء وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام الا أنهم لم يشركوا بك فيقول الرب أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى وتلا عبد الله هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا عون قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله كل كفور حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا عبد الله بن المبارك عن عوف عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال سمعت كعبا يقول فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال كلهم فى الجنة وتلا هذه الآية جنات عدن يدخلونها حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عوف بن أبى جميلة قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم قال قال كعب فهؤلاء أهل النار حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال سمعت عبد الله بن الحرث يقول قال كعب ان الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم فى الجنة ألم تر أن الله يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حتى بلغ قوله جنات عدن يدخلونها حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله باذن الله فقال تماست مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن أبى اسحق السبيعى فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا قال قال أبو اسحق أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج * قال ثنا عمرو عن محمد بن الحنفية قال انها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنات عند الله والسابق بالخيرات فى الدرجات عند الله * وقال آخرون الكتاب الذى أورث هؤلاء القوم هو

لنفسه ج مقتصد ج تفصيلا بين الجمل مع النسق باذن الله ط الكبير ه ط لأن ما بعده مبتدأ لا بدل ولؤلؤا ج لاختلاف الجملتين حرير ه الحزن ط شكور ه فضله ج لاحتمال الاستئناف والحال لغوب ه جهنم ج لمثل ماقلنا عذابها ط كفور ه ج لاحتمال الواو الحال فيها ج للقول المحذوف كنا نعمل ط النذير ه نصير ه والأرض ط الصدور ه فى الأرض ط كفره ط مقتا ج وان اتفقت الجملتان ولكن لتكرار الفعل وتصريح الفاعل والمفعول فى الثانية خسارا ه دون الله ط السموات ج لاحتمال أن أم منقطعة منه ج غرورا ه تزولا ج لابتداء ما فى معنى القسم مع الواو من بعده ط غفورا ه الأمم ج نفورا ه لا ومكر السيء ط بأهله ط الأولين ج لانتهاء الاستفهام مع اتصال الفاء تبديلا ه ج تحويلا ه قوة ط فى الأرض ط قديرا ه مسمى ج بصيرا ه ۞ التفسير لما بين دلائل الوحدانية بطريق الاخبار ذكر دليلا آخر بطريق الاستخبار لأن الشيء اذا كان خفيا ولا يراد من بحضرتك كان معذورا أما اذا كان بارزا مكشوفا فانك تقول أما تراه والمخاطب إما كل أحد أو النبى صلى الله عليه وسلم لأن السيد اذا نصح بعض العباد ولم ينفعهم الارشاد قال لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا و يكرر معه ما ذكره مع الأول والالتفات

شهادة أن لا اله الا الله والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه منهم هو المنافق وهو في النار والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو عمار الحسين ابن حريث المروزى قال ثنا الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن عبد الله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اثنان في الجنة وواحد في النار حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى آخر الآية قال جعل أهل الايمان على ثلاثة منازل كقوله أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون فهم على هذا المثال حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن يزيد عن عكرمة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية قال الاثنان في الجنة وواحد في النار وهي بمنزلة التي في الواقعة وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال والسابقون السابقون حدثنا سهل بن موسى قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد قال هم أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات قال هم السابقون من الناس كلهم حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية قال قال عوف قال الحسن أما الظالم لنفسه فانه هو المنافق سقط هذا وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال قال الحسن الظالم لنفسه المنافق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا شهادة أن لا اله الا الله فمنهم ظالم لنفسه هذا المنافق في قول قتادة والحسن ومنهم مقتصد قال هذا صاحب اليمين ومنهم سابق بالخيرات قال هذا المقرب قال قتادة كان الناس ثلاث منازل في الدنيا وثلاث منازل عند الموت وثلاث منازل في الآخرة أما الدنيا فكانوا (١) مؤمن ومنافق ومشرك وأما عند الموت فان الله قال فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد قال أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات قال فهم السابقون من الناس كلهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال سقط هذا ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال سبق هذا بالخيرات وهذا مقتصد على أثره * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتلون غير كتابهم ولا يعملون الا بما فيه من الأحكام والشرائع قيل ان معنى ذلك على غير الذي ذهبت اليه وانما معناه ثم أورثنا الايمان بالكتاب الذين اصطفينا فمنهم مؤمنون

في (فأخرجنا) لان نزول الماء يمكن أن يقال انه بالطبع ولكن الاخراج لا يمكن الا بارادة الله وأيضا الاخراج أتم نعمة من الانزال لأن انزال المطر لفائدة الاخراج واختلاف ألوان الثمرات اختلاف أصنافها أو هيآتها والجدد الخطط والطرائق فعلة بمعنى مفعولة والجد القطع قال جار الله لابد من تقدير مضاف أي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر مختلف ألوانها في البياض والحمرة لأن الأبيض قد يكون على لون الجص وقد يكون أدنى من ذلك وكذلك الحمرة والغرابيب تأكيد للسود الا أنه أضمر المؤكد أولا ثم أظهر ثانيا على طريقة قوله * والمؤمن العائذات الطير * وانما لم يتصور اختلاف الألوان ههنا لأن السواد اذا كان في الغاية لم يكن بعدها لون يقال أسود غربيب للذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ويمكن أن يقال ان المختلف صفة الحمر فقط وحين فرغ من دلائل النبات وما يشبه المعادن شرع في الاستدلال بالحيوان وقدم الانسان لشرفه ثم ذكر الدواب على العموم ثم خصص الأنعام أو أراد بالدابة الفرس فجعله لشرفه رديف الانسان وقوله (مختلف) أي بعض مختلف (ألوانه) وذكر الضمير تغليبا للانسان أو نظرا الى البعض وقوله (كذلك) أي كاختلاف الجبال والثمرات وفيه أن هذه الأجناس كما أنها في أنفسها دلائل

(١) كذا في الدر أيضا مؤمن الخ بالرفع والخطب سهل كتبه

مصححه

بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان
فانه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله و باتباع من جاء به وذلك عمل من اقر بمحمد صلى الله عليه
وسلم و بما جاء به وعمل بما دعاه اليه بما فى القرآن و بما فى غيره من الكتب التى أنزلت قبله
وانما قيل عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الكتب التى ذكرنا لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ثم أتبع ذلك قوله ثم
أورثنا الكتاب الذين اصطفينا فكان معلوما اذ كان معنى الميراث انما هو انتقال معنى من قوم
الى آخرين ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل اليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير
أمته ان ذلك معناه واذ كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته وأما الظالم
لنفسه فانه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصى التى هى دون النفاق والشرك عندى أشبه
بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله جنات
عدن يدخلونها فعم بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة فان قال قائل فان قوله يدخلونها انما
عنى به المقتصد والسابق قيل له وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل فان قال قيام
الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد
وجب أن لا يكون لأهل الايمان وعيد قيل انه ليس فى الآية خبر أنهم لا يدخلون النار وانما فيها
إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة
الله اياه على ذنوبه التى أصابها فى الدنيا وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه ثم يدخله الجنة
فيكون ممن عمه خبر الله جل ثناؤه بقوله جنات عدن يدخلونها وقد روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك أخبار وان كان فى أسانيدها نظر مع دليل الكتاب على صحته
على النحو الذى بينت ذكر الرواية الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد
الزبيرى قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس الى جنب
أبى الدرداء فقال اللهم آنس وحشتى وارحم غربتى و يسر لى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن
كنت صادقا لأنا أسعد به منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما
المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن
فذلك قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا
شعبة عن الوليد بن المغيرة أنه سمع رجلا من ثقيف حدث عن رجل من كنانة عن أبى سعيد
الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة
واحدة وكلهم فى الجنة وعنى بقوله الذين اصطفينا من عبادنا الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم
وقوله فمنهم ظالم لنفسه يقول فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم
واجترامه المعاصى واقترافه الفواحش ومنهم مقتصد وهو غير المبالغ فى طاعة ربه وغير المجتهد فيما
ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله فى ذلك قصدا ومنهم سابق بالخيرات وهو المبرز الذى قد
تقدم المجتهدين فى خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه فسبقهم بصالح الأعمال وهى الخيرات التى
قال الله جل ثناؤه باذن الله يقول بتوفيق الله اياه لذلك وقوله ذلك هو الفضل الكبير يقول

فهى باختلافها أيضا دلائل وحين
خاطب نبيه بقوله ألم تر بمعنى ألم
تعلم أتبعه قوله (انما يخشى الله
من عباده العلماء) كأنه قال انما
يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن
نظر فى دلائله فعرفه حق معرفته
أو أراد أن يعرفه كنه معرفته لأن
الخشية على حسب العلم بنعوت
كماله وصفات جلاله وفى الحديث
أعلمكم بالله أشدكم خشية له وفائدة
تقديم المفعول أن يعلم أن الذين
يخشون الله من بين عباده هم العلماء
دون غيرهم ولو أخر المفعول كان
معنى صحيحا وهو أنهم لا يخشون
أحدا الا الله الا أن ذلك غير مراد
ههنا وعن عمر بن عبد العزيز
و يحكى عن أبى حنيفة أنهما قرآ برفع
الله ونصب العلماء فتكون الخشية
مستعارة للتعظيم أى لا يعظم الله
ولا يجل من الرجال الا العلماء به
ثم بين السبب الباعث على الخشية
بقوله (ان الله عزيز غفور) فالعزة
توجب الخوف من أليم عقابه
والمغفرة توجب الطمع فى نعيمه
وثوابه وفيه أن خوف المؤمن ينبغى
أن يكون مخلوطا برجائه ثم مدح
العالمين العاملين بقوله (ان الذين
يتلون) الآية قال اهل التحقيق قوله
انما يخشى الله اشارة الى عمل
القلب وقوله ان الذين يتلون أى
يداومون على التلاوة اشارة الى عمل
اللسان وقوله (وأقاموا الصلاة)
اشارة الى عمل الجوارح والكل
أقسام التعظيم لأمر الله ثم أشار
الى الشفقة على خلق الله بقوله

تعالى ذكره سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات باذن الله هو الفضل الكبير الذى فضل به
من كان مقصرا عن منزلته فى طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿جنات يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله
الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور﴾ يقول تعالى ذكره بساتين اقامة يدخلونها هؤلاء
الذين أورثناهم الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة يحلون فيها من أساور من ذهب
يلبسون فى جنات عدن أسورة من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير يقول ولباسهم فى الجنة
حرير وقوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن اختلف أهل التأويل فى الحزن الذى حمد
الله على اذهابه عنهم هؤلاء القوم فقال بعضهم ذلك الحزن الذى كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من
خوف النار اذ كانوا خائفين أن يدخلوها ذكر من قال ذلك حدثنى قتادة بن سعيد بن قتادة
السدوسى قال ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائى قال ثنا أبى عن عمرو بن مالك عن
أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن النار حدثنا ابن حميد
قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل ذلت والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل
مرضى وما بالقوم مرض وأنهم لأصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم
من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والحزن والله ما حزنهم حزن الدنيا
ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لا يتعز بعزاء الله يقطع نفسه
على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة الا فى مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه
* وقال آخرون عنى به الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس
عن أبيه عن عطية فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال الموت * وقال آخرون عنى به
حزن الخبز ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص يعنى ابن حميد
عن شمر قال لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن الخبز
* وقال آخرون عنى بذلك الحزن من التعب الذى كانوا فيه فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال
كانوا فى الدنيا يعملون وينصبون وهم فى خوف أو يحزنون * وقال آخرون بل عنى بذلك الحزن
الذى ينال الظالم لنفسه فى موقف القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد
قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول أما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله الحمد لله
الذى أذهب عنا الحزن * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن
هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا
الحزن وخوف دخول النار من الحزن والجزع من الموت من الحزن والجزع من الحاجة الى
المطعم من الحزن ولم يخصص الله اذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على اذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع
بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك وكذلك ذلك لأن من دخل الجنة فلا حزن
عليه بعد ذلك فحمدهم على اذهابه عنهم جميع معانى الحزن وقوله ان ربنا لغفور شكور يقول تعالى
ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة ان ربنا
لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم فساترها عليهم بعفوه لهم عنها شكور لهم على طاعتهم

(وأنفقوا مما رزقناهم) وقوله (يرجون)
وهو خبر إن اشارة الى الاخلاص
فى العقائد والأعمال أى ينفقون
من الأموال لا ليقال انه كريم أو
لغرض آخر بل لتجارة لا كساد فيها
ولا بوار وهى طلب مرضاة الله
وقوله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أى
تنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده
أجورهم وجوز جار الله أن يجعل
يرجون فى موضع الحال واللام
متعلق بالافعال المتقدمة أى فعلوا
جميع ما ذكر من التلاوة والاقامة
والانفاق لغرض التوفية وخبر إن
قوله (انه غفور) لهم (شكور)
لأعمالهم وحين ذكر دلائل
الوحدانية أتبعه بيان الرسالة وذكر
حقيقة الكتاب المتلو فالكتاب
للجنس فمن للتبعيض أو هو القرآن
ومن للتبيين أو هو اللوح المحفوظ
ومن الابتداء وقد مر فى البقرة
أن قوله مصدقا حالا مؤكدة وفى قوله
(إن الله بعباده لخبير بصير) تقرير
لكونه حقا لأن الذى يكون عالما
بالبواطن والظواهر لم يمكن أن
يكون فى كلامه شوب باطل وفيه
لم يختر محمدا للرسالة جزافا وعلى سبيل
الاتفاق ولكنه أعلم حيث يجعل
رسالته قوله (ثم أورثنا الكتاب)
زعم جمع من المفسرين أن الكتاب
للجنس بدليل قوله فيما قبل جاءتهم
رسلهم بالبينات وبالزبر والايراث
الاعطاء والمصطفون من عبيده
هم الأنبياء كأنه قال علمنا البواطن
وأبصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا
ثم أورثناهم الكتاب وعلى هذا

اياه وصالح ما قدموا فى الدنيا من الأعمال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ربنا لغفور شكور لحسناتهم حدثنى ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر إن ربنا لغفور شكور غفر لهم ما كان من ذنب وشكر لهم ما كان منهم * القول فى تأويل قوله تعالى (الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة أى ربنا الذى أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة فدار المقامة دار الاقامة التى لا نقلة معها عنها ولا تحول والميم اذا ضمت من المقامة فهى من الاقامة فاذا فتحت فهى من المجلس والمكان الذى يقام فيه قال الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الأعداء تأويب

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذى أحلنا دار المقامة من فضله أقاموا فلا يتحولون وقوله لا يمسنا فيها نصب يقول لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ولا يمسنا فيها لغوب يعنى باللغوب العناء والاعياء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد قال ثنا موسى بن عمير عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قال اللغوب العناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يمسنا فيها نصب أى وجع * القول فى تأويل قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم يقول لهم نار جهنم مخلدين فيها لا حظ لهم فى الجنة ولا نعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم نار جهنم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ولا يخفف عنهم من عذابها قال ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم فيخفف ذلك عنهم كما حدثنى مطرف بن عبد الله الضبى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو هلال الراسبى عن قتادة عن أبى السوداء قال مساكين أهل النار لا يموتون لو ماتوا لاستراحوا حدثنى عقبة بن سنان القزاز قال ثنا غسان بن مضر قال ثنا سعيد ابن يزيد وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن يزيد وحدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا أبو مسلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون لكن ناسا أو كما قال تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أهل الجنة فقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية فان قال قائل وكيف قيل ولا يخفف عنهم من عذابها وقد قيل فى موضع آخر كلما خبت زدناهم سعيرا قيل معنى ذلك ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب وقوله كذلك نجزى كل كفور يقول تعالى ذكره هكذا يكافئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة بأن يدخلهم نار جهنم بسيآتهم التى قدموها فى الدنيا وقوله وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل يقول تعالى ذكره هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون فى النار يقولون يا ربنا أخرجنا نعمل

فالمراد بالظلم على النفس وضع الشئ فى غير موضعه وان كان بترك الاولى ومنه قول أبينا آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وقول يونس انى كنت من الظالمين واذا كان الظلم بهذا المعنى جائزا عليهم فالاقتصاد أولى ويجوز أن يعود الضمير فى قوله فمنهم الى الأ[illegible] كأنه قيل ان الذى أوحينا اليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفينا رسلنا وآتيناهم كتبا فمن قومك ظالم كفر بك وبما أنزل اليك ومقتصد آمن به ولم يأت بجميع ما أمر به وسابق آمن وعمل صالحا وقال أكثرهم انه القرآن والايراث الحكم بالتوريث أو هو على عادة اخبار الله فى التعبير عن المستقبل بالماضى لتحققه أى نريد أن نورثه والمصطفون هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله كنتم خير أمة وكذلك جعلناكم أمة وسطا وعلى هذا ففى تفسير المراتب الثلاثة أقوال أحدها الظالم الراجح السيئات والمقتصد المتساوى الحسنات والسيئات والسابق راجح الحسنات ثانيها الظالم من ظاهره خير من باطنه والمقتصد المتساوى والسابق من باطنه خير ثالثها الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم رابعها عن على رضى الله عنه الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق أنا فقيل له وكيف ذلك قال أنا ظالم بمعصيتى ومقتصد بتوبتى وسابق بمحبتى خامسها الظالم التالى للقرآن غير العالم به ولا العامل بموجبه والمقتصد

صالحا أى نعمل بطاعتك غير الذى كنا نعمل قبل من معاصيك وقوله يصطرخون يفتعلون من الصراخ حولت تاؤها طاء لقرب مخرجها من الصاد لما ثقلت وقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اختلف أهل التأويل فى مبلغ ذلك فقال بعضهم ذلك أربعون سنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول العمر الذى أعذر الله الى ابن آدم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أربعون سنة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن مسروق أنه كان يقول اذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله * وقال آخرون بل ذلك ستون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال ستون سنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس قال العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة حدثنا على بن شعيب قال ثنا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك عن ابراهيم بن الفضل عن ابن أبى حسين المكى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير حدثنى أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا مطرف بن مازن الكنانى قال ثنى معمر بن راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفارى يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعذر الله الى صاحب الستين سنة والسبعين حدثنا أبو صالح الفزارى قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القارى الاسكندرى قال ثنا أبو حازم عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر حدثنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حميد عن سعيد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه فى قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قال العمر الذى عمركم الله به ستون سنة * وأشبه القولين بتأويل الآية اذ كان الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا فى اسناده بعض من يجب التثبت فى نقله قول من قال ذلك أربعون سنة لأن فى الأربعين يتناهى عقل الانسان وفهمه وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله فى حال الأربعين وقوله وجاءكم النذير اختلف أهل التأويل فى معنى النذير فقال بعضهم عنى به محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجاءكم النذير قال النذير النبى وقرأ هذا نذير من النذر الأولى وقيل عنى به الشيب فتأويل الكلام اذا أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين ما يتذكر فيه من تذكر من ذوى الألباب والعقول واتعظ منهم من اتعظ وتاب من تاب وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله فلم تتذكروا مواعظ الله ولم تقبلوا من نذير الله الذى جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره فذوقوا نار عذاب جهنم الذى قد صليتموه أيها الكافرون بالله فما للظالمين من نصير يقول فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله فى الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه

التالى العالم غير العامل والسابق التالى العامل سادسها الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم سابعها الظالم من يحاسب فيدخل النار وهو أصحاب المشأمة والمقتصد من يحاسب فيدخل الجنة وهو أصحاب الميمنة والسابق من يدخل الجنة بغير حساب ثامنها الظالم من خالف أوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع للتكليف فى غير موضعه والمقتصد هو المجتهد فى أداء التكاليف وان لم يوفق لذلك فانه قصد الحق واجتهد والسابق هو الذى لم يخالف تكاليف الله بتوفيقه دليله قوله فى الأخير باذن الله وذلك أنه اذا وقع الخير فى نفسه سبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع فى قلبه فتردده النفس والظالم تغلبه النفس وبعبارة أخرى من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلبته تارة وغلب أخرى فهو المقتصد صاحب النفس اللوامة ومن قهر نفسه فهو السابق وفى تقديم الظالم ثم المقتصد ايذان بأن المقتصدين أكثر من السابقين والظالمون أكثر الأقسام كما قال وقليل من عبادى الشكور (ذلك) الذى ذكر من التوفيق أو من السبق بالخيرات أو من الايراث (هو الفضل الكبير) قال جار الله أبدل قوله (جنات عدن) من الفضل لأنها مسببة عنه وكأنها هو قلت ويمكن أن يقال جنات عدن مبتدأ لانها معرفة بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن ولئن سلم أنها نكرة

وقوله ان الله عالم غيب السموات والارض يقول تعالى ذكره ان الله عالم ما تخفون أيها الناس فى أنفسكم وتضمرونه ومالم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه ما هو غائب عن أبصاركم فى السموات والأرض فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تضمرون فى أنفسكم من الشك فى وحدانية الله أو فى نبوة محمد غير الذى تبدونه بألسنتكم انه عليم بذات الصدور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) يقول تعالى ذكره الله الذى جعلكم أيها الناس خلائف فى الأرض من بعد عاد وثمود ومن مضى قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم فى ديارهم ومساكنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وقوله فمن كفر فعليه كفره يقول تعالى ذكره فمن كفر بالله منكم أيها الناس فعلى نفسه ضر كفره لا يضر بذلك غير نفسه لأنه المعاقب عليه دون غيره وقوله ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا يقول تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدا من رحمة الله ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا يقول ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك أرأيتم أيها القوم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض يقول أرونى أى شئ خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات يقول أم لشركائكم شرك مع الله فى السموات ان لم يكونوا خلقوا من الأرض شيأ أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول أم آتينا هؤلاء المشركين كتابا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام فهم على بينة منه فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الاشراك بى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض لا شئ والله خلقوا منها أم لهم شرك فى السموات لا والله ما لهم فيها شرك أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا وقوله بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا وذلك قول بعضهم لبعض ما نعبد آلهتنا إلا ليقربونا الى الله زلفى خداعا من بعضهم لبعض وغرورا وإنما تزلفهم آلهتهم الى النار وتقصيهم من الله ورحمته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) يقول تعالى ذكره إن الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما ولئن زالتا يقول ولو زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده يقول ما أمسكهما أحد سواه ووضعت لئن فى قوله ولئن زالتا فى موضع لو لأنهما يجابان بجواب واحد فيتشابهان فى المعنى ونظير ذلك قوله ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون بمعنى ولو أرسلنا ريحا وكما قال ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بمعنى لو أتيت وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا من مكانهما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل قال جاء رجل الى عبد الله فقال من

فاليكن (يدخلونها) صفة له وخبرها (يحلون) ثم ان ضمير يدخلون ان عاد الى التالين لكتاب الله أو الى الثلاثة بقين فلا اشكال فالظالم يدخل النار والمقتصد يكون أمره موقوفا كقوله وآخرون مرجون لأمر الله أو كقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وان عاد الى الفرق الثلاث فبشرط العفو أو بشرط التوبة وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وفى تقديم جنات عدن وبناء الكلام عليها دون أن يقول يدخلون جنات عدن ايذان بأن الاهتمام بشأنها أكثر فان نظر السامع على المدخول فيه لا على نفس الدخول وقد مرت العبارة الاصلية فى سورة الحج فى قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات الى قوله حرير وتغيير العبارة فى هذا المقام لمزيد هذه الفائدة والله أعلم وفى قوله (يحلون فيها) اشارة الى سرعة الدخول فان فى تحليتهم خارج الجنة تأخيرا للدخول وفى تحليتهم بالسوار إشارة الى أمرين أحدهما الترفه والتنعم الثانى أنهم لا يحتاجون فيها الى عمل من الطبخ وتهيئة سائر الأسباب قال جار الله أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم والذهب واللؤلؤ اشارة الى النوعين اللذين منهما الحلى وقيل ان ذلك الذهب فى صفاء اللؤلؤ والحزن

أين جئت قال من الشام قال من لقيت قال لقيت كعبا فقال ماحدثك كعب قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك قال فصدقته أو كذبته قال ماصدقته ولا كذبته قال لوددت أنك افتديت من رحلتك اليه براحلتك ورحلها كذب كعب ان الله يقول إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من أحد من بعده حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلي الى كعب الأحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبد الله حدثنا ماحدثك فقال حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا والقطب عمود على منكب ملك قال عبد الله لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ثم قال ما تنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه ثم قال إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كفى بها زوالا أن تدور

وقوله انه كان حليما غفورا يقول تعالى ذكره ان الله كان حليما عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له غفورا لذنوب من تاب منهم وأناب الى الايمان به والعمل بما يرضيه

القول في تأويل قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا)

يقول تعالى ذكره وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم يقول أشد الأيمان فبالغوا فيها لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ليكونن أهدى من احدى الأمم يقول ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله من إحدى الامم التي خلت من قبلهم فلما جاءهم نذير يعني بالنذير محمدا صلى الله عليه وسلم يقول فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مازادهم إلا نفورا يقول مازادهم مجيء النذير من الايمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق إلا نفورا وهربا وقوله استكبارا في الأرض يقول نفروا استكبارا في الأرض وخدعة سيئة وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به والمكر ههنا هو الشرك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومكر السيئ وهو الشرك وأضيف المكر الى السيئ والسيئ من نعت المكر كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وقيل ان ذلك في قراءة عبد الله ومكرا سيئا وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر وقرأ ذلك قراء الأمصار غير الأعمش وحمزة بهمزة محركة بالخفض وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة وتسكين الهمزة اعتلالا منهما بأن الحركات لما كثرت في ذلك ثقل فسكنا الهمزة كما قال الشاعر

* اذا اعوججن قلت صاحب قوم *

فسكن الباء لكثرة الحركات * والصواب من القراءة ماعليه قراء الأمصار من تحريك الهمزة فيه الى الخفض وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية لأن القراءة إنما هي ماقرأت به الأئمة الماضية وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله يقول ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله يعني بالذين يمكرونه وانما عنى أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون الا بهم وقال قتادة في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وهو الشرك وقوله فهل ينظرون إلا سنة الأولين يقول تعالى ذكره فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يامحمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على

للجنس فيعم كل حزن من أحزان الدنيا والدين كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في حشرهم وكأني بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقد خصه جمع من المفسرين بخوف سوء العاقبة أو بحزن الآفات أو بحزن الموت أو بهم المعاش حتى قال بعضهم كراء الدار وتعميم أولى والمقامة بمعنى الاقامة والفضل التفضل وعند المعتزلة العطاء لان الثواب أجر مستحق واجب عندهم والنصب التعب والمشقة التي تصيب المزاول للامر المنتصب له واللغوب ما يلحقه من الفتور والكلال بعد ذلك قاله جار الله وقال غيره ان الذي يباشر عملا من الأعمال لا يظهر عليه الاعياء الا بعد أن يستريح فالمراد أنهم لا يخرجون من الجنة الى موضع يتعبون بسبب ذلك ثم يلحقهم الاعياء بعد الرجوع ثم عطف قوله (والذين كفروا) على قوله ان الذين يتلون وقوله (فيموتوا) جواب للنفي والتقدير لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا و(يصطرخون) يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة كشأن المستغيث وفائدة قوله (غير الذي كنا نعمل) زيادة التحسر على ماعملوه من غير الصالح أو المراد نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا لأنهم كانوا يحسبون أنهم يحسنون وفيه اشارة

كفرهم به أليم العقاب يقول فهل ينتظر هؤلاء الا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينظرون الا سنة الأولين أي عقوبة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا يقول فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرا وقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا يقول ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلا يقول لن يغير ذلك ولا يبدله لانه لا مرد لقضائه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فانهم تجار يسلكون طريق الشأم فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم التي كانوا بها ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلا لمن بعدهم فيتعظوا بهم وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل وكانوا أشد منهم قوة وبطشا لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم وبنحو الذي قلنا في قوله وكانوا أشد منهم قوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا أشد منهم قوة يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم وقوله وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدا فيسبقونا هربا في الارض اذا نحن أردنا هلاكهم لأن الله لم يكن ليعجزه شئ يريده في السموات ولا في الارض ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا أقطار السموات والأرض وقوله انه كان عليما قديرا يقول تعالى ذكره ان الله كان عليما بخلقه وما هو كائن ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة ومن هو عن ضلالته منهم راجع الى الهدى آئب قدير على الانتقام ممن شاء منهم وتوفيق من أراد منهم للايمان

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره ولو يؤاخذ الله الناس يقول ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى يقول ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا الى أجل معلوم عنده محدود لا يقصرون دونه ولا يجاوزونه اذا بلغوه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة الا ما حمل نوح في السفينة وقوله فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا يقول تعالى ذكره فاذا جاء أجل عقابهم فان الله كان بعباده بصيرا من الذي يستحق أن يعاقب منهم ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعا ومن كان فيها به مشركا لا يخفى عليه أحد منهم ولا يعزب عنه علم شئ من أمرهم

آخر تفسير سورة فاطر

الى أنهم في الآخرة ايضا ضالون لم يهدهم الله في الآخرة كما لم يهدهم في الدنيا ولو كانوا مهتدين لقالوا ربنا زدت للمحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن أحوج الى تخفيف العذاب منهم الى تضعيف الثواب فافعل بنا ما أنت أهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظرا الى عدلك وانظر الى مغفرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وهذا بخلاف حال المؤمن هداه الى الحق كما هداه في الدنيا حتى دعاه بأقرب دعاء الى الاجابة وأثنى عليه بأطيب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله وقالوا ان ربنا لغفور اعترافا بتقصيرهم شكور اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وأحالوا الكل الى فضله تصريحا بأنه لا عمل لهم بالنسبة الى بحار نعمه قوله (أولم نعمركم) استفهام فيه توبيخ والزام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه الا أن التوبيخ في العمر الطويل أعظم عن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وروي من جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة وقوله (وجاءكم) معطوف على المعنى كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم (النذير) وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب فبين بالجملتين أن القابل موجود والفاعل حاصل فالعذر غير مقبول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم)
اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله يس فقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله
ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله يس قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون معناه يا رجل ذكر من قال
ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن
ابن عباس فى قوله يس قال يا انسان بالحبشية حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا
شعبة عن شرقى قال سمعت عكرمة يقول تفسير يس يا انسان * وقال آخرون هو مفتاح كلام
افتتح الله به كلامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يس مفتاح كلام افتتح الله به كلامه * وقال آخرون بل هو اسم
من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
يس قال كل هجاء فى القرآن اسم من أسماء القرآن * قال أبو جعفر وقد بينا القول فيما مضى فى نظائر
ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن اعادته وتكريره فى هذا الموضع * وقوله والقرآن الحكيم
يقول والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه وبينات حججه انك لمن المرسلين يقول تعالى ذكره
مقسما بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله الى عباده
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين قسم
كما تسمعون انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وقوله على صراط مستقيم يقول على طريق
لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الاسلام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
على صراط مستقيم أى على الاسلام وفى قوله على صراط مستقيم وجهان أحدهما أن يكون
معناه انك لمن المرسلين على استقامة من الحق فيكون حينئذ على من قوله على صراط مستقيم من
صلة الارسال والآخر أن يكون خبرا مبتدأ كأنه قيل انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم
القول فى تأويل قوله تعالى (تنزيل العزيز الرحيم) اختلف القراء فى قراءة قوله تنزيل
العزيز الرحيم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة تنزيل العزيز برفع تنزيل والرفع فى ذلك يتجه من
وجهين أحدهما بأن يجعل خبرا فيكون معنى الكلام انه تنزيل العزيز الرحيم والآخر بالابتداء
فيكون معنى الكلام حينئذ انك لمن المرسلين هذا تنزيل العزيز الرحيم وقرأته عامة قراء الكوفة
وبعض أهل الشام تنزيل نصبا على المصدر من قوله انك لمن المرسلين لأن الارسال انما هو عن
التنزيل فكأنه قيل لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما
قراءتان مشهورتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب
ومعنى الكلام انك لمن المرسلين يا محمد ارسال الرب العزيز فى انتقامه من أهل الكفر به الرحيم
بمن تاب اليه وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له * القول فى تأويل
قوله تعالى (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)
اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فقال بعضهم معناه لتنذر قوما
ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر

(فذوقوا) العذاب (فما للظالمين)
الذين وضعوا أعمالهم فى غير موضعها
وأتوا بالمعذرة فى غير وقتها (من
نصير) نفى للأنصار والناصرين
فى آخر آل عمران وفى الروم ووحد
ههنا كأنهم فى النار قد أيسوا من
كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة
الا من نصير واحد وهو الله سبحانه
ثم كان لسائل أن يسأل ما بال الكافر
يعذب أبدا وانه ما كفر الا أياما
معدودة فلا جرم قال (ان الله عالم
غيب السموات والارض) فكان
يعلم من الكافر أن الكفر قد تمكن
فى قلبه بحيث لو دام الى الأبد لما
أطاع الله ولا عبده وذات الصدور
صواحباتها من الظنون والعقائد
فذو موضوع لمعنى الصحبة
فالصدور ذات العقائد والعقائد
ذات الصدور باعتبار أنها تصحبها
وحين ذكرهم بما مر من أنه سوف

قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة فى هذه الآية لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قد أنذروا وقال آخرون بل معنى ذلك لتنذر قوما (٣) ما أنذر آباؤهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من انذار الناس قبلهم وقال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم أى هذه الأمة لم يأتهم نذير حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العربية فى معنى ما التى فى قوله ما أنذر آباؤهم اذا وجه معنى الكلام الى أن آباءهم قد كانوا أنذروا ولم يرد بها الجحد فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك اذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذى أنذر آباؤهم فهم غافلون وقال فدخول الفاء فى هذا المعنى لا يجوز والله أعلم قال وهو على الجحد أحسن فيكون معنى الكلام انك لمن المرسلين الى قوم لم ينذر آباؤهم لأنهم كانوا فى الفترة * وقال بعض نحويى الكوفة اذا لم يرد بما الجحد فان معنى الكلام لتنذرهم بما أنذر آباؤهم فتلقى الباء فتكون ما فى موضع نصب فهم غافلون يقول فهم غافلون عما الله فاعل بأعدائه المشركين به من احلال نقمته وسطوته بهم وقوله لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره لقد وجب العقاب على أكثرهم لان الله قد حتم عليهم فى أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره انا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة الى أعناقهم بالأغلال فلا تبسط بشئ من الخيرات وهى فى قراءة عبد الله فيما ذكر انا جعلنا فى أيمانهم أغلالا فهى الى الأذقان وقوله الى الأذقان يعنى فأيمانهم مجموعة بالأغلال فى أعناقهم فكنى عن الأيمان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام وأن الأغلال اذا كانت فى الأعناق لم تكن الا وأيدى المغلولين مجموعة بها اليها فاستغنى بذكر كون الأغلال فى الأعناق من ذكر الأيمان كما قال الشاعر

وما أدرى اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى لا يأتلينى

فكنى عن الشر وانما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنى قائله اذ كان الشر مع الخير يذكر والأذقان جمع ذقن والذقن مجمع اللحيين وقوله فهم مقمحون والمقمح هو المقنع وهو أن يحدر الذقن حتى يصير فى الصدر ثم يرفع رأسه فى قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وفى قول بعض الكوفيين هو الغاض بصره بعد رفع رأسه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون قال هو كقول الله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعنى بذلك أن أيديهم موثقة الى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فهم مقمحون قال رافعو رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون أى فهم مغلولون عن كل خير وقوله وجعلنا من بين أيديهم سدا يقول تعالى ذكره وجعلنا من بين أيدى هؤلاء المشركين سدا وهو الحاجز بين الشيئين اذا فتح كان من فعل بنى آدم واذا كان من فعل الله كان بالضم وبالضم

يوبخهم بالتعمير وايتاء العقول وارسال من يؤيد المعقول بالمنقول وعظيم بأنه (هو الذى جعلكم) ونقد العاطف هنا خلاف ما فى آخر الأنعام للعدول عن خطاب أهل الآخرة الى خطاب أهل الدنيا وقال ههنا (خلائف فى الارض) بزيادة فى المفيدة لتمكن المظروف فى الظرف لأجل المبالغة والترقى من الأدنى الى الأعلى كأنه قيل أمهلتم وعمرتم وأمرتم على لسان الرسل بما أمرتم وجعلتم خلفاء الهالكين الماضين فأصبحتم بحالهم راضين (فمن كفر) بعد هذا كله (فعليه) وبال (كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) لأن الكافر السابق ممقوت واللاحق الذى أنذره الرسول ولم يتنبه أمقت لأنه رأى عذاب من تقدمه ولم يتنبه (ولا يزيد الكافرين كفرهم

(٣) أى لم ينذر آباؤهم فتأمل كتبه مصححه

قرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين بفتح السين سدّا في الحرفين كلاهما وأعجب القراءتين الى في ذلك وان كانت الأخرى جائزة صحيحة وعنى بقوله وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون ولا يبصرون رشدا ولا يتنبهون حقا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا قال عن الحق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا عن الحق فهم يترددون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا قال ضلالات حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال جعل هذا سدّا بينهم وبين الاسلام والايمان فهم لا يخلصون اليه وقرأ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقرأ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية كلها وقال من منعه الله لا يستطيع وقوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون يقول فأغشينا أبصار هؤلاء أي جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأغشيناهم فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام حين حلف أن يقتله أو يشدخ رأسه بصخرة ذكر الرواية بذلك حدثني عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث ابن سعيد قال ثنا عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن فأنزلت انا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو لا يبصره وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك فأعشيناهم فهم لا يبصرون بالعين بمعنى أعشيناهم عنه وذلك أن العشا هو أن يمشي بالليل ولا يبصر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ يقول تعالى ذكره وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول أي الأمرين كان منك اليهم الانذار أو ترك الانذار فانهم لا يؤمنون لأن الله قد حكم عليهم بذلك وقوله انما تنذر من اتبع الذكر يقول تعالى ذكره انما ينفع انذارك يا محمد من آمن بالقرآن واتبع ما فيه من أحكام الله وخشي الرحمن يقول وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين لا المنافق الذي يستخف بدين الله اذا خلا ويظهر الايمان في الملا ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه وقوله فبشره بمغفرة يقول فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه وأجر كريم يقول وثواب منه له في الآخرة كريم وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما تنذر من اتبع الذكر واتباع الذكر اتباع القرآن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في امام مبين﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نحيي الموتى من خلقنا ونكتب ما قدموا في الدنيا من خير وشر وصالح الأعمال وسيئها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا من عمل حدثني يونس

الاحسارا) فان العمر كرأس مال من اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر ثم وبخ أهل الشرك بقوله (قل أرأيتم) وأبدل منه (أروني) كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه (أم لهم) مع الله (شرك في) خلق (السموات) أم معهم أو مع عابديهم كتاب من عند الله فهم على برهان من ذلك الكتاب والاضافة في شركائكم لملابسة العبادة أو المراد كونهم شركاءهم في النار كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (بل ان يعد الظالمون بعضهم) وهم الرؤساء (بعضا) وهم الأتباع (الا غرورا) وهو قولهم ان هؤلاء شفعاؤنا وحين بين عجز الأصنام أراد أن يبين كمال القدرة فقال (ان الله يمسك السموات والأرض)

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونكتب ما قدموا قال ما عملوا حدثنى محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما قدموا قال أعمالهم وقوله وآثارهم يعنى وآثار خطاهم
بأرجلهم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليقرب عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى
قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت منازل الأنصار متباعدة من
المسجد فأرادوا أن ينتقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فقالوا نثبت فى مكاننا
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمه عن ابن عباس قال كانت الأنصار
بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا قال فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فثبتوا حدثنا
ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا الجريرى عن أبى نضرة عن جابر قال
أراد بنو سلمة قرب المسجد قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى سلمة دياركم انها
تكتب آثاركم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر قال سمعت كهمسا يحدث عن أبى نضرة
عن جابر قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد قال والبقاع خالية فبلغ ذلك النبى صلى الله
عليه وسلم فقال يا بنى سلمة دياركم انها تكتب آثاركم قال فأقاموا وقالوا ما يسرنا أنا كنا تحولنا حدثنا
سليمن بن عمر بن خالد الرقى قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن طريف عن أبى نضرة عن أبى
سعيد الخدرى قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت انا نحن نحيى
الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال عليكم منازلكم تكتب آثاركم حدثنا ابن حميد قال ثنا
أبو تميلة قال ثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس فأسرعت المشى فأخذ بيدى فمشينا
رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشى فقال يا أنس
أما شعرت أن الآثار تكتب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن
بنى سلمة كانت دورهم قاصية عن المسجد فهموا أن يتحولوا قرب المسجد فيشهدون الصلاة
مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا تحتسبون آثاركم يا بنى سلمة فمكثوا
فى ديارهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم
ابن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ما قدموا وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآثارهم قال خطاهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة وآثارهم قال الحسن وآثارهم قال خطاهم وقال قتادة لو كان مغفلا شيأ من شأنك
يا ابن آدم أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار وقوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين يقول تعالى
ذكره وكل شئ كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه فى أم الكتاب وهو الامام المبين وقيل مبين لأنه
يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى إمام مبين
قال فى أم الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل شئ أحصيناه
فى إمام مبين كل شئ محصى عند الله فى كتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين قال أم الكتاب التى عند الله فيها الأشياء كلها هى
الامام المبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون

أى يمنعهما من (أن تزولا) أو كراهة
زوالهما عن مقرهما ومركزهما ولو
فرض زوالهما بأمر الله فلن يمسكهما
أحد من بعد زوالهما أو من بعد الله
وقيل أراد أنهما كانتا جديرتين
بأن تهد هدا لعظم كلمة الشرك
كقوله تكاد السموات يتفطرن منه
يؤيد هذا الوجه قوله (انه كان حليما)
غير معاجل بالعقوبة (غفورا) لمن
تاب من الشرك قال المفسرون بلغ
قريشا قبل مبعث رسول الله أن
أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا
لعن الله اليهود والنصارى أتتهم
رسلهم فكذبوهم فوالله لئن أتانا
رسول لكنا أهدى وزيف هذا
النقل بأن المشركين كانوا منكرين
للرسالة والحشر فكيف اعترفوا بأن
اليهود والنصارى جاءهم رسل
سلمنا لكنهم كيف عرفوا تكذيب
اليهود وتحريفهم ولم يأتهم رسول

اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ﴾ يقول تعالى ذكره ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية ذكر أنها انطاكية اذ جاءها المرسلون اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل وفيمن كان أرسلهم الى أصحاب القرية فقال بعضهم كانوا رسل عيسى بن مريم وعيسى الذى أرسلهم اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين الى انطاكية مدينة بالروم فكذبوهما فأعزهما بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان قال ثنى السدى عن عكرمة واضرب لهم مثلا أصحاب القرية قال انطاكية * وقال آخرون بل كانوا رسلا أرسلهم الله اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قال كان بمدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يقال له ابطيحس بن ابطيحس يعبد الأصنام صاحب شرك فبعث الله المرسلين وهم ثلاثة صادق ومصدوق وسلوم فقدم اليه والى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما ثم عزز الله بثالث فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله وصدعت بالذى أمرت به وعابت دينه وما هم عليه قال لهم انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم وقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث يقول تعالى ذكره حين أرسلنا اليهم اثنين يدعوانهم الى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث وقويناهما به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فعززنا بثالث قال شددنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله فعززنا بثالث قال زدنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فعززنا بثالث قال جعلناهم ثلاثة قال ذلك التعزز قال والتعزز القوة وقوله فقالوا انا اليكم مرسلون يقول فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية انا اليكم أيها القوم مرسلون بأن تخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له وتتبرؤا مما تعبدون من الآلهة والأصنام وبالتشديد فى قوله فعززنا قرأت القراء سوى عاصم فانه قرأه بالتخفيف والقراءة عندنا بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليه وأن معناه اذا شدد فقوينا واذا خفف فغلبنا وليس لغلبنا فى هذا الموضع كثير معنى القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين ﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا اليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا اليهم بما أرسلوا به ما أنتم أيها القوم الا أناس مثلنا ولو كنتم رسلا كما تقولون لكنتم ملائكة وما أنزل الرحمن من شئ يقول وقالوا وما أنزل الرحمن اليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشئ ان أنتم الا تكذبون فى قيلكم انكم الينا مرسلون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون يقول قال الرسل ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فيما دعوناكم اليه وانا لصادقون وما علينا الا البلاغ المبين يقول وما علينا الا أن نبلغكم رسالة الله التى أرسلنا بها اليكم بلاغا يبين لكم أنا أبلغناكموها فان قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون وان لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا والله ولى الحكم فيه القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب القرية للرسل انا تطيرنا بكم يعنون انا تشاءمنا بكم فان أصابنا بلاء فمن أجلكم كما حدثنا

ولا كتاب فالوجه الصحيح فى سبب النزول أنهم كانوا يقولون لو جاءنا رسول لم ننكره وانما ينكرون كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لأنه كاذب ولو صح كونه رسولا لآمنا وقوله (من احدى الأمم) ليس للتفضيل بل المراد أنا نكون أهدى مما نحن عليه ونكون من احدى الأمم كقولك زيد من المسلمين أو هو للتفضيل والأمم لتعريف العهد أى أمة محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أو للعموم أى أهدى من أى أمة تفرض ويقال انها احدى الأمم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (فلما جاءهم نذير) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى صح لهم نذارته بالمعجزات الباهرة (ما زادهم) هو أو مجيئه (الا نفورا) كأنه صار سببا فى نفارهم عن الحق عنادا وكبرا

بشرقال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا انا تطيرنا بكم قالوا ان أصابنا شر فانما هو من أجلكم وقوله لئن لم تنتهوا لنرجمنكم يقول لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم الينا بالبراءة من آلهتنا والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم قيل عنى بذلك لنرجمنكم بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشرقال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم يقول ولينالنكم منا عذاب موجع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره فقالت الرسل لاصحاب القرية طائركم معكم أئن ذكرتم يقولون أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ذلك كله في أعناقكم وماذلك من شؤمنا ان أصابكم سوء فيما كتب عليكم وسبق لكم من الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشرقال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا طائركم معكم أي أعمالكم معكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قالت لهم الرسل طائركم معكم أي أعمالكم معكم وقوله أئن ذكرتم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار أئن ذكرتم بكسر الألف من إن وفتح ألف الاستفهام بمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائركم ثم أدخل على إن التي هي حرف جزاء ألف استفهام في قول بعض نحويي البصرة وفي قول بعض الكوفيين منوى به التكرير كأنه قيل قالوا طائركم معكم ان ذكرتم فمعكم طائركم فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه وانما أنكر قائل هذا القول القول الأول لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط فلا تكون شرطا لما قبل حرف الاستفهام وذكر عن أبي رزين أنه قرأ ذلك أأن ذكرتم بمعنى ألأن ذكرتم طائركم معكم وذكر عن بعض قارئيه أنه قرأه قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بمعنى حيث ذكرتم بتخفيف الكاف من ذكرتم والقراءة التي لا نجيز القراءة بغيرها القراءة التي عليها قراء الأمصار وهي دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء وتشديد الكاف على المعنى الذي ذكرناه عن قارئيه كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشرقال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أئن ذكرتم أي ان ذكرناكم الله تطيرتم بنا بل أنتم قوم مسرفون وقوله بل أنتم قوم مسرفون يقول قالوا لهم ما بكم التطير بنا ولكنكم قوم أهل معاص لله وآثام قد غلبت عليكم الذنوب والآثام وقوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى يقول وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت اليهم هذه الرسل رجل يسعى اليهم وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر فبلغ ذلك هذا الرجل وكان منزله أقصى المدينة وكان مؤمنا وكان اسمه فيما ذكر حبيب بن مرى وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الاخبار ذكر الأخبار الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن عاصم الأحول عن أبي مجلز قال كان صاحب يس حبيب بن مرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال كان من حديث صاحب يس فيما حدثنا محمد بن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه اليماني أنه كان رجلا من أهل انطاكية وكان اسمه حبيبا وكان يعمل الحرير وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيا وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله ويتصدق بنصف فلم يهمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه عن عمل ربه قال فلما أجمع قومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم بالله

ويدعوهم

فانتصب (استكبارا) على أنه مفعول لأجله أو حال ويجوز أن يكون بدلا من نفورا وقوله (ومكر) من اضافة المصدر الى صفة معموله أصله وأن مكروا السيء أي المكر السيء والمكر هو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من الهم بالقتل والإخراج وقد حاق بهم يوم بدر أو هو عام وعاقبة الماكر وخيمة يصل اليه جزاؤه عاجلا أو آجلا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وفي أمثالهم من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وفي قوله (بأهله) دون أن يقول الا بالماكر اشارة الى أن الرضا بالمكر والاعانة عليه كهو فيندرج مصاحبه في زمرة أهل المكر وقوله (سنة الأولين) من اضافة المصدر الى المفعول وقوله سنة الله من اضافته

ويدعوهم الى اتباع المرسلين فقال ياقوم اتبعوا المرسلين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار
قال ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه
باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أتشهد أن محمدا رسول الله
فيقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول له لا أسمع فيقول مسيلمة أتسمع هذا ولا تسمع
هذا فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه قال كعب
حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحرث
ابن نوفل عن مجاهد عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول كان اسم صاحب يس حبيبا وكان الجذام
قد أسرع فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى قال ذكر لنا أن اسمه حبيب وكان في غار يعبد ربه فلما سمع بهم أقبل اليهم وقوله قال
ياقوم اتبعوا المرسلين يقول تعالى ذكره قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه ياقوم
اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله اليكم واقبلوا منهم ما أتوكم به وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم هل
يطلبون على ما جاؤا به أجرا فقالت الرسل لا فقال لقومه حينئذ اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم
لكم أجرا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما انتهى
اليهم يعني الى الرسل قال هل تسألون على هذا من أجر قالوا لا فقال عند ذلك ياقوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه
عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون
أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاؤكم به من الهدى وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم وقوله
وهم مهتدون يقول وهم على استقامة من طريق الحق فاهتدوا أيها القوم بهداهم القول في تأويل
قوله تعالى ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ يقول تعالى
ذكره مخبرا عن قيل هذا الرجل المؤمن ومالي لا أعبد الذي فطرني أي وأي شئ لي لا أعبد الرب
الذي خلقني واليه ترجعون يقول واليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعا وهذا حين أبدى
لقومه ايمانه بالله وتوحيده كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن
ابن عباس وعن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قال ناداهم يعني نادى قومه بخلاف ما هم
عليه من عبادة الأصنام وأظهر لهم دينه وعبادة ربه وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره فقال
ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ثم عابها فقال ان يردني الرحمن بضر
وشدة لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون وقوله أأتخذ من دونه آلهة يقول أأعبد من دون الله
آلهة يعني معبودا سواه ان يردن الرحمن بضر يقول ان مسني الرحمن بضر وشدة لا تغن عني
شفاعتهم شيأ يقول لا تغني عني شيأ بكونها الى شفعاء ولا تقدر على دفع ذلك الضر عني ولا ينقذون
يقول ولا يخلصوني من ذلك الضر اذا مسني وقوله اني اذا لفي ضلال مبين يقول اني ان اتخذت
من دون الله آلهة هذه صفتها اذا لفي ضلال مبين لمن تأمله جوره عن سبيل الحق وقوله اني آمنت
بربكم فاسمعون فاختلف في معنى ذلك فقال بعضهم قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم ايمانه
بالله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس

أي الفاعل والمراد بها إنزال العذاب
على أمثالهم من مكذبي الرسل
جعل استقبالهم لذلك واستعجالهم
اياه انتظارا له منهم والتبديل تغيير
الصورة مع بقاء المادة والتحويل
نقل الشئ من مكان الى مكان آخر
خص هذه السورة بالجمع بين
الوصفين لأن كثيرا من أحوال
الكفرة جاءت ههنا مثناة كقوله
ولا يزيد الكافرين الى قوله الا
خسارا وكقوله الا نفورا استكبارا
في الارض ومكر السيئ ويحتمل
أن يريد بسنة الأولين استمرارهم
على الانكار كأنه قال أنتم تريدون
الاتيان بسنة الأولين والله يأتي بسنة
لا تبدل العذاب المعلوم بنوع آخر
ولا تحوله عن مستحقيه الى من
لا يستحقه ثم أمرهم بالسير وذكرهم

وعن كعب وعن وهب بن منبه انى آمنت بربكم فاسمعون انى آمنت بربكم الذى كفرتم به فاسمعوا قولى * وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى وانى قد آمنت بكم واتبعتكم فذكر أنه لما قال هذا القول ونصح لقومه النصيحة التى ذكرها الله فى كتابه وثبوا به فقتلوه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة قتلهم اياه فقال بعضهم رجموه بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون هذا رجل دعا قومه الى الله وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى اللهم اهد قومى اللهم اهد قومى حتى أقعصوه وهو كذلك * وقال آخرون بل وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قال لما قال لهم ومالى لا أعبد الذى فطرنى الى قوله فاسمعون وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه ولم يكن أحد يدفع عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) يقول تعالى ذكره قال الله له اذ قتلوه كذلك فلقيه ادخل الجنة فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لايمانه وصبره فيه قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى يقول ياليتهم يعلمون أن السبب الذى من أجله غفر لى ربى ذنوبى وجعلنى من الذين أكرمهم الله بادخاله اياه جنته كان ايمانى بالله وصبرى فيه حتى قتلت فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول قال الله له ادخل الجنة فدخلها حيا يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها فلما أفضى الى رحمة الله وجنته وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قيل ادخل الجنة فلما دخلها قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قال فلا تلقى المؤمن الا ناصحا ولا تلقاه غاشا فلما عاين ما عاين من كرامة الله قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله وما هجم عليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قيل ادخل الجنة قال قيل قد وجبت له الجنة قال ذاك حين رأى الثواب حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت لك الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت له الجنة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم الأحول عن أبى مجلز فى قوله بما غفر لى ربى قال ايمانى بربى وتصديق رسله

والله أعلم

ما رأوه فى مسايرهم ومتاجرهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الهالكين الأقدمين مع وفور قوتهم وكثرة شوكتهم ثم بين كمال علمه ونهاية قدرته على اتصال أصناف الاستحقاقات بقوله (وما كان الله ليعجزه) أى ليسبقه ويفوته شئ ثم ختم السورة بما يدل على غاية حلمه وهو أنه لا يؤاخذ الناس بكل جرم (الى أجل مسمى) هو القيامة وهو يومئذ أعلم بأحوالهم علما عيانيا فيجزى كلا بحسب علمه وقد مر مثل الآية فى سورة النحل وقيل الاجل هو يوم لا يوجد فى الخلق من يؤمن أو حين يجتمع الناس على الضلال

والله أعلم

* (تم الجزء الثانى والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثالث والعشرون أوله ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه) *